سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٨م - ١٤٣٩هـ

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi2@hotmail.com

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421
البريد الالكتروني: dirasat14@gmail.com

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السادس

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثالث

الإمام الحسن × في عهد أبيه ×..

الباب الأول

قبل حرب الجمل..

الفصل الأول

بعد البيعة لعلي ×

بداية:

بعد قتل عثمان أصر الناس على علي «عليه السلام» أن يبايعوه بالخلافة، فلم يرض منهم ذلك، واستمر على هذا الرفض أياماً. وهم يلاحقونه من مكان إلى مكان، ثم قبل منهم..

ولرفضه هذا أسباب كثيرة، أهونها: أن ذوي النفوس المريضة، والطامعين والطامحين، والمناوئين لعلي وأهل بيته سوف يجعلون من سرعة استجابة علي «عليه السلام» للبيعة دليلاً على صحة ما يشيعه أعداؤه عنه، من أن له سهماً في شحن الأجواء التي مهدت لقتل عثمان، إن لم يجعلوا ذلك دليلاً على أنه هو القاتل له دون سواه.

وستروج هذه الشائعة على الناس، وسيصدِّقها الكثيرون، أو الأكثرون منهم، وسيكثر الحسَّاد والأعداء، والمشاغبون، والمصطادون في الماء العكر.

يضاف إلى ذلك: أنه يريد أن يعرِّف الناس: أنه لا يرغب في الحكم، وليس متهالكاً عليه، إذا كان سيعجز عن أن يقيم فيه شرع الله، وينشر العدل والفضيلة، والعلم، والأمن والرخاء، وفق ما رسم الله ورسوله.

وبعد قتل عثمان، ظهر أن القتلة سيكونون أكثر طموحاً وحماسة لفرض إرادتهم على من يبايعونه، وستكثر، وتعظم توقعاتهم منه، بل هم سوف يعملون

على تطويعه لأهوائهم، وطبعه بطابعهم، ووفق أذواقهم، ومشاربهم، لأنهم إذا كانوا قد أساؤوا الجزع، فقتلوا خليفتهم، فإنهم إذا لم يلبِّ الخليفة الجديد مطالبهم، ولم يستجب لرغباتهم، وأطماعهم، ولم يفسح المجال لهم ليفعلوا ما شاؤوا بلا رقيب ولا حسيب، فإنهم سوف يكونون أكثر جرأة، وأشد فتكاً في الخليفة الجديد وأهل بيته، وعشيرته، وشيعته، وسيعلنون الحرب عليه وعلى كل من معه لاستئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم.

فإن كان لا بد من القبول بالولاية، فلا بد من توضيح معالمها، ورسم مسارها بالشروط والعهود، وتحديد الضوابط والمعايير، ليحيى من حيي عن بيِّنة، ويهلك من هلك عن بيِّنة..

وهذا ما حصل بالفعل، حيث اشترط عليهم: أن يكون القرآن، والحق، والسنَّة الثابتة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفضل حاكم في كل كبير وصغير، وقليل وكثير، وخطير وغير خطير.

وحين رضي بالبيعة له كما يقول الشيخ المفيد «رحمه الله»:

«تداكّوا عليه تداكّ الإبل على حياضها يوم ورودها، حتى شقوا أعطافه ووطأوا ابنيه الحسن والحسين بأرجلهم لشدة ازدحامهم عليه، وحرصهم على البيعة له، والصفقة بها على يده»(1).

وقال «عليه السلام» في خطبته المعروفة بـ«الشقشقية»:

«فما راعني إلا والناس كعرف الضبع، ينثالون عَليَّ من كل جانب، حتى

---

(1) الجمل ص 89 ـ 92 و (ط مكتبة الداوري قم ـ إيران) ص40 ـ 42.

لقد وطئ الحسنان، وشُقَّ عطفاي»[1].

خطبة الإمام الحسن حين بويع أبوه:

وبعد أن بويع لعلي «عليه السلام» بالخلافة، خرج إلى المسجد، على هيئة خاصة، وجلس على المنبر متمكناً ثم قال:

يا معاشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، ثم حدثهم عن نفسه، وسمع الأسئلة التي وجهت منهم إليه، وأجاب عنها، وكان الخضر من الذين سألوه، فأجابه أيضاً..

ثم قال للحسن «عليه السلام»: يا حسن، قم، فاصعد المنبر، فتكلم بكلام لا يُجَهِّلُكَ قريش من بعدي، فيقولون: الحسن لا يحسن شيئاً.

قال الحسن «عليه السلام»: يا أبه، كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟!

---

(1) مناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص135 والدرجات الرفيعة ص35 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص1185 واللمعة البيضاء ص198 ورسائل المرتضى ج2 ص112 وعلل الشرائع ج1 ص151 والإرشاد للمفيد ج1 ص289 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص287 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص49 وكتاب الأربعين للشيرازي ص168 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص35 الخطبة رقم3 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص200 وتذكرة الخواص ص117 وبحار الأنوار ج29 ص499 عن المناقب لابن الجوزي، والعقد الفريد لابن عبد ربه ج4 وأبي علي الجبائي في كتابه، وابن الخشاب في درسه، والحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في المواعظ والزواجر.

قال له: بأبي وأمي، أواري نفسي عنك، وأسمع وأرى، ولا تراني.

فصعد الحسن «عليه السلام» المنبر، فحمد الله بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبي وآله صلاة موجزة، ثم قال:

أيها الناس، سمعت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها؟!

ثم نزل، فوثب إليه علي «عليه السلام»، فتحمله، وضمه إلى صدره.

ثم قال للحسين «عليه السلام»: يا بني، قم فاصعد، فتكلم بكلام لا يُجَهِّلُكَ قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي «عليه السلام» لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين «عليه السلام»، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال:

معاشر الناس، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: إن علياً «عليه السلام» مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

فوثب إليه علي «عليه السلام»، فضمه إلى صدره وقبله، ثم قال:

معاشر الناس، اشهدوا: أنهما فرخا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووديعته التي استودعنيها. وأنا أستودعكموها.

معاشر الناس، ورسول الله سائلكم عنهما[1].

---

(1) بحار الأنوار ج10 ص117 ـ 121 وج40 ص202 وراجع ج4 ص97 و 32 والأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص422 ـ 425 و (ط أخرى) ص280

ونقول:

دل قول علي «عليه السلام» لولده الإمام: «تكلم بكلام لا يجهلك قريش من بعدي» على ما يلي:

1 ـ إن للإمام الحسن «عليه السلام» أعداء يسعون لإسقاط محله عند الناس.

2 ـ إن جهدهم لإسقاط محله «عليه السلام» سوف يتجلى بصورة أوضح وأصرح بعد وفاة علي «عليه السلام»، حين يتسلم زمام الحكم.

ولعل سبب ذلك: أنهم يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر إمامته وإمامة أخيه الحسين «عليه السلام» بصورة لا تقبل النقض، حيث جعل لهما هذا المقام في جميع الأحوال، حتى إن مقام الإمامة يبقى ثابتاً له حتى لو اغتصب منه مقام الخلافة..

3 ـ صرَّح «عليه السلام»: بأن قريشاً هي التي ستتولى هذا الأمر، لأنها هي التي قررت إبعاد بني هاشم عن الحكم، لكي تستأثر به لنفسها.

وهي التي لها نفوذ واسع في العرب، لأنها فضَّلتهم على سائر الناس في

والتوحيد للصدوق ص304 ـ 308 وراجع ص109 وإرشاد القلوب ج2 ص374 ـ 376 وغاية المرام ج5 ص240 ـ 242 ونور البراهين للجزائري ج2 ص144 ـ 156 وشجرة طوبى ج1 ص188 ـ 190 وروضة الواعظين ص118 ومستدرك الوسائل ج11 ص101 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص135 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص89 ـ 91 والإختصاص (ط دار المفيد) ص235 ـ 238 وفي الإحتجاج ج1 ص609 ـ 612 وراجع ص493 و (ط دار النعمان) ص384.

المناصب والأموال والحقوق، وما إلى ذلك.. ولها نفوذ في غير العرب أيضاً، ولكنه نفوذ سلطان وأبهة، وقدرة على النفع والضرر، فقد فتحت بلادهم، وتسلطت هي وأعوانها عليهم.

4 ـ إن أعظم ما ستحاول قريش أن تصِم به الإمام الحسن «عليه السلام» هو هدم الركن الأعظم للإمامة فيه، وهو ركن علم الإمامة، اعتماداً على المقولة الرائجة المتمثلة في قوله: «أهل مكة أدرى بشعابها».. حيث سيقولون للناس: نحن قوم الإمام الحسن وعشيرته، ونحن أدرى وأعرف به من كل أحد، وهو لم يعش مع جده أكثر من سبع سنوات، كان فيها طفلاً، فمن أين يأتيه العلم؟! فإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال فيه شيئاً، فلعله بداعي العاطفة، وليس لجعل مقام الإمامة له.. وبذلك يتم جعل الحسن والحسين في دائرة المجهولين في الأمة، الذين لا يعرف فضلهم ومقامهم، وما أهَّلهم الله تعالى له، وحباهم به..

مع أن الله ورسوله قد عرَّفا الناس بهما، وكشفا لهم عن مقامهما في العلم والحكمة والتدبير، والفضل والتقوى، وغير ذلك..

5 ـ إن هذه الكلمات والمواقف من أمير المؤمنين «عليه السلام» تدل على أمرين:

أحدهما: أنه يستشرف المستقبل، ويتوقع كيف تكون مسارات الأمور واتجاهاتها فيه.

الثاني: إنه «عليه السلام» يتوقع ما يمكن أن يفكر فيه مناوئوهم، وما يمكن أن يضعوه من خطط تناسب حالهم وإمكاناتهم، وتشبه طريقة تفكيرهم،

بملاحظة ما لهم من أهداف، وغايات وآمال وطموحات.

الثالث: إنه «عليه السلام» بملاحظة هذا الاستشراف والتوقع الدقيق والعميق يخطط بدوره لإفشال خططهم، وتقويض آمالهم، ويعمل على صيانة أذهان وعقول الناس، من التزوير، وإضعاف إيمانهم بالشائعات والأباطيل، وحفظ السلامة لهم في الدنيا وفي الدين، من خلال العمل على كشف خفايا خطط المبطلين والمفسدين، ورفع مستوى الوعي والإدراك، والوضوح للأمور لدى الناس.

وهذه هي المزية الفضلى للقائد الإلهي الأمين على دين الناس، وأخلاقهم، وإيمانهم وفكرهم، وطموحاتهم المشروعة، وما إلى ذلك.

الأدب والإحترام:

وعن قول الإمام الحسن لأبيه «عليهما السلام»: «كيف أصعد، وأتكلم، وأنت في الناس تسمع وترى»؟! فوعده أبوه: أن يواري نفسه عنه، بحيث يسمعه، ويراه، ولا يراه الإمام الحسن «عليه السلام» نقول:

إننا نرى في هذا النص ما يلي:

1 ـ إن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده قد تضمن إصراراً على أن يواجه «عليه السلام» ولده بالموقف الأصعب، الذي يدركه عامة الناس، وهو أن يخطب الولد بين يدي أبيه الذي يجله ويحترمه، ويعلم أن هذا الأب هو علي بن أبي طالب أعلم الخلق، وأفضلهم، وأخطب الناس، وأعرفهم بأساليب البيان، وبدقائق المعاني، ولطائف الإشارات، وأبلغ العبارات، وأنقى وأعذب، وأفصح الكلمات.

فأصر «عليه السلام» على أن يضع ولده في الموقف الأصعب والأهيب، والأعمق أثراً على النفس، والأشد إرباكاً للفكر، وتشويشاً على الحواس، لاسيما الباطنية منها.

وكان الرفق الوحيد الذي منحه إياه، هو: أن يغيِّب نفسه عن بصره، ولكنه لم يقتصر على هذا الوعد، المبهم في ظاهره، بل أتبعه بالتصريح: بأنه سيبقى حاضراً وسامعاً، وناظراً، لا يشغله عنه أي شيء مهما كان.

2 ـ يبدو لنا: أن السبب في ذلك، هو: أنه «عليه السلام» يريد تكذيب قريش فيما سوف تحاول إشاعته وترويجه، عن الإمام الحسن، من أنه صاحب جفنة وخوان، ليس أهلاً للحكم، ولا هو من أهل السياسة والتدبير، والكياسة، والعلم، بل إن معاوية، ورجال بني أمية هم الأليق بهذه المقامات، والأجدر بهذه المناصب، والمتخصصون في سياسة العباد، وحكم البلاد، فعلى الناس أن ينسوا الإمام الحسن في مثل هذه الأمور، ويبعدوه عن ذاكرتهم.

3 ـ إن سؤال الإمام الحسن لأبيه: كيف يتكلم ويخطب، وأبوه يسمع ويرى، ليس سببه: أنه يرى نفسه عاجزاً عن الكلام بمحضره «عليه السلام»، ولا لأجل أنه سوف يتلعثم ويضطرب، بل هو يريد تعظيم أبيه، والتأدب معه، واحترامه، وإجلاله، وكأنه لا يريد أن يظهر لنفسه أي وجود بحضرته، تماماً كما كان أبوه، لا يظهر لنفسه أي وجود بحضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

4 ـ إننا نعطف على ما تقدم الإشارة إلى حقيقة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لو أنه طلب من الحسين قبل أن يطلب من أخيه «عليهما السلام»: أن يخطب الناس بحضرته، لتهيب الحسين «عليه السلام» من ذلك، كما تهيَّب أخوه، ولطرح الحسين «عليه السلام» نفس هذا السؤال علي أبيه، ولسمع منه

نفس الجواب.. لكن سبق الإمام الحسن «عليه السلام» قد مهَّد الطريق للحسين «عليه السلام».

مضمون خطاب الإمام الحسن ×:

وإذا أردنا إلقاء نظرة على ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» في خطبته، فسندرك أنه أبلغ كلام، لأنه مطابق لمقتضى الحال، وقد أتى من أهله في محله، لأنه على قدر الحاجة.

فلم تزد خطبته على سطر واحد، يحل المشكلات، ويذهب بالمعضلات، ويذلِّل المصاعب، وذلك لما يلي:

إن المعضلة الحقيقية التي تعاني منها الأمة تتمثل بشيء واحد، يمتد ليستدرج شيئاً واحداً آخر يعضده، وينمِّيه، ويقوِّيه ويرصد حركته من موقع العارف، والمقتدر، والأمين، والحريص.. ولا غنى للأول، ولا بقاء، ولا أثر له، بدونه.

فالأول منهما هو الهداية الإلهية، التي لا بد منها، ولا غنى عنها.. يجب الإلتزام بها، والتفاعل معها، والعودة إلى منابعها الحقيقية، والعذبة، والصافية، والغزيرة.

والثاني، المنبثق عن الهداية، وإيصال الموجودات إلى كمالاتها، هو الإمامة والقيادة التي تضمن صحة الهداية، وتحفظ وتدبر من موضع العلم، والبصيرة، والحكمة، والتدبير، والرعاية، والرصد، والإلتزام، والصدق، والأمانة.

ولأجل ذلك تحدث الإمام الحسن «عليه السلام» عن أبيه علي «عليه السلام»، وما لديه من علم لا نتعقل له نهايات، ولا سواحل، أو شطآن، ولا يقتصر على علوم الأولين والآخرين، بل هو أعظم من ذلك كله.. وليس فيه

أثر للظنون، والحدسيات، والأوهام، والتخيلات، والقياسات الباطلة، وما إلى ذلك.. لأن علومه «عليه السلام» يستند فيها إلى الواقع العيني المشاهد والحاضر، فاقتصر «عليه السلام» في خطبته على قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا مدينة العلم، وعلي بابها.. ليدلهم على القائد الحقيقي، الذي لا يصل أحد إلى علم النبوة إلا من خلاله، والأخذ منه وعنه..

ثم طرح عليهم سؤالاً تقريرياً صريحاً في حصر المرجعية والهداية الالهية بعلي «عليه السلام» حيث قال: «وهل تدخل المدينة إلا من بابها»؟!

والإعتماد على الكلام الصادر عن النبي «صلى الله عليه وآله» يحتِّم على السامعين البخوع، والخضوع والطاعة، والاستجابة، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿**اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[1].

فالإمام الحسن «عليه السلام» لم ينشئ كلاماً من عند نفسه، بل نقل كلام الرسول الذي صرَّح فيه باسم علي، فليس لأحد أن يدَّعي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد يصيب وقد يخطئ.. وبعد التصريح باسم علي ليس لأحد أن يدَّعي: أن هذا الكلام، وإن كان حقاً، لكن لا شيء يدل على انطباقه على علي «عليه السلام»، أو على حصر مصداقه به..

ثم جاء خطاب الحسين «عليه السلام» على نفس النسق، وبنفس الوقع، حيث يتضمن التحذير الشديد من التخلف عن هذا التوجيه الالهي الحازم، فقد روى حديثاً، مصرحاً باسم علي أيضاً، فقال:

(1) الآية 24 من سورة الأنفال.

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «إن علياً «عليه السلام» مدينة هدى، فمن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك»..

وبذلك يعلم: أنه ليس لأحد أن يستسهل الخروج على التوجيه النبوي إلى إمامة علي «عليه السلام»، استناداً إلى تعللات لا تسمن ولا تغني من جوع.

الحسين × لا يبصر شيئاً:

وتقدم: أن الإمام علياً «عليه السلام» أمر ولده الإمام الحسن «عليه السلام» بالخطبة، قائلاً له: «لا يُجَهِّلُكَ قريش من بعدي، فيقولون: الحسن لا يحسن شيئاً».

ولكنه حين خاطب الحسين «عليه السلام»، وأمره بأن يخطب، قال له: «تكلم بكلام لا يُجَهِّلُكَ قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي «عليه السلام» لا يبصر شيئاً».

فلماذا اختلف التعبير بين «لا يحسن» و «لا يبصر»؟!

لعل السبب في هذا الاختلاف: أن الحسن «عليه السلام» سوف يتولى الإمامة وتدبير شؤون الأمة، وإجراء سياساتها بالنحو الأمثل، والأفضل.. فالطعن في مؤهلاته «عليه السلام» في الإدارة، والسياسة، والتدبير هو الذي يثير اهتمامات الناس، ويتوجسون شراً من الإساءة والإخفاق فيها.. ولو طعن فيها طاعن، فإن طعنه يؤخذ على محمل الجد، وتنتعش وساوس الناس وشكوكهم.

لكن الأمر بالنسبة للحسين «عليه السلام» سيكون له بعد آخر، فإن معاوية بعد أن دس السم للإمام الحسن «عليه السلام» بواسطة زوجته جعدة بنت

الأشعث، ثم نقض العهد الذي أعطاه إياه، وعمل على أخذ البيعة ليزيد بولاية العهد بالترهيب، وبالترغيب، مع أنه كان قد تعهد في بنود الصلح مع الحسن «عليه السلام»: بأن يكون الأمر للحسن بعد معاوية، ثم للحسين «عليه السلام».. ظهر: أنه بعد موت معاوية ستصير الأمور إلى يزيد القاتل، والتارك للصلاة، والشارب للخمر، والفاجر الفاسق. الذي سيصر على إجبار الحسين على البيعة له تحت طائلة القتل في صورة الإمتناع.

وحيث إنه لا يمكن المقايسة بين سيد شباب أهل الجنة، وبين يزيد الذي عرفنا بعض مخازيه، فسيبحث أتباع يزيد عن أسلوب آخر للتعمية عن الحقائق. فيدَّعون: أن الحسين هو الذي صمم على حرب يزيد، وخرج عليه، لأنه يشبه أباه في حبه لسفك الدماء، ولأنه إذا غضب لا يبصر شيئاً أمامه، بل يبادر إلى البطش بكل من يقف في طريقه.

وبذلك يصير يزيد هو المظلوم والمعتدى عليه، الذي يحق له الدفاع عن نفسه.. فقتل الحسين «عليه السلام» بسبب ذلك.. وهذا تزوير وخيانة للدين والأمة، ما بعدها خيانة.

الحسنان ' وديعة الرسول:

وعن قول علي «عليه السلام» بعد كل ذلك الذي جرى: «معاشر الناس، اشهدوا أنهما فرخا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووديعته التي استودعنيها. وأنا أستودعكموها» **نقول:**

لقد قرر «عليه السلام»:

1 ـ أن الحسنين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا ما سيحاول أعداؤهما إنكاره.

2 ـ أن الحسنين «عليهما السلام» وديعتا الرسول عنده، ولا بد من حفظ الوديعة.. وهذه إشارة إلى الخطر الذي يتهددهما.

3 ـ وحين لا يمكن حفظ الوديعة مباشرة، فلا بد من الإستنابة في ذلك، وإذا كانت الوديعة هي وديعة أفضل الأنبياء، فالعقل يحتم على الأمة كلها أن تحفظ ودائعه ولو من دون تنصيص، فكيف وقد أودعها عند الناس من هو نفس الرسول في كل شيء. فإن وجوب الحفظ يصير من ثلاثة أوجه، من جهة النبي، ومن جهة الوصي، ومن جهة العقل.. لاسيما وأن الوديعة هي إمام ووصي جعل الله تعالى ورسوله له مقام الإمامة هذا.

أنتما إمامان بعقبي:

محمد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين الأشناني، عن محمد بن يزيد القاضي، عن محمد بن آدم، عن جعفر بن زياد الأحمر، عن أبي الصيرفي، عن صفوان بن قبيصة، عن طارق بن شهاب قال:

قال أمير المؤمنين «عليه السلام» للحسن والحسين «عليهما السلام»: أنتما إمامان بعقبي، وسيدا شباب أهل الجنة، والمعصومان، حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما[1].

____

(1) راجع: كفاية الأثر للخزاز القمي (ط الخيام سنة 1401هـ) ص221 و 221 والعوالم، الإمام الحسين ج17 ص77 ومستدركات علم رجال الحديث ج4 ص285 وإثبات الهداة ج2 ص549 وبحار الأنوار ج43 ص264 و 265 عن الروضة، وراجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج18 ص735.

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى الأمور التالية:

النص من علي × على ولديه ':

للإمام علي «عليه السلام» خصوصيات وميزات اجتمعت له، ليست لغيره من الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين»، فضلاً عن الذين دونهم.

فلاحظ ما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» أعظم الناس شأناً، وأفضل الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في علمه، وفي جهاده، وفي دفاعه عن هذا الدين، وفي تقواه، وأخلاقه، وسائر ميزاته..

ويكفي أن القرآن الكريم صرَّح في آية المباهلة: بأنه نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بالإضافة إلى الآيات الكثيرة جداً التي نزلت في الثناء عليه، وفي تقرير ولايته، بل كونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فثبتت إمامته بالنص القرآني، والنص من رسول الله.. فضلاً عن فضائله الكثيرة التي لا يكاد يمكن إحصاؤها.. حيث لا إمامة للمفضول، مع وجود الفاضل.

ب: إن المسلمين قد بايعوه قبل وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً، بأمر من الله، وتدبير من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل إن جميع الذين تسلطوا على الناس، وسمَّوا أنفسهم خلفاء كانوا في جملة من بايعه، بالإضافة إلى عشرات الألوف من المسلمين..

وحين قتل عثمان أصر عليه الناس بالبيعة له، وبقوا يلاحقونه عدة أيام من بيت إلى بيت ومن مكان إلى مكان، حتى قبل ذلك منهم، فبايعوه مختارين

مسرورين، بإصرار كبير، وتهافت شديد.

ج: فلا تقاس خلافة علي «عليه السلام» بخلافة غيره من مخالفيه كأبي بكر، وعمر وعثمان.. فإن خلافة أبي بكر قد جاءت ناقضة لقول الله ورسوله في علي «عليه السلام»، ولبيعة الأمة له «عليه السلام»، بل هي مناقضة لبيعة هؤلاء الثلاثة أنفسهم لعلي «عليه السلام» يوم الغدير.

وهي (أعني خلافة أبي بكر و.. و..)، قد جاءت لتغتصب حقاً جعله الله تعالى لغيرهم، وكانت خلافته نتيجة لجهد بذلته قبائل كانت تعيش حول المدينة، وهي جهينة ومزينة، وأسلم وغفار التي يقال: إن الله تعالى قد وصم هذه القبائل، ووصفها بالنفاق في قوله سبحانه: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾(1).

فقد دخل هؤلاء المدينة، في فجر الليلة التي دفن فيها النبي «صلى الله عليه وآله»، وكانوا من الكثرة، بحيث تضايقت سكك المدينة بهم، وصاروا يستخرجون الناس من بيوتهم بالقوة والقهر، ليبايعوا أبا بكر جبراً.. بالإضافة إلى ضروب أخرى من العدوان مارسوها على أهل بيت النبوة، ومنها ما صنعوه بالزهراء فاطمة «عليها السلام»، فقد ضربوها عدة مرات، وكسروا جنبها، وأسقطوا جنينها، وحاولوا إحراقها، مع زوجها، وأبنائها.. وجاؤوا بالحطب وأضرموا النار به على باب بيتها.

ثم تفرعت خلافة عمر بن الخطاب على خلافة أبي بكر، وحملت جميع سماتها، لأنها كانت من ثمراتها، فلا يمكن أن تكون شرعية.. لا هي، ولا البيعة

---

(1) الآية 101 من سورة التوبة.

التي تستند إليها، وتتفرع عنها.

ثم تفرعت عن هذه وتلك البيعة لعثمان، التي كانت نتيجة شورى كرست تشبثهم بحق ليس لهم، والتحكم الذي لا مبرر له. كما أوضحناه في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».

د: وبعدما تقدم يتضح: أن هذا التقرير من علي «عليه السلام» لإمامة الحسن والحسين «عليهما السلام» من بعده، قد صدر من إمام مطهر معصوم، هو أعلم، وأفضل، وأتقى الخلق.. وهو منصوص على إمامته من الله ورسوله، وقد بايعته الأمة مرتين.

إحداهما: كانت يوم الغدير بتدبير من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والثانية: كانت بإصرار من الأمة عليه، وقد امتنع من قبولها، ثم رضي، فبايعه الناس عن اقتناع واختيار.

فهل يمكن التشكيك في صحة، ونفوذ هذا التقرير منه «عليه السلام» لإمامة الحسن والحسين «عليهما السلام»، مع العلم: بأن تقريره هذا قد جاء متوافقاً مع قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»؟!

وقوله «صلى الله عليه وآله» لهما: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة؟!

وهذا أبوهما، وهو وصي الرسول «صلى الله عليه وآله» يقول لهما:

«أنتما إمامان بعقبي، وسيدا شباب أهل الجنة، والمعصومان الخ..».

إمامان بعدي:

وتستوقفنا الصيغة التي اختارها أمير المؤمنين «عليه السلام» في تقرير

إمامة ولديه بعده، فقد قال «عليه السلام» لهما: أنتما إمامان بعدي، فيلاحظ:

أولاً: أنها عبارة تصلح: أن تكون إنشاءاً منه «عليه السلام» وجعلاً لمقام الإمامة لهما.. كما أنها يمكن أن تكون للتذكير بمضمون قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهما: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا».

ثانياً: إن قوله «عليه السلام»: «بعقبي» يشار به إلى الظرف الذي تكون هذه الإمامة قد بلغت مرحلة الممارسة والتصدي الفعلي لشؤونها..

وقد جاء بالباء التي تفيد الإلصاق، حيث لم يقل: «من بعدي»، بل بعقبي، لكي لا يدَّعي متعنِّت: أن قوله هذا لا يدل على أن إمامتهما تكون بعده بلا فصل، وبهذا الزعم يصحح ما فعله معاوية من الإستيلاء بالقوة على مقام الخلافة.. ويخرجه من دائرة المتغلب، ويجعل ـ بزعمه ـ الإمام الحسن «عليه السلام» هو المعتدي، والخارج على معاوية بغير حق، بادِّعاء: أن معاوية قد أعلن خلافة نفسه بعد قضية التحكيم مباشرة.

ومن المعلوم: أن علياً «عليه السلام» هو الخليفة الذي لا مجال للشك في شرعية خلافته للأمور التي تحدثنا عنها آنفاً، مع ملاحظة: أنه «عليه السلام» إنما يتحدث عن إمامة قررها لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد جاء بالباء المفيدة للإلصاق في قوله: «بعقبي»، لكي يشير «عليه السلام» إلى ظرف صيرورتها فعلية وعملية.. ثم زاد على ذلك ما يؤكد هذه الفعلية التي تحدث عنها بأن أوصى إلى الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن يكون هو الإمام من بعده، ثم بايع الناس الإمام الحسن.. فيكون قد جمع في إمامته بين وجوه الشرعية كلها.

بالإضافة إلى أن نفس هذه الكلمة التي نتحدث عنها.. تستبطن كِلا

الشرعيتين، لأنها تدل على الإنشاء والجعل منه «عليه السلام» لمقام الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، وتذكِّر أيضاً بالجعل النبوي السابق لهذا المقام لهما.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قال: «أنتما إمامان» بتنكير كلمة «إمامان» ولم يقل: «الإمامان»..

وربما كان هذا هو المتعين، ليدل الكلام على أن إمامة كل واحد منهما لها ظرفها الزماني الخاص بها. أي أن إمامة الإمام الحسن «عليه السلام» التي جعلها الله له، يكون وقت توليه شؤونها الفعلية في حقبة زمنية مستقلة تماماً عن حقبة تولي الإمام الحسين «عليه السلام» ذلك بصورة فعلية وعملية.

فلا مجال لتوهم التداخل الزماني بينهما..

أما افتراض أن يكون الزمان واحداً، ولكن المكان يختلف.. فهو غير وارد، ولا صحيح، لأن السلطة والحكومة الظاهرية شيء، والإمامة شيء آخر.. فإن السلطة والخلافة، بمعنى الحكم والإدارة العملية هي شأن من شؤون الإمامة.. والسلطة يمكن توزيعها بحسب الأمكنة، حيث يمكن إقامة العدل، وإجراء الأحكام على يد شخص في بلد، في حين يتولى شخص آخر هذا الأمر في بلد آخر..

أما الإمامة، فهي منصب إلهي، وولاية على الخلق ، وتربية وهداية للعباد، وتول وتدبير عام للأمة في كل زمان، كما أنه مقام يشمل جميع الموجودات، من البشر، والحجر، والشجر، والبقاع، والبهائم، والماء، والهواء، وسائر الموجودات العاقلة، وغيرها.. فإن ذلك كله مشمول لتدبير الإمام، وتصرفاته، ورقابته، وهيمنته، ورعايته، ومسؤولياته، وما إلى ذلك.. ولأجل هذا التفاوت بين الإمامة

والخلافة عبَّر «عليه السلام» بكلمة إمامة، لا بكلمة خلافة.

الحسنان معصومان:

1 ـ إن من أهم صفات الإمام والقائد الإلهي هو الكمال، والعصمة عن الذنب، والخطأ، وعن أي عيب أو نقص.. لأن مقام الإمامة يستبطن معاني الهداية، والدلالة، والأسوة والقدوة، والتدبير، والتربية، وهذا يحتاج إلى العصمة في الإمام في كل ما يقول، ويفعل.. ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

كما أن مقام الإمامة فيه تربية، وإشراف، ورعاية، وتدبير، وسياسة، وتنشئة، وإيصال المخلوقات والموجودات إلى كمالاتها، والتأكد من انسجامها مع السنن والنواميس التي أودعها الله في هذا الكون الرحيب، لتكون من وسائل صلاحه، وإصلاحه.. فأي خطأ، أو تعدٍّ، أو اختلال، أو غفلة، أو جهل، أو قصور أو تقصير في أي مورد سوف تنشأ عنه اختلالات، تؤدّي إلى الإعاقة، أو إلى تضييع الأهداف الإلهية، وسيكون من موارد الإفساد، في حين أن المطلوب هو الإصلاح، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2].

إذن، فالعصمة التامة في الإمام والقائد الإلهي هي المنسجمة مع المهمات والأهداف، كما تقدم.

---

(1) الآية 35 من سورة يونس.
(2) الآيتان 103 و 104 من سورة الكهف.

2 ـ يلاحظ: أن الحديث عن عصمة الحسن والحسين «عليهما السلام» قد جاء مختلفاً عن الحديث عن إمامتهما.. فقد رأينا أن قوله «عليه السلام»: «أنتما إمامان» قد جاء بصيغة التنكير لا التعريف.

وقد تقدم الوجه في ذلك..

ولكن حديثه عن العصمة قد جاء على عكس ذلك، فقد ذكرها «عليه السلام» معرَّفة بالألف واللام، فقال: «المعصومان»، ليدل على أن العصمة عامة، وراسخة، وشاملة، وحالة ثابتة.

ولعل السبب في ذلك: أنه يريد أن يثبت العصمة للحسنين «عليهما السلام» بجميع مراتبها، وفي جميع الموارد، والأحوال، والأزمان.. لأن الخطأ لو صدر من الإمام، مهما كان حجمه، وأيّاً كان سببه نقض للغرض، يسقط معنى الإمامة ويجافيه..

كما أن كلمة «المعصومان» لو جاءت نكرة لتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» بصدد الإخبار عن أمر كشفه وعرفه، وتوصل إليه، وربما كان يخبر عن استقراء ناقص، ومفردات اطلع عليها.. ولعل الخطأ كان في موارد خفية، وحتى لو لم يكن هناك خطأ في جميع الموارد.. فإن الإستقراء لها لا يمنع من حصول الخطأ في المستقبل فيها، أو فيما عداها.

سيدا شباب أهل الجنة:

1 ـ إن قوله «عليه السلام»: «وسيدا شباب أهل الجنة» بعد قوله: «أنتما الإمامان بعقبي».. ربما جاء ليكرس معنى التوافق التام بين السيادة في الدنيا والآخرة، وعلى التوافق بين الكمالات والمؤهلات في مختلف المجالات التي

هي ملاك السيادة، ومنها العلم والعصمة، والتقوى، والحكمة، وغير ذلك.. بالإضافة إلى التوافق بين عملهما «عليهما السلام» في الدنيا، وبين جزائهما عليه في الآخرة، فإن سيادتهما على شباب أهل الجنة يدل على أن عملهما في الدنيا كان في غاية الصلاح والسداد والفلاح.

أما الذين هم بصدد إقصائهما عن مقامهما في الدنيا، فإن موقعهم في الآخرة يتناقض مع ما يدَّعونه زوراً لأنفسهم من صلاح وصحة عمل في دنياهم، لأن مصيرهم في الآخرة يكشف عن أنهم ممن ضل سعيهم في الحياة، وهم يدَّعون أنهم يحسنون صنعاً.

وهذا دليل آخر على أنهما «عليهما السلام» على الحق، وأن مخالفيهم على الباطل، مع ملاحظة: أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نفسه، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، هو الذي أخبر عن سيادتهما «عليهما السلام» لشباب أهل الجنة.

2 ـ ثم إنه «عليه السلام» دعا لهما بالحفظ، ربما ليشير إلى أن مناوئيهما لن يقر لهم قرار، وسيعملون ليل نهار على التخلص منهما، إن لم يكن بواسطة السم كما جرى للإمام الحسن «عليه السلام»، فقتلاً بالسيف، كما جرى للإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء.

3 ـ ونتيجة ذلك: أن من عادى إمام الأمة المنصوب من قبل الله ورسوله ومن قِبَلِ أخي الرسول، وبغى له الغوائل، ودبر المكائد مع علمه: بأنه سيد شباب أهل الجنة، وبأنه مطهر معصوم.. كما صرح به القرآن الذي سوف يبقى يتلى إلى يوم القيامة..

نعم، إن من يفعل ذلك، لا يستحق الرحمة الإلهية، والقرب منه تعالى، بل يستحق اللعن والطرد والإبعاد.. ولذلك قال علي «عليه السلام» هنا: «ولعنة الله على من عاداكما».

الفصل الثاني

من علومهم ^..

الإمام الحسن ×، وأسئلة ابن الأصفر:

قال الشيخ الصدوق: أبي، عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: بينا أمير المؤمنين «عليه السلام» في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفتٍ، ومن بين مستعدٍ، إذ قام إليه رجل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فنظر إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» بعينيه هاتيك العظيمتين، ثم قال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟!

فقال: أنا رجل من رعيتك، وأهل بلادك.

قال: ما أنت من رعيتي، ولا من أهل بلادي، ولو سلَّمت علي يوماً واحداً ما خفيت علي.

فقال: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: هل أحدثت في مصري هذا حدثاً منذ دخلته؟!

قال: لا.

قال: فلعلك من رجال الحرب؟!

قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها، فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية، متغفلاً لك أسألك عن شيءٍ بعث فيه ابن الأصفر، وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر، والخليفة بعد محمد «صلى الله عليه وآله»، فأجبني عما أسألك، فإنك إذا فعلت ذلك اتَّبعتك، وبعثت إليك بالجائزة.

فلم يكن عنده جواب، وقد أقلقه ذلك، فبعثني إليك لأسألك عنها.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: قاتل الله ابن آكلة الأكباد ما أضلَّه وأعماه ومن معه!

والله لقد أعتق جارية فما أحسن أن يتزوج بها، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، عليَّ بالحسن والحسين ومحمد!!

فاحضروا، فقال: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت!!

فقال: أسأل ذا الوفرة، يعني الحسن «عليه السلام»، وكان صبياً.

فقال له الحسن «عليه السلام»: سلني عما بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟! وكم بين السماء والأرض؟! وكم بين المشرق والمغرب؟! وما قوس قزح؟! وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟! وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟! وما المؤنث؟! وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟!

فقال الحسن بن علي «عليهما السلام»: بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً.

قال الشامي: صدقت.

قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومدّ البصر، فمن قال لك غير هذا، فكذِّبه.

قال: صدقت يا ابن رسول الله.

قال: وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وحين تغيب في مغربها.

قال الشامي: صدقت، فما قوس قزح؟!

قال: ويحك لا تقل: قوس قزح، فإن قزح اسم شيطان، وهو قوس الله وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين، فهي عين يقال لها: برهوت.

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين، فهي عين يقال لها: سلمى.

وأما المؤنث، فهو الذي لا يدرى أذكر هو أو أنثى، فإنه ينتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كانت أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له: بل على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط، فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير، فهي امرأة.

وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض، فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار تذيب الحديد، وأشد من النار الماء يطفئ النار، وأشد من الماء السحاب يحمل الماء،

وأشد من السحاب الريح يحمل السحاب، وأشد من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين، الذي يميت الموت..

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأن علياً أولى بالأمر من معاوية..

ثم كتب هذه الجوابات، وذهب بها إلى معاوية، فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر..

فكتب إليه ابن الأصفر: يا معاوية، لِمَ تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟!

أقسم بالمسيح ما هذا جوابك، وما هو إلا من معدن النبوة وموضع الرسالة، وأما أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك[1].

---

(1) الخصال (ط جماعة المدرسين) ص440 ـ 442 وروضة الواعظين ص45 ـ 46 والإحتجاج ج1 ص398 ـ 401 والثاقب في المناقب ص319 ـ 320 والخرائج والجرائح ج2 ص572 ـ 573 ومدينة المعاجز ج2 ص203 ـ 205 وج3 ص355 ـ 358 وبحار الأنوار ج10 ص129 ـ 131 وج33 ص238 ـ 240 وج43 ص325 ـ 326 وعيون أخبار الرضا ج1 ص66 وتحف العقول ص160 ـ 162 و (ط مركز النشر الإسلامي) ص228 ـ 230 ومسند محمد بن قيس البجلي (تحقيق بشير المازندراني) ص134 ـ 136 وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» ص203 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص490 و 508.

وفي رواية أخرى لهذه القضية: أن علياً «عليه السلام» قال لرسول معاوية: «إن ابن الأصفر بعث بمسائل إلى معاوية، فأقلقته وأرسلك إلي لأجلها.

قال: صدقت يا أمير المؤمنين، إن معاوية أرسلني إليك في خفية، وأنت قد اطَّلعت على ذلك، ولا يعلمها غير الله.

فقال «عليه السلام»: سل أحد ابني هذين..

قال: أسأل ذا الوفرة ـ يعني الحسن ـ.

فأتاه، فقال له الحسن: جئت تسأل كم بين الحق والباطل الخ..»(1).

وفي النص الذي رواه ابن شعبة هكذا: «وكم بين المشرق والمغرب؟! وعن هذا المحو الذي في القمر؟! وعن قوس قزح؟! وعن هذه المجرة؟! وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض؟! وعن أول شيء اهتز عليها؟! وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟! وعن العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟!

---

(1) الخصال (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص440 ـ 442 و 236 و (ط أخرى) ج2 ص506 وبحار الأنوار ج10 ص129 ـ 131 وراجع: ج33 ص238 ـ 240 وج43 ص325 و 326 وج7 ص199 وج72 ص196 وج101 ص358 وج6 ص284 وج56 ص277 والخرايج والجرايح ج2 ص572 و 573 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري (ط مؤسسة الأعلمي) ص154 والاحتجاج ج2 ص13 ـ 17 وروضة الواعظين ص57 ومدينة المعاجز (ط الحجرية) ص222 وحلية الأبرار ج1 ص503 وإثبات الهداة ج4 ص552 وج5 ص162 ووسائل الشيعة (ط الاسلامية) ج8 ص448 وتحف العقول ص228 والصراط المستقيم ج2 ص178.

وعن المؤنث؟! وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: يا أخا أهل الشام، بين الحق والباطل أربع أصابع، ما رأيت بعينيك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً..

وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومد البصر، فمن قال غير هذا فكذِّبه.

وبين المشرق والمغرب يوم مطَّرد للشمس، تنظر إلى الشمس حين تطلع، وتنظر إليها حين تغرب، فمن قال غير هذا فكذِّبه.

وأما هذه المجرة، فهي أشراج السماء منها مهبط الماء المنهمر على قوم نوح.

وأما قوس قزح، فلا تقل: قزح.. فإن قزح شيطان، ولكنها قوس الله، وأمان من الغرق.

وأما المحو الذي في القمر، فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس، فمحاه الله وقال في كتابه: ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾(1).

وأما أول شيء انتضح على وجه الأرض، فهو وادي دلس.

وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض، فهي النخلة»(2).

ونقول:

إيضاحات:

1 ـ ابن الأصفر: هو ملك الروم. ويقال للروم: بنو الأصفر، لأن أباهم

(1) الآية 12 من سورة الإسراء.

(2) بحار الأنوار ج33 ص238 و 239 وتحف العقول ص164 و (ط جماعة المدرسين سنة 1404هـ ق) ص228

الأول كان أصفر اللون.. وهو روم بن عيص، بن إسحاق، بن إبراهيم[1]، لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم، فوطئ نساءهم، فولد لهم أولاد صفر، كما قاله الفيروزآبادي.

2 ـ **قال العلامة المجلسي**: «قطعوا رحمي: أي لم يراعوا الرحم التي بيني وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو بيني وبينهم.. فالمراد به: القريش. والأول أظهر»[2].

3 ـ الوفرة: «الشعر المجتمع على الرأس، أو ما سال على الأذنين منه، أو ما جاوز شحمة الأذن»[3].

4 ـ أضاعوا أيامي: المراد بالأيام الوقائع المشهورة له «عليه السلام» كجهاده أعداء الله في بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، ومبيته على فراش النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وغير ذلك..

5 ـ المؤنث: الرجل الذي يشبه المرأة في لينه، وتكسُّر أعضائه، ورقة كلامه، كما ذكره الفيروزآبادي.

6 ـ **قال المجلسي**: قوله «عليه السلام»: «فمن قال غير هذا فكذِّبه»، أي لا يعلم أكثر الناس ولا يصلحهم أن يعلموا بغير هذا الوجه، فلا ينافي ما ورد من تحديده في بعض الأخبار لبعض المصالح[4].

---

(1) بحار الأنوار ج10 ص131 عن النهاية لابن الأثير مادة: صفر.

(2) بحار الأنوار ج10 ص131.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

أو أن المراد من قال غير هذا برأيه.

7 ـ اطَّرد الشيء: تبع بعضه بعضاً، وجرى..

8 ـ الشرج: محركة: العري. ومنفسح الوادي، ومجرة السماء، وجمعه أشراج.

9 ـ قوله: وأشد من الريح الملك. أي أن الملك الموكل بالريح أشد من الريح.

متى حصل هذا؟!:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن الحسن «عليه السلام» كان صبياً حين حصول هذا الأمر.. وهذا يعني: أنها حصلت قبل أن يولد محمد ابن الحنفية، ويكبر، ويصير بحيث يجيب على أسئلة عجز عنها الناس.. فمتى قَدِم أمير المؤمنين العراق، والحسنان كانا صبيين؟!

ولو أنه «عليه السلام» قَدِم إلى العراق حين كان الحسن صبياً، فلا معنى لذكر محمد ابن الحنفية من الأساس..

ونجيب بما يلي:

أولاً: صرحت الرواية المتقدمة: بأن هذه الإجابة على أسئلة ابن الأصفر قد حدثت في مسجد الكوفة، حيث كان الناس متراكمين على علي «عليه السلام» بين مستفت ومستعد، وإنما جاء علي «عليه السلام» إلى العراق بعد أن بويع بالخلافة.

فاحتمال أن يكون ذلك قد حصل في قدوم لعلي وأبنائه إلى العراق قبل خلافته، لا شاهد له في النصوص.

ثانياً: إن الرواية نفسها تقول عن علي «عليه السلام»: «والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفت، ومن بين مستعد..».

والمستعدي هو الشاكي خصماً، ويريد انتزاع حقه منه، أو إنزال العقوبة به، أو ردّ عدوانه عنه، وهذا من شؤون الحاكم والوالي وقضاته، ولم يكن علي «عليه السلام» حاكماً، ولا قاضياً عند الحاكم قبل بيعة الناس له بالخلافة.

ثالثاً: إن ذلك السائل قال لعلي «عليه السلام»: أنا رجل من رعيتك، وأهل بلادك قال: ما أنت من رعيتي، ولا من أهل بلادي.

مع أن الرعية إنما صارت تنسب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» بعد البيعة له بالخلافة.

رابعاً: قال في الصحاح: الصبي الغلام(1).

وقالوا أيضاً عن الغلام: إنه الطار الشارب، والكهل ضد(2).

وقالوا: الغلام من حين يولد إلى أن يشب، والعبد(3).

ويقال: الغلام من حد البلوغ إلى الثلاثين(4).

ومعنى ذلك: أن الصبي، إذا كان هو الغلام، والغلام يطلق على من كان في سن الثلاثين، فيصح أن يقال عن الإمام الحسن: إنه صبي، وغلام، لأنه ربما لم يكن آنئذٍ قد بلغ الثلاثين من عمره.

---

(1) أقرب الموارد مادة: «صبو».

(2) أقرب الموارد ج2 ص884.

(3) أقرب الموارد ج2 ص882.

(4) أقرب الموارد ج2 ص566.

وكذلك الحال بالنسبة لمحمد ابن الحنفية.. فإنه كان في خلافة أبيه رجلاً كاملاً، وقد شارك في حرب الجمل، وحمل راية العسكر وقاتل.

خامساً: إن كلمة «وكان صبياً» إنما وردت في بعض المصادر دون بعض. ولعلها من كلام الراوي، لا من كلام أبي جعفر «عليه السلام».

السائل يختار الإمام الحسن للإجابة:

وقد ذكرت الرواية: أن السائل اختار الإمام الحسن «عليه السلام» للإجابة على مسائله..

ولعل سبب اختياره هذا: أنه شعر بأنه الأكبر سناً من أخويه، فيكون أحرى بمعرفة الجواب.. كما أن من الممكن أن لا يكون هذا الإختيار مستنداً إلى سبب بعينه يرتبط بمضمون الإجابة، أو بغير ذلك.

وربما كان ميله إلى ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه توقع أن يجد بغيته عند أحدهما، لقربهما، وخصوصيتهما لدى الرسول.. وهو إنما يريد إجابة صحيحة ترضي ابن الأصفر، لكي يفي بوعده لمعاوية باتِّباعه، وإتحافه بالجائزة.

كما أن حامل الأسئلة، ربما كان يتوقع أيضاً: أن يناله نصيب من مرسله كمكافأة له..

ابن الحنفية عالم رباني:

وقد تضمنت هذه الرواية: شهادة عظيمة من علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في حق ولده محمد (المعروف بابن الحنفية): بأنه من العلماء الأكفاء، القادرين على الإجابة على أعقد المسائل.. حتى استحق أن يطلب حضوره، وأن يجعله إلى جانب أخويه الإمامين المعصومين اللذين لديهما علم الإمامة،

وميزاتها، ومؤهلاتها، والصفات المعتبرة فيها..

أي أن علياً «عليه السلام» هو الذي طلب حضور محمد مع أخويه.. وجعله في معرض السؤال الذي لم يسمعه أمير المؤمنين، ولا أحد من أبنائه بعد..

ولم يكن حضور محمد اتفاقياً، بمعنى: أن السائل قد حضر، وطرح مسائله على علي، فحولها إلى أحد أولاده، لأنه عرف مضمونها، وعرف قدرتهم على الجواب عنها.. بل أحاله على أمر يرى الناس أنه لا يزال مجهولاً للجميع، ليدل على أنه قادر على الجواب، مهما كانت الأسئلة صعبة وعويصة.. وذلك ليدل على عظيم فضل محمد، وجليل مقامه، ومدى ثقته بعلمه.

وإذا كان «عليه السلام» قد علم بمضمون الأسئلة بصور إعجازية، وكذلك ولداه الإمامان من بعده.. فإن ابن الحنفية نفسه لم يكن يعلم شيئاً عن تلك المسائل.. فالأمر سيكون ثقيلاً عليه.

وقد روي: أن محمداً بعد استشهاد أبيه طالب الحسنين «عليهما السلام» بميراثه من علم أبيه، فدفعا إليه صحيفة، ولو أعطياه أكثر منها لهلك[1].

وفي نص آخر: أن هذه الصحيفة كانت أقل من شبر، أو أكبر من أربع أصابع[2].

ولكن حصوله على هذه الصحيفة كان بعد استشهاد أبيه.. وأسئلة ابن الأصفر كانت في حياة أبيه «عليه السلام».

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص149 وبحار الأنوار ج42 ص103 والكنى والألقاب ج1 ص176 و 177 وإثبات الهداة ج5 ص43.

(2) بصائر الدرجات ص180 وبحار الأنوار ج42 ص77.

ابنا الرسول وابن علي:

وقد تقدم: أن علياً «عليه السلام» أحضر أولاده الثلاثة، ثم قال لحامل الأسئلة: «هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فاسأل أيهم أحببت».

فنلاحظ:

1 ـ أن كون الحسنين «عليهما السلام» ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع أنهما من أبناء علي أيضاً إنما هو بلحاظ أمرين:

أحدهما: أنهما ابنا النبي «صلى الله عليه وآله»، من حيث إنهما ابنا ابنته فاطمة «عليها السلام».

الثاني: أنهما ابناه روحياً، وأخلاقياً، وسلوكياً، من حيث هما وارثان لعلم النبوة، ولديهما من صفات وسمات النبي «صلى الله عليه وآله» ما جعلهما جديرين بخلافته، وتحمل مسؤولياته في هداية الأمة وتدبيرها، والولاية عليها وتربيتها، وإصلاح شؤونها من موقع العلم والحكمة، والصدق والصبر، والإخلاص، والتقوى، والعصمة والأخلاق، والمحبة والرحمة، وما إلى ذلك.

2 ـ بالنسبة لكون محمد هو ابن علي «عليه السلام» نقول أيضاً:

إن أحداً لا يشك في أن ابن الحنفية هو ابن علي «عليه السلام»، فالمراد بنوَّته له في النهج والسلوك، والصفات، والسمات.. وإن كان مقامه لا يصل إلى مقام الحسن والحسين في ذلك، وفي العلم والفضل والعصمة، والحكمة والتقوى، وما إلى ذلك من صفات وسمات..

ونسبة أمير المؤمنين محمداً إلى نفسه إنما هو لإظهار الإعتزاز به، والثناء عليه للتعريف بفضله، وميزاته وصفاته.

دلالات في موقف علي:

في هذه الرواية دلالات كثيرة يحسن لفت النظر إليها، ولو على سبيل الإشارة، نذكر منها ما يلي:

1 ـ إن سند هذه الرواية معتبر، وعاصم بن حميد، هو الحناط الحنفي، وهو ثقة عين.. ومحمد بن قيس هو الكوفي البجلي، وهو ثقة أيضاً.

2 ـ إن أمير المؤمنين حين ردَّ دعوى الرجل أنه من رعيته، وأهل بلاده نافياً ذلك بصورة قاطعة، قد دل على ما يلي:

أولاً: إنه كان يعرف جميع رعيته وأهل بلاده فرداً فرداً.

ثانياً: إن هذه المعرفة الشاملة تمكِّن العارف بها من متابعة الأمور، وضبطها بصورة دقيقة وشاملة، وتمكنه من وضع الأمور في مواضعها، ويعرف كيف يطبق ما لديه من خطط على ما لديه من قوى وإمكانات بشرية، وسواها.

ثالثاً: إن هذه المعرفة تجعل من يملكها قادراً على مواجهة أي مشكلة بين شخصين بصورة أسرع مما لو لم يكن عارفاً بالأشخاص، وإمكاناتهم، ومدى تأثيرهم، ومقدار ما يمكن أن يساهموا في حل ذلك المشكل الطارئ.

ومن لا يملك هذه المعرفة يحتاج إلى وقت قد يصل إلى ضعف أو أضعاف الوقت الذي يستغرقه من يملك هذه المعرفة، لو بادر إلى حل المشكل بصورة فورية.. وقد يحتاج الحصول على هذه المعرفة إلى وقت أطول، تحدث فيه تطورات ومضاعفات تفاقم المشكلة، وتعقد الأمور، وتحتاج إلى بذل أثمان أكبر وجهد أكثر، هذا إن لم تستعص على الحل، وتجعله مستحيلاً أو يكاد.

3 ـ إنه «عليه السلام» قال لذلك الرجل: «ولو سلمت عليَّ يوماً واحداً

ما خفيت علي».

وهذا يدل:

ألف: على قوة الذاكرة، التي قلَّ نظيرها، أو لا نظير لها، إلا لدى نبي، أو إمام مثله.

ب: على أنه «عليه السلام»، في حالة إدراكية بالغة لا نظير لها، إذ ليس من السهل بلوغ هذا الحد، بحيث لا يشغله همٌّ أو انشغال بال، أو أي شيء عن استيعاب ما يخبر به، أو يقع نظره عليه.. فهو ليس كسائر الناس، الذين يرون غيرهم، ولا تستقر صورهم في أذهانهم، أو أنهم بسبب انشغال فكرهم بأمور أخرى، ينظرون إلى الشخص، أو الشيء نظر المغشي عليه.

ج: إن نظر علي «عليه السلام» إلى الأشخاص هو نظر وعي وإدراك حتى للجزئيات والتفاصيل، وليس نظراً إجمالياً ككتلة واحدة.. كما ينظر الإنسان إلى جماعة كثيرة، دون أن يتعقل الوجوه والخصوصيات والأحجام، وما إلى ذلك.

4 ـ إن هذا الذي جرى قد أرهب ذلك الشامي المتنكر الذي كان يستحق هذا الإرهاب.. لاسيما وأنه قد كذب على أمير المؤمنين.. فبادر إلى طلب الأمان، والإقرار بالحقيقة، فهو إرهاب مشروع..

وقد أتبعه «عليه السلام» برفق وتسامح، بإعطائه الأمان الذي طلبه، ولكنه أمان بشروط:

أحدها: أن لا يحدث في بلاد أهل الحق حدثاً مخلاً بالأمن.. فقد طرح «عليه السلام» على ذلك الشامي سؤالاً يقول: هل أحدثت في مصري هذا حدثاً منذ دخلته؟!

فقال: لا..

الثاني: ما تضمنه سؤاله الآخر، وهو: أن لا يكون من رجال الحرب، (إن كان دخوله إليها في أيام الحرب) حيث قال له: فلعلك من رجال الحرب؟!

فقال: نعم.

ثم قرَّر «عليه السلام» ذلك، قاعدة في العلاقات بين الشعوب، مفادها: أنه يسمح بدخول البلاد لمن لم يحدث حدثاً، وكانت الحرب قد وضعت أوزارها.

فقد تضمنت هذه الفقرات ما يلي:

أن من كان من بلاد العدو إنما يعطى ـ إذا دخل بلاد أهل الحق ـ الأمان، بشرط أن لا يحدث حدثاً، وبشرط أن لا يكون مقاتلاً، إذا كانت الحرب قائمة.

فإن لم تكن الحرب قائمة، فإن الأمان يعطى له، سواء أكان مقاتلاً أو غير مقاتل..

علم علي وجهل معاوية:

ذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» لما سمع من الشامي: أن معاوية أرسله إليه ليقتنص منه أجوبة مسائل ابن الأصفر.. أظهر «عليه السلام» تعجبه من شدة ضلال وعمى معاوية ومن معه، حتى لقد بلغ جهل معاوية إلى حد أنه أعتق جارية، فما أحسن أن يتزوج بها..

وهذا يعطي: **أن معاوية ومن معه يعلمون:**

1 ـ أن الإمامة والخلافة، والحكم إنما هو للأعلم، الذي هو من معدن النبوة، وموضع الرسالة، بدليل: أن معاوية لم يقل لابن الأصفر: إن مسائلك

هذه لا قيمة لها، لأن العلم بالشرايع، وحقائق التكوين، وأسرار الخلق، وغير ذلك.. ليس هو منشأ الأحقية بالحكم والخلافة، بل الأحقية بالخلافة والإمامة هي للأكثر مالاً، أو رجالاً، أو عشيرة، والأدهى مكراً، والأشد ظلماً وتجبراً، أو الأعظم جثة، أو ما إلى ذلك.

بل رأينا معاوية خضع لمسائل ابن الأصفر، ولم يجد حيلة ولا وسيلة إلا بإنفاذها إلى باب مدينة العلم.

2 ـ والأهم من ذلك: أن غير المسلمين أيضاً كانوا يعرفون هذه الحقيقة، ويميزون من خلال أجوبة المسائل بين المحق والمبطل، والعالم والجاهل، وبين من هو معدن النبوة، وموضع الرسالة، وبين الأفاكين، وأئمة الضلال، ومردة الشياطين، والجبارين المتغلبين.

وقد ظهر ذلك من موقف ابن الأصفر حين اطَّلع على أجوبة الإمام الحسن «عليه السلام» على مسائله، حيث كتب إلى معاوية:

«يا معاوية، لِمَ تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك؟!

أقسم بالمسيح، ما هذا جوابك، وما هو إلا من موضع النبوة، ومعدن الرسالة».

3 ـ إن هذا النص ربما يدل أيضاً على أن الحكام والملوك المعادين لأهل الحق كانوا آنئذ أيضاً يدرسون اعتقادات، وأفكار، وخصائص شخصيات الصف الأول، ومستوياتهم الثقافية، وما لديهم من إمكانات ومؤهلات.

كما أنهم يحاولون معرفة المحق من المبطل، ويرقبون أيضاً اختلافاتهم، ومذاهبهم، وأعراقهم وقبائلهم، وانتماءاتهم السياسية والدينية، وغير ذلك.

بل نستطيع أن نقول:

إن عبارات ابن الأصفر هذه، واستعماله مصطلحات خاصة بأهل الإيمان من المسلمين يدل على أنه كان يعرف أن محمداً «صلى الله عليه وآله» نبي مرسل، وأن علياً «عليه السلام» الوصي والولي من بعده..

ولكنه يتمسك بمسيحيته، لأنه يريد أن يحتفظ بما لديه من ملك، ومال، وجاه، ومقام، فهو من مصاديق قوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[1].

كم بين السماء والأرض؟!:

رأينا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» حين سئل كم بين السماء والأرض أجاب بجوابين، هما:

1 ـ دعوة المظلوم.. وهذا الجواب يدل على أن العقول لا تدرك المسافة بينهما، ولا أمل بوصولها إليه، ولكن دعوة المظلوم تخترق السماوات كلها، بمعنى أنها تسمع فيها، وتكون لها آثارها.. وهي تحجب ولا ترد..

وقد تكلمنا في مواضع كثيرة، عن حجم السماوات والأرض، فلا حاجة إلى الإعادة.

2 ـ مد البصر.. وهذا جار وفق فهم الناس العاديين الذين إذا نظروا إلى جهة السماء، فإنهم يرون إلى مدى محدود هذا اللون الأزرق، ويرون فيه ضوء الشمس والقمر والنجوم، فيحسبون أن هذه هي السماء وهم يرونها.

---

(1) الآية 14 من سورة النمل.

علي يسأل ولديه:

روي: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» سأل ولديه: الحسن والحسين «عليهما السلام» فقال لهما: ما بين الإيمان واليقين؟!

فسكتا.

فقال للحسن «عليه السلام»: أجب يا أبا محمد.

قال: بينهما شبر.

قال: وكيف ذلك؟!

قال: لأن الإيمان ما سمعناه بآذاننا، وصدَّقناه بقلوبنا، واليقين ما أبصرناه بأعيننا، واستدللنا به على ما غاب عنا[1].

ونقول:

1 ـ إن هذا المضمون مروي في أكثر المصادر عن الإمام «عليه السلام»[2].

2 ـ إن من الطبيعي: أن يوجه الناس أسئلتهم إلى أمير المؤمنين، وأن يكون

---

(1) مشكاة الأنوار للطبرسي ص48 وبحار الأنوار ج67 ص182 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص599 وميزان الحكمة ج4 ص3714.

(2) راجع: العقد الفريد ج6 ص268 وبحار الأنوار ج36 ص384 وج43 ص357 وج67 ص182 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص 179 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص67 وذخائر العقبى ص138 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص482 وراجع: كفاية الأثر ص232 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص 414 وغاية المرام ج1 ص266 ونهج السعادة ج3 ص124 ومشكاة الأنوار للطبرسي ص48 ومصادر نهج البلاغة وأسانيده ج2 ص312.

هو الذي يبت بالأمور، وعنه تصدر، وإليه تنتهي، فليس من الأدب أن يتدخل الحسن والحسين «عليهما السلام» في أي أمر بحضرته، إلا أن يحيل ما شاء منها إليهما.. فكان هو «عليه السلام» يجيب السائلين، ويرشد الجاهلين.

فمع هذه الحال، ربما يظن ظان، أو يتكون انطباع خاطئ عن الحسن والحسين «عليهما السلام»: بأنهما مجرد شابين كسائر الشباب من بني هاشم، ومن شباب المهاجرين والأنصار، يحسنان ما يحسنون، ويجهلان كثيراً أو بعضاً مما يجهلون.. وهما إنما رأيا رسول الله في حال صغر سنهما.. ولعل هناك أشياء كثيرة لم يتعلماها منه «صلى الله عليه وآله»، ويحتاجان إلى تعلمها من أبيهما، من خلال ما يمر به من تجارب، وتسنح لهما به الفرص.. كما أن كثيراً من الناس لم يسمعوا كثيراً من أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقهما.

وعدا عن أن هذا الإنطباع الخاطئ فيه ظلم لهما «عليهما السلام»، فإنه أيضاً فيه تكريس لجهل الأمة بمقامهما، وبما رصده الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» لهما من مهمات، وما جعله لهما من مقامات لها ارتباط مباشر بالأمة ـ كل الأمة ـ إلى يوم القيامة، ولاسيما مقام الإمامة.

وهذا الجهل، من شأنه أن يؤثر على مدى طاعة الناس لهما، واحتفائهم بهما، وسيثير ذلك الكثير من المشكلات، ويضع الكبير والصغير من العقبات أمام قيامهما بالمسؤوليات والمهمات الموكلة إليهما.

فكان لا بد من إظهار عظيم فضلهما للناس، وإراءتهم باهر علمهما، فإن ذلك هو مقتضى الرفق بالأمة، ومن أهم مفردات الإحسان إليها، وفيه تسهيل للأمور على الحسنين «عليهما السلام» حين يحين وقت تسلمهما زمام الأمور.

3 ـ يلاحظ: أن السؤال الذي وجهه «عليه السلام» إلى ولديه قد جاء مبهماً وغامضاً، وبعيداً وغريباً عن ذهن عامة الناس بمختلف طبقاتهم الفكرية، وثقافاتهم، وما لديهم من علوم ومعارف.

4 ـ رأينا: أن الحسنين «عليهما السلام» في بادئ الأمر قد سكتا معاً عن الإجابة..

ولعل سبب سكوت الحسين «عليه السلام»: أنه لا يريد أن يتقدم على أخيه تأدباً معه، وأداءً لحقه..

ولعله لو بادر إلى الجواب لعدّ ذلك من المآخذ عليه..

أما سكوت الحسن.. فلعله أراد أن يفسح المجال لأخيه، ويجعل سكوته بمثابة إذن له بالمبادرة، وتنازل له عما يعتبره الحسين «عليه السلام»: أنه حق للإمام الحسن «عليه السلام»..

فهو إذن.. ليس سكوت عجز عن الجواب، أو للإستفادة من الوقت للتأمل والتفكير.. وكان الذي يحسم الأمر الناشئ عن رعاية اعتبارات كهذه تدلّل على ما لديهما من أدب عظيم، وخلق كريم.. هو تدخل أبيهما: بأن يتولى هو تحديد المجيب منهما على سؤاله..

وهذا ما حصل بالفعل، فأمر الإمام الحسن بأن يجيب.

كما أن الإمام لم يحدد من يجب أن يتكلم، فلو تكلم أي واحد منهما، فقد يقال له: أريد أن يجيب أخوك أولاً. أي تحديد المجيب أولاً يعود إلى السائل.

5 ـ واللافت في هذا الإختيار أمران:

أحدهما: أنه «عليه السلام» خاطب الإمام الحسن «عليه السلام» بالكنية،

فقال: أجب يا أبا محمد. وفي هذا تكريم لولده، حيث عدل «عليه السلام» عن مخاطبته من موقع الأبوة التي تعني رفع الكلفة، واعتماد الخطاب العفوي إلى الخطاب التكريمي، الهادف إلى لفت الأنظار إلى خصوصية في المخاطب يقتضي التنويه بها، والإشارة إليها.. لأن مقام الخطاب يفرض ذلك ويقتضيه. وقد أشرنا آنفاً إلى وجه هذا الإقتضاء فيما ذكرناه برقم [2].

6 ـ وبعدما تقدم، فإن ما أشار إليه الإمام الحسن «عليه السلام» في جوابه هو التالي: إن ما يسمع بالآذان، وتصدقه القلوب هو أمور تجريدية، هي الأساس والمنطلق للقرار، والممارسة العملية.. فإن الإيمان بالله ورسله، وبالآخرة، وبغير ذلك من غيوب، ومعانٍ، وحالات للقلب والروح والنفس ـ إن ذلك ـ مما تدركه وتصدقه القلوب، وهي التي تميز بين غثه وسمينه، وصحيحه وفاسده، من خلال الإخبار بها على لسان الأنبياء والأئمة، والعلماء الأبرار بعد تأييد ما صح من هذه الأخبار بالقرائن والدلائل التي يسهم تعاضدها وتراكمها في تكوين حالة الطمأنينة في قلوب الأفراد.

فقوام الإيمان على التسليم والتصديق القلبي، والرضا والقبول، والتبني والإحتضان.. الذي يسمى بـ «الإيمان».

أما اليقين، فملاكه المشاهدة والمعاينة لأمور عينية، فإذا حصل ذلك حصل اليقين بالأمر المشاهد المحسوس.. وربما كانت مشاهدة هذا المحسوس من أسباب اليقين بمحسوس آخر، لم يشاهد بنفسه، ولكنه لقربه منه، وتفاعله مع المحسوس، وعدم انفكاكه عنه، فإنه ينقل اليقين إليه، ويطبقه عليه، فمن يرى ناراً يعرف أن هناك من أوقدها، ومن يرى خياماً يعرف أن هناك من نصبها، ومن سمع صوتاً عرف أن هناك من صدر عنه ذلك الصوت..

الفصل الثالث

ليس الحسن × عثمانياً..

هل الإمام الحسن × عثماني؟!:

ادَّعى طه حسين: أن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يفارق حزنه على عثمان، فكان عثمانياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، إلا أنه لم يسلّ سيفاً للثأر لعثمان، لأنه لم ير ذلك حقاً له.

وقالوا أيضاً: «وربما غلا في عثمانيته، حتى قال لأبيه ذات يوم ما لا يحب، فقد روى الرواة: أن علياً مرَّ بابنه الحسن وهو يتوضأ، فقال له: أسبغ الوضوء يا حسن، فأجابه الحسن بهذه الكلمة المرة:

«لقد قتلتم ـ قتلت ـ بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء».

فلم يزد علي على أن قال: لقد أطال الله حزنك على عثمان»[1].

ونقول:

أولاً: إن الرواية التي اعتمد عليها «طه حسين» قد تفرد بها البلاذري.. وقد أخذها عن المدائني، عن سليمان بن أيوب، عن الأسود بن قيس العبدي..

---

(1) راجع: الفتنة الكبرى ج2 ص193 و 194 وحديث الوضوء في أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص12 وج5 ص81. وراجع: الإمام الحسن لآل يس ص50 وسيرة الحسن للقرشي ج1 ص291 و 292 وسيرة الأئمة الإثني عشر ج1 ص543.

والمدائني ليس ممن يؤمن على علي «عليه السلام».

وقال الشيخ القرشي: «عُرف بالنصب والعداء لأهل البيت، وافتعال الروايات الحسنة في بني أمية»(1).

وقال ابن عدي: «ليس بالقوي في الحديث»(2).

وكان المدائني من طلاب الدنيا، حتى عند إسحاق الموصلي، المغنِّي المعروف وأضرابه(3).

كما أن سليمان بن أيوب الذي عاش إلى ما بعد الماءتين كان صاحب مناكير، قال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابع عليها(4).

ثانياً: كيف يمكن أن نتصور الإمام الحسن «عليه السلام» الذي تربى على يد النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وفاطمة «عليهما السلام». وكان يرى النبي، وعلياً، وفاطمة وسائر المسلمين يتوضأون كل يوم عدة مرات، وقد استمرت مشاهداته هذه أكثر من ثلاثين سنة، وبقي لا يحسن الوضوء إلى سنة 35 للهجرة، فهل كان «عليه السلام» غير قادر ذهنياً على تعلم كيفية الوضوء؟!

وكيف لم يره النبي «صلى الله عليه وآله» في حياته، وأمه الزهراء، وأبوه علي،

---

(1) حياة الإمام الحسن «عليه السلام» ج1 ص293 وأشار في هامشه إلى تاريخ الأمم والملوك ج4 ص240.

والمراد بالمدائني: علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف.

(2) الكامل في ضعفاء الرجال ج5 ص213 وراجع: لسان الميزان ج4 ص253.

(3) راجع: لسان الميزان ج4 ص253.

(4) الكامل في ضعفاء الرجال ج3 ص285 وراجع: لسان الميزان ج3 ص77.

وأخوه الحسين «عليهم السلام» وسائر المسلمين وهو يتوضأ هذا الوضوء غير المرضي، ليلفتوا نظره إليه؟!

وقد تقدم، وسيأتي الكثير من الشواهد والدلائل على أنه «عليه السلام» كان لا يجارى ولا يبارى في العلوم والمعارف في مختلف المجالات والشؤون.

ثالثاً: ثمة روايات ذكرناها في كتابنا الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج30 ص231 ـ 234 تقول: إن هذه الحادثة، أو ما يشبهها قد حصلت بين علي «عليه السلام» والحسن البصري[1]، الذي كان ـ كما يدل عليه عدد من النصوص ـ منحرفاً عن علي «عليه السلام»[2].

فلماذا تفرد المدائني بهذه الرواية التي تسيء إلى علي وسيد شباب أهل الجنة «عليهما السلام»، وتظهر فيه حالة من الجهل، وبلادة ذهن، وسوء الأدب، والخشونة مع الوالد، الذي هو نفس النبي، وكيف نفسر عدم اهتمام أطهر الناس بضبط تصرفاتهم وتصحيح أعمالهم العبادية؟! هذا، بالإضافة إلى أنها تثير علامات استفهام كثيرة حول دقة الكلام الصادر عن رسول الله، بل حول الآيات القرآنية الشريفة، التي بيَّنت طهارة وعصمة وموقع أهل البيت

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج32 ص225 و226 وراجع ج77 ص424 و310 وعن الإحتجاج ج1 ص170 و171 وعن تيسير المطالب ص177 و 178 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص95 وقاموس الرجال ج3 ص197 عنه.

(2) راجع المصادر التالية: التراتيب الإدارية ج2 ص272 والعقد الفريد ج2 ص235 و 229 والكامل للمبرد ج3 ص216 والأمالي ج3 ص194 والبيان والتبيين ج1 ص108 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص95 وقاموس الرجال ج3 ص197.

من هذا الدين..

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» هو الذي أرسل الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ كما في الروايات ـ ليدفعا القتل عن عثمان، فما معنى قول الإمام الحسن لأبيه «عليه السلام»: «لقد قتلت ـ قتلتم ـ بالأمس رجلاً كان يسبغ الوضوء ـ يعني عثمان»؟!

خامساً: لماذا هذه الخشونة من الإمام الحسن تجاه أبيه؟! ولماذا يخالفه في الرأي والموقف، وهو يعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: علي مع الحق، والحق مع علي، أو علي مع القرآن، والقرآن مع علي، أو نحو ذلك؟!

وكيف يتهم هذا الابن أباه: بأنه يقتل الناس المؤمنين الذين يسبغون وضوءهم؟!

سادساً: إن مراجعة احتجاجات الإمام الحسن «عليه السلام» على ابن الزبير بأمر من أبيه قد أظهرت: أن اتهام الحسن لأبيه «عليهما السلام» بقتل عثمان يناقض أقواله وردوده، واحتجاجاته هذه.

كما أنه «عليه السلام» كان يرى نشاط عائشة، وطلحة، والزبير وابنه، وسواهم، وسعيهم لقتل عثمان، فكيف يتهم أباه بشيء رأى عكسه بأم عينيه؟!

سابعاً: إننا نشك في نسبة قضية الوضوء للحسن البصري، الذي ولد سنة 22 هجرية[1]، وإنما قتل عثمان وقدم علي البصرة في سنة 35 هـ. فيكون

---

(1) راجع: وفيات الأعيان (ط سنة 1310هـ) ج1 ص129 و (ط دار الثقافة ـ لبنان) ج2 ص69 والتعديل والتجريح للباجي ج1 ص484 وتهذيب الكمال ج6

عمر الحسن البصري حينئذٍ 13 سنة، ويستبعد أن يتجرأ على مواجهة علي «عليه السلام» على هذا النحو.

إلا إن كان قد التقى به في الكوفة مثلاً، قبيل وفاة علي «عليه السلام» قبل سنة أربعين.

لا تحن حنين الجارية:

المفيد، عن الكاتب، عن الزعفراني، عن الثقفي، عن الفضل بن دكين، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال:

لما نزل علي بالربذة [وقيل: في ذي قار] سألت عن قدومه إلينا؟!

فقيل: خالف عليه طلحة والزبير وعائشة، وصاروا إلى البصرة، فخرج يريدهم.

فصرت إليه، فجلست حتى صلى الظهر والعصر، فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن بن علي «عليهما السلام»، فجلس بين يديه ثم بكى وقال: يا أمير المؤمنين، إني لا أستطيع أن أكلمك. وبكى.

فقال له أمير المؤمنين: لا تبك يا بني، وتكلم، ولا تحن حنين الجارية.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن القوم حصروا عثمان بما يطلبونه، إما ظالمون أو مظلومون، فسألتك [فأمرتك] أن تعتزل الناس، وتلحق بمكة حتى تؤوب العرب، وتعود إليها أحلامها، وتأتيك وفودها، فوالله لو كنت في جحر ضب

ص95 وراجع: الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج1 ص322 وتاريخ الإسلام للذهبي ج7 ص48.

لضربت إليك العرب آباط الإبل، حتى تستخرجك منه.

ثم خالفك طلحة والزبير، فسألتك [فأمرتك] أن لا تتبعهما وتدعهما، فإن اجتمعت الأمة فذاك، وإن اختلفت الأمة رضيت بما قسم الله.

وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق، وأذكرك بالله أن لا تقتل بمضيعة!!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أما قولك: إن عثمان حصر.. فما ذاك وما علي منه، وقد كنت بمعزل عن حصره.

وأما قولك: ائت مكة، فوالله ما كنت لأكون الرجل الذي يستحل به مكة.

وأما قولك: اعتزل العراق، ودع طلحة والزبير، فوالله ما كنت لأكون كالضبع تنتظر حتى يدخل عليها طالبها، فيضع الحبل في رجلها حتى يقطع عرقوبها، ثم يخرجها فيمزقها إرباً إرباً.

ولكن أباك يا بني يضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه، وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبداً حتى يأتي عليَّ يومي.

فوالله ما زال أبوك مدفوعاً عن حقه، مستأثراً عليه منذ قبض الله نبيِّه «صلى الله عليه وآله» حتى يوم الناس هذا.

فكان طارق بن شهاب أي وقت حدَّث بهذا الحديث بكى..[1].

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص103 و 104 عن الأمالي للطوسي الحديث 37 من الجزء الثاني (ط1) ص32 و (ط دار الثقافة ـ قم) ص52 و 53. وراجع نهج السعادة (ط2) ج1 ص82 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص252 ـ 254 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص216 و 217 وتاريخ الأمم والملوك (ط

ونقول:

يلاحظ: أن بعض المصادر، مع أنها اختصرت الحديث المتقدم، إلا أنها احتفظت بمعانيه وأكثر إشاراته..

ونحن نذكر بعض ما يرد على هذا النص من مآخذ، فنقول:

هل هي قصة مفتعلة؟!:

ستظهر المؤخذات التي سنوردها إن شاء الله على هذا النص: أنه إن كان كلام الإمام الحسن، وكلام أبيه معه قد جاء على سبيل الإعتقاد الحقيقي، والإلتزام بمضامينه، فهو نص مكذوب بلا شبهة ولا ريب..

وإن كان الإمام الحسن «عليه السلام» قد أخبر أباه بما يدور على ألسنة الناس.. لكي يوضح «عليه السلام» لهم الحق الذي جهلوه، أو تجاهلوه، ويسمعهم تفنيد أقوالهم، وشطط وبوار آرائهم، فيمكن غض الطرف عن بعضٍ من موارد الحدة غير اللائقة، الواردة في العبارات التي استخدمت فيه.

والمآخذ التي نحب تسجيلها، هي التالية:

أولاً: لماذا لم يسجل الإمام الحسن «عليه السلام» اعتراضاته على أبيه «عليه السلام» قبل سيره نحو العراق، ووصوله إلى الربذة، أو ذي قار؟!

الإستقامة) ج3 ص374 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص226 ـ 227 وج19 ص117 وحلية الأبرار ج2 ص299 و 300 وغاية المرام ج6 ص11 وتاريخ المدينة لابن شبة ج4 ص1256 وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى ص56 عن عكرمة، عن ابن عباس.

فإن كان قد فعل ذلك في المدينة، فلماذا أعاد الإعتراض عليه في الربذة؟!

ثانياً: لماذا نصح أباه بعد صلاة الظهر، حيث الناس مجتمعون، ويرون، ويسمعون؟! ألم يكن الأحرى به أن يسدي إليه نصحيته فيما بينه وبينه؟! أو بحضور بعض الأهل والأصدقاء..

ثالثاً: لنا أن نسأل عن سبب عجز الإمام الحسن «عليه السلام» عن الكلام مع أبيه، هل هو خوفه منه؟! فنحن لم نعهد علياً «عليه السلام» يعاقب أو يقسو على من يسدي إليه نصيحة، وإن كان هو الإحترام لمقام الأبوة، فإن طريقة كلامه مع أبيه، وقوله له: أمرتك، أن تعتزل الناس لا يشي بذلك، فإن ذلك لا يتوقع صدوره عن أهل بيت النبوة، وإمام مطهر معصوم مع أبيه.. وأبوه أخو النبي ونفسه، وباب علمه، وأفضل الخلق بعده.

ومع غض النظر عن ذلك، فإن الإحترام إذا كان يجعله عاجزاً هناك عن إسداء نصحيته، فيجب أن يجعله عاجزاً عن ذلك هنا.. إلا إن كان يرى أن حرمة أبيه قد سقطت، وكرامته قد زالت.. ويحق لنا أن نسأله عن سبب هذا السقوط..

على أن الحرمة والكرامة للأب لا تنافي إسداء النصيحة له. وقد كان الناس يكلمون علياً «عليه السلام» عن مختلف الشؤون، ويبثونه ما لديهم من شجون.

رابعاً: ما معنى أن يقول الإمام «عليه السلام» لولده: «لا تحن حنين الجارية»؟! هل بكاء إنسان بين يدي أبيه، ولأجل قضايا مصيرية، يعدُّ حنيناً كحنين الجواري؟!

ألم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» يبكي لأجل القضايا الكبيرة إشفاقاً

من أن يحلّ الخطر، ويقع الضرر؟!

ولماذا يعتبر علي بكاء ولده ضعفاً كضعف النساء؟!

ولماذا لا يحتمل أن حنينه وبكاءه لأمر عظيم، وخطر هائل وجسيم؟!

ويا ليتنا نعرف متى يكون البكاء كحنين الجارية؟! ومتى يكون بكاء المسؤولية والرجولة والشعور الإنساني النبيل؟!

خامساً: ألم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» يعلم: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر أن علياً «عليه السلام» سيموت شهيداً على يد رجل هو أشقى الأولين والآخرين؟!

وقد حصل هذا فعلاً في مسجد الكوفة، أعظم المساجد في البلد الذي اختاره علي «عليه السلام» عاصمة لخلافته، فهل الكوفة دار مضيعة بالنسبة لعلي «عليه السلام»؟!

وهل المدينة أكثر أمناً لعلي «عليه السلام» من الكوفة؟!

ألم يتعرض علي «عليه السلام» لمحاولة اغتيال في المدينة، وفي حال الصلاة، وفي مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» بالذات، من قبل خالد بن الوليد؟!

وألم يتعرض للتهديد بالقتل من قبل عبد الرحمان بن عوف يوم الشورى، إن لم يبايع عثمان بن عفان؟!

سادساً: بالنسبة لما ذكر من اقتراح الحسن على أبيه علي «عليه السلام» ـ حين حوصر عثمان ـ: أن يذهب علي «عليه السلام» إلى مكة نقول:

ألف: من الذي قال: إن مكة ستكون موضع أمن لعلي أكثر من المدينة؟! بل عكس ذلك هو الصحيح، كما صرح به علي «عليه السلام» نفسه.

ب: من الذي يضمن عدم انقلاب الأمور، وتصاعد الفتنة بين عثمان ومن معه وبين مناوئيه؟! ألم يكن وجود علي «عليه السلام» على مقربة مما يحدث من أسباب تخفيف الأخطار، والمصائب، والآلام؟!

ج: لم نلمح وجود أي خلل أو مشكلة من بقاء علي «عليه السلام» في المدينة، بل ظهر: أن الناس كلهم كانوا يشعرون أنه ضمانة لعدم انزلاق الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

د: إننا لو أردنا أن نتصور كيف ستكون الحال لو أن علياً «عليه السلام» كان في مكة، فسنجد الحيرة ستكون أعظم، والأخطار أشد وأكثر.. فمن ذلك الذي سيبايعه الناس بعد قتل عثمان؟!

هل يبايعون الزبير، أو طلحة؟!

وما هو موقف الحزب الأموي في هذه الحالة؟!

هل سينفجر الوضع بينهم وبين قتلة زعيمهم عثمان من جديد؟! وكيف ستكون النهاية والمآل؟!

سابعاً: إذا كان الإمام الحسن قد نصح أباه بعدم اتِّباع (أو ملاحقة) طلحة والزبير حين خالفاه وأن يدعهما.. فإن اجتمعت الأمة فذاك، وان اختلفت الأمة فعليه أن يرضى بما قسم الله..

وظاهر هذا الكلام: أن طلبه هذا كان قبل البيعة لأبيه.. واجتماع الأمة عليه.. فلماذا حين وصل إلى الربذة يدَّعي لأبيه وهو يبكي: أنه لا يستطيع أن يكلمه؟! أليس قد كلمه بكل هذا الذي ذكره «عليه السلام» له في الربذة؟!

ثامناً: إذا كان علي «عليه السلام» لم يقبل منه هذه الإقتراحات قبل البيعة

بالمدينة، فهل سيقبل منه بعد أن أجمع الناس عليه وبايعوه، بما فيهم طلحة والزبير؟!

وبعد أن فعلوا الأفاعيل بأهل البصرة، وقتلوا السبابجة وغيرهم، وجمعوا الجيوش لحربه «عليه السلام»؟!

وهل تنحل المشكلة برجوع علي «عليه السلام» إلى المدينة، وإطلاق العنان لهم (أي لطلحة والزبير، ومن معهما) ليمعنوا في الظلم والقتل، والفساد في الأرض؟! وهل سينتج عن رجوعه اجتماع شمل الأمة؟! أم ستزداد تمزقاً، وتفرقاً ووهناً؟!

تاسعاً: لو أن علياً «عليه السلام» رضي بما قسم الله، وترك طلحة والزبير، هل كانا سيتركانه، أم أنهما سيصران على ملاحقته، ومحاربته، والتخلص منه وممن معه؟! بحجة الطلب بدم عثمان؟!

وإذا رجع إلى المدينة، أو إلى مكة، ولم يلاحق طلحة والزبير، هل سيتمكن «عليه السلام» من الدفاع عن نفسه لو هاجموه، وهو في بلاد لا تقدم له من الرجال والأموال ما يدفع عنه، وستحاصره جيوش أعدائه التي تُرفَد بالمال والرجال من كل حدب وصوب، حيث لا انقطاع لمددها بالمال، ولا حدود لعددها من الرجال..

عاشراً: تضمنت الرواية تخطئة من الإمام الحسن لأبيه، وكذلك العكس أيضاً.. فكيف نجمع بين هذا وبين قوله «صلى الله عليه وآله» علي مع الحق والحق مع علي، وعلي مع القرآن، والقرآن مع علي، أو نحو ذلك.. وهو «عليه السلام» باب علم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

حادي عشر: بالنسبة لاقتراح الإمام الحسن على أبيه «عليهما السلام»: بأن يخرج من المدينة، ويعتزل الناس.. فإن الناس سيطلبونه، ويضربون إليه آباط الإبل نقول:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «ليس هذا الرأي عندي بمستحسن»، ثم علَّل ذلك: بأنه لو فعل ذلك لولوا غيره، بل كان ذلك قرة أعينهم، فإن قريشاً كانت تبغضه أشد البغض(1).

ويشهد لذلك: أن الإمام الحسن نفسه حين استشهد أبوه، لم ينتظر إلى حين تضرب العرب إليه آباط الإبل.. بل بادر إلى أخذ البيعة منهم، ليفوِّت الفرصة على أعدائه الذين أظهرت الوقائع: أن لهم مطامع تدعوهم إلى مواقف مشينة ومهينة.

كما أن علياً نفسه قد جلس في بيته بعد ما جرى في السقيفة خمساً وعشرين سنة، ولم تضرب العرب إليه آباط إبلها..

ثاني عشر: في الكلام المنسوب للإمام الحسن «عليه السلام» تناقض ظاهر، فهو يأمر أباه بالإعتزال، لأن هذا يجعل الناس يختلفون إليه، وتضرب العرب إليه آباط الإبل..

ثم يعود فيقول له بعد أن ظهرت مخالفة طلحة والزبير: إن اجتمعت الأمة فذاك، وإن اختلفت الأمة رضيت بما قسم.. وهذا يعني: أن العرب قد

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص299 و 300 وج12 ص85 وكتاب الأربعين للشيرازي ص251 والمراجعات للسيد شرف الدين ص347 و 348 والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص96.

لا تضرب إليه آباط الإبل.. مع أن كلامه الأول يفيد حتمية حصول ذلك.

إلا أن يقال: إن ذلك قد جاء على سبيل الإفتراض..

إجابات علي ×:

بالنسبة للإجابات التي نسبت إلى علي «عليه السلام» نلاحظ:

1 ـ إنه لم يكن معنياً بحصر عثمان لسببين:

أولهما: رفض عثمان الوفاء بوعوده مرة بعد أخرى، ثم صار يتأفف من إصرار علي «عليه السلام» على الإستجابة، والوفاء بالعهود والوعود.

الثاني: إنه لم يشارك في حصره، ولا في قتله.. لأن هذا الأمر سيؤدي إلى عواقب مؤذية للوضع العام.

2 ـ إن الذين كانوا يسعون للعدوان على حياة عثمان، ليسوا ممن يراعون لمكة حرمتها.. ولا يريد «عليه السلام» لهذه الحرمة أن تنتهك في أي ظرف، وأي حال.

3 ـ إن طلحة والزبير لا يشعران بالأمان ما دام علي حياً، وسوف لا يقر لهم قرار حتى يستخرجوه من أي موضع يكون فيه ليمزقوه إرباً إرباً.

أهداف ومقاصد:

ولعل الهدف من إشاعة هذه الأباطيل والأضاليل ضد علي وأهل بيته «عليهم السلام» هو:

1 ـ الإيحاء للناس: بأن لعلي يداً في قتل عثمان، أو في التحريض عليه.

2 ـ التركيز على أنه لو خرج علي «عليه السلام» من المدينة حين حوصر

عثمان لكان أولى، ولكان قد سلم من التورط في هذا الأمر.

3 ـ إن الإجماع على خلافته «عليه السلام» مفقود، ولم يتحقق.

4 ـ إن الخارجين عليه معذورون، وكذلك القاعدون عنه..

5 ـ الطعن في طهارة وعصمة الأئمة الطاهرين..

6 ـ الطعن في علمهم وحكمتهم، وصحة تدبيرهم، وفي أدبهم وأخلاقهم.

إكراه طلحة والزبير:

هناك من زعم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» أشار على أبيه: بأن لا يُكره طلحة والزبير على البيعة، ويدع الناس يتشاورون، ولو عاماً كاملاً، فإن الخلافة لا تزوى عنه، ولا يجدون منه بداً، وأن يقيل طلحة والزبير بيعتهما، لأن الغدر ظاهر منهما[1].

ونقول:

1 ـ إن الهدف من إيراد هذه الأباطيل: هو تأكيد ما ادَّعاه طلحة والزبير، من أنهما بايعا مكرهين، مع أن النصوص تؤكد على أنهما كانا في طليعة الناس الذين بقوا عدة أيام يصرون على علي «عليه السلام» بالبيعة له، ويلاحقونه من مكان إلى مكان لكي يقنعوه بذلك.. وكان «عليه السلام» يقول لهم: دعوني والتمسوا غيري.

وقد رأى الإمام الحسن «عليه السلام» وسائر الناس، حين رضي علي «عليه

(1) حياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي ج1 ص163و 164 عن الإمامة والسياسة ج1 ص49.

السلام» بقبول البيعة له، انثيال الناس عليه كعرف الضبع للبيعة، حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاه.

2 ـ ألم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» يعلم: أن قيام الحجة بوجود الناصر، يحتم على الإمام القيام بالأمر؟!

3 ـ إن إقالة علي لطلحة والزبير من البيعة لن يمنعهما من قتاله، بل سيكون خدمة عظيمة لهما، لأنه يجنبهما عار النكث بالبيعة، ويمكنهما من خداع الناس: بأن الدافع لخروجهما عليه هو مجازاته على مساهماته في التحريض على عثمان، أو على مشاركته في قتله، وإن لم تنفع هذه الحيلة، فيمكنهم أن يدَّعوا عليه: أنه ارتكب المنكر بمخالفته لسنَّة عمر في العطاء، فلا بد من إرجاعه إليها، ولو بالقوة.

4 ـ عرفنا: أن الناس بعد موت رسول الله «صلى الله عليه وآله» تركوا علياً «عليه السلام» وبايعوا أبا بكر، وقد زويت الخلافة عنه بالرغم من بيعة المسلمين له في يوم الغدير في حياة الرسول.. فكان اعتزاله الناس بعد قتل النبي «صلى الله عليه وآله» هو غاية آمال الطامعين والطامحين.

5 ـ إن المطلوب من هذه الادِّعاءات هو: أن يشكك الناس بمشروعية البيعة له.. وإثارة احتمال أنها بيعة لم تتم شروط انعقادها، فلا يكون خروج عائشة وطلحة والزبير عليه خروجاً على إمام مفترض الطاعة.

الإمام الحسن × وإهراق الدماء:

ونختم كلامنا حول هذا الموضوع بما ربما يزعمه البعض، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان لا يحب إهراق الدماء ونقول:

1 ـ لا أحد من الأخيار والأبرار، والأنبياء، والأئمة الأطهار يحب إهراق الدماء.

2 ـ لعل المقصود بهذا الكلام التعريض بعلي «عليه السلام»، وبالإمام الحسين «عليه السلام» بأنهما يجبان إهراق الدماء.

3 ـ إن إهراق الدماء قد يكون واجباً شرعاً وعقلاً، خصوصاً في صورة الدفاع عن النفس، وعن الدين، وهو يأتي على قاعدة: «مكره أخاك لا بطل».

4 ـ إن هذا النوع من الكلام عن الإمام الحسن، ربما كان يهدف أيضاً إلى الطعن بالإمام الحسن نفسه، واتهامه: بأنه يكره إراقة الدماء مطلقاً، حتى لو كان إهراقها مما يوجبه عليه الشرع، والعقل، والشرف، والكرامة.. ولو أدى القعود عن ذلك إلى ذل المؤمنين، وضياع الدين، ومصالح المسلمين..

هذا إن لم يكن الهدف من ذلك هو اتهامه «عليه السلام» بالجبن، وتأكيد ما نسب إلى الإمام علي «عليه السلام»، من أنه إذا كانت الحرب، فإن الحسن لا يغني عنهم شيئاً[1].

ويكذب هذه الأساطير قول علي «عليه السلام» في صفين عن الإمام الحسن «عليه السلام» وهو يرى حملاته: املكوا عني هذا الغلام لا يهدني[2].

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص15.

(2) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص212 وبحار الأنوار ج42 ص99 وشجرة طوبى ج2 ص321 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244 والمعيار والموازنة ص151 وتاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج4 ص44 والفصول المهمة لابن الصباغ ص82 والإختصاص ص179 وتذكرة الخواص (ط النجف) ص324.

الفصل الرابع

علي في ذي قار.. والحسن في الكوفة

رسل علي إلى الكوفة:

في الروايات: أن علياً «عليه السلام» حين سار من المدينة، وانتهى إلى ذي قار، أرسل ابن عباس إلى الكوفة ليدعو أبا موسى الأشعري إلى الطاعة، ويستنفر الناس، فذهب ابن عباس إليها ـ فلقي أبا موسى ـ فلم يجد عنده ما يحب، بل خطب الناس، وثبطهم عن أمير المؤمنين «عليه السلام».

قال أبو جعفر: فرجع ابن عباس إلى علي «عليه السلام»، فأخبره.

فدعا الحسن ابنه «عليه السلام» وعمَّار بن ياسر، وأرسلهما إلى الكوفة، فقال له: انطلق، فأصلح ما أفسدت.

فأقبلا حتى دخلا المسجد، فلما قدماها كان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما، وأقبل على عمار، فقال: يا أبا اليقظان، علام قتلتم أمير المؤمنين؟!

قال: على شتم أعراضنا، وضرب أبشارنا.

قال: فوالله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين[1].

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص19 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص482 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص497 والغارات للثقفي ج2 ص918 و 919 و

ثم خرج أبو موسى فلقي الحسن «عليه السلام» فضمه إليه، وقال لعمار: يا أبا اليقظان، أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين، وأحللت نفسك مع الفجار؟!

قال: لم أفعل، ولم تسؤني؟!

فقطع عليهما الحسن، وقال لأبي موسى: يا أبا موسى، لِمَ تثبط الناس عنا، فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء.

قال أبو موسى: صدقت بأبي وأمي! ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، وقد جعلنا الله عز وجل إخواناً وحرم علينا أموالنا، ودماءنا، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾(1).

وقال عز وجل: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**﴾»(2).

---

923 والفتنة ووقعة الجمل ص139 والكامل في التاريخ ج3 ص227 و 228 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص263.

(1) الآية 29 من سورة النساء.

(2) الآية 93 من سورة النساء. وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص497 و 498 والكامل في التاريخ ج3 ص228 والغدير ج9 ص112 والغارات للثقفي ج2 ص919 و 923 والفتنة ووقعة الجمل ص139 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص263 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص159.

فغضب عمار وساءه ذلك، وقال: أيها الناس، إنما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك له خاصة.

وقام رجل من بني تميم، فقال لعمار: اسكت أيها العبد، أنت أمس مع الغوغاء، وتسافه أميرنا اليوم؟!

وثار زيد بن صوحان وطبقته، فانتصروا لعمار، وجعل أبو موسى يكف الناس ويردعهم عن الفتنة.

إلى أن قال الطبري:

ولان عمار بعد نزوته الأولى.. فلما فرغ سيحان من خطبته، تكلم عمار، فقال: هذا ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستنفركم إلى زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإلى طلحة والزبير، وإني أشهد أنها زوجته في الدنيا والآخرة، فانظروا ثم انظروا في الحق، فقاتلوا معه.

فقال رجل: يا أبا اليقظان، لهو مع من شهدت له بالجنة على من لم تشهد له.

فقال الحسن: اكفف عنا يا عمار، فإن للإصلاح أهلاً.

وقام الحسن بن علي «عليهما السلام»، فقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة إمامكم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم.

فسامح الناس، وأجابوا ورضوا به.. وأتى قوم من طيء عدياً، فقالوا: ماذا ترى؟! وماذا تأمر؟!

فقال: ننتظر ما يصنع الناس.

فأخبر بقيام الحسن وكلام من تكلم، فقال: قد بايعنا هذا الرجل، وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون.

إلى أن قال:

وقام حجر بن عدي، فقال: أيها الناس أجيبوا أمير المؤمنين، وانفروا خفافاً وثقالاً، مرُّوا، أنا أولكم.

وقام الأشتر فذكر الجاهلية وشدَّتها، والإسلام ورخاءه، وذكر عثمان.

فقام إليه المقطع بن الهيثم بن فجيع العامري ثم البكائي، فقال: أسكت قبحك الله! كلب خلي والنباح.

فثار الناس، فأجلسوه.

وقام المقطع، فقال: إنَّا والله لا نحتمل بعدها أن يبوء أحد بذكر أحد من أئمتنا، وإن علياً عندنا لمقنع، والله لئن يكن هذا الضرب لا يرضى بعلي، فعض امرؤ على لسانه في مشاهدنا، فاقبلوا على ما أحتاكم.

فقال الحسن: صدق الشيخ، وقال الحسن: أيها الناس، إني غاد، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء.

فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء، وعلى كل سبع رجل، أخذ البر ستة آلاف ومئتان، وأخذ الماء ألفان وثمان مئة(1).

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص484 ـ 486 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج4 ص498 ـ 500 والكامل في التاريخ ج3 ص228 ـ 230 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص19 و 20 والغارات ج2 ص919 ـ 321 والفتنة ووقعة

ونقول:

هناك أمور كثيرة يحسن لفت النظر إليها، نذكر منها بعضها، وهو ما له مساس بالإمام الحسن «عليه السلام»، وما سوى ذلك نحيل القارئ الكريم فيه على كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» أوائل ج29.

أصلح ما أفسدت:

زعمت رواية سيف: أن علياً «عليه السلام» بعد رجوع ابن عباس إليه من الكوفة قال لعمار بن ياسر: «انطلق، فأصلح ما أفسدت».

ونقول:

نحن نعلم: بأن عماراً لا دخل له في أمر أبي موسى الأشعري، ولكنهم يدّعون: أن علياً «عليه السلام» قال ذلك للأشتر «رحمه الله»، بزعم أن الأشتر هو الذي طلب من علي أن يبقي أبا موسى على الكوفة.. ولا تُعدُّ مشورته هذه إفساداً:

أولاً: لأن الأمر يعود إلى علي «عليه السلام»، فقد يمكنه أن لا يأخذ بما أشار به عليه.

ثانياً: إن بقاء أبي موسى، ربما يكون قد دفع شراً أعظم من الشر الذي حصل منه بعد إبقائه**!!** وقد تحدثنا عن ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة

الجمل ص140 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص159 وتاريخ الكوفة ص306 ـ 308 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص263 وكتاب الفتوح لابن أعثم ج2 ص460 والثقات لابن حبان ج2 ص282.

الإمام علي «عليه السلام»، فيمكن الرجوع إليه.

موقف واستدلال أبي موسى:

1 ـ رأينا: أن أبا موسى يريد أن يقنع الناس بصحة كلامه، ويلزمهم بالأخذ به، لمجرد أنه صحابي، والصحابي ـ بنظر أبي موسى ـ أعلم بالله من غيره، ولذلك قال: «إنَّا أصحاب محمد أعلم بالله..» أو نحو ذلك..

ونقول:

هل نسي أبو موسى: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الأعلم والأفضل، والأتقى، والأورع من جميع أهل الأرض، بما فيهم جميع الصحابة؟! فلماذا يريد أن يحمل الناس على الأخذ بما يقرره هو لهم، ولا يرضى لهم بما يقرره لهم أفضل الخلق بعد النبي، وأخو النبي ونفسه، وباب مدينة علمه إلخ..؟!

وأين صحبة أبي موسى، ومنزلته من النبي «صلى الله عليه وآله» من صحبة ومنزلة علي منه؟! وهل له جهاد وعبادة وعلم وتقوى، وزهد، وحكمة وبصيرة علي «عليه السلام» في دين الله؟! بل أين أبو موسى من عمار، والأشتر، وذي الشهادتين، وسواهم؟!

وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب: أن الذين حضروا تلك الحروب من الصحابة كانوا سبعين، أو مئة وثلاثين بدرياً، وسبع مئة، أو ثمان مئة من أهل بيعة الرضوان، وما لا يحصى من الصحابة(1).

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج21 ص313 ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج9 ص146 وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج6 ص16.

فهل كان أبو موسى أعلم وأتقى، وأورع من هؤلاء جميعاً، وأحرص على الدين والإسلام منهم؟! وأجود منهم فهماً لكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن ادَّعى هذا أحد، أو ادَّعاه أبو موسى لنفسه، فيحق لنا أن نسأل عن سبب عدم نصبه إماماً للأمة من قبل رسول الله؟!

ولماذا لم تبايعه الأمة لهذا المقام بعد قتل عثمان؟!

ولماذا لم يدخله عمر في الشورى التي ابتكرها؟!

ولماذا لم يوص إليه أبو بكر، ولم يهتف أحد باسمه في السقيفة؟!

ولئن كانت الظروف حالت دون ذلك في كل هذه المفاصل، وذهبت في غير اتجاه، فلماذا لم تتخذه الأمة مرجعاً لها فيما اختلفت فيه من معاني كلمات وتصرفات وسياسات رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وما الذي يدعو أبا موسى إلى العمل على إضعاف حركة أمير المؤمنين «عليه السلام»؟! ولماذا يريد تقوية شوكة أعدائه ومناوئيه الذين بايعوه، ثم نكثوا، والذين فعلوا فعلتهم تجاه عثمان، ثم اتهموه بقتله، أو بتأليب الناس عليه، كما أنهم قد طالبوه بترك سنَّة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المال، والسياسة، واعتماد سنَّة غيره؟!

ولماذا لم يفرق أبو موسى بين الصحابة، فيقدِّم الأفضل والأعلم، والأتقى، والأورع، والأسدّ رأياً، والأحكم حكمة، والأكثر جهاداً، ونكاية في العدو، والأنفذ بصيرة في الدين على من عداهم من الجاهلين، وطلاب اللبانات؟!

ولماذا لم يفرق أبو موسى بين السابقين الأولين من الصحابة، وبين غيرهم، من الطلقاء، وأصحاب الأهواء؟! ومنهم من لم يحسن طلاق امرأته ـ كابن

عمر ـ ومنهم من أعتق جاريته، ولم يحسن أن يتزوجها كمعاوية، ومنهم من لا يعرف معنى الأب في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[1]. مع أن الله تعالى يقول: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[2].

ومنهم.. ومنهم..

2 ـ إن هذه القضية بالذات ليست من الموارد التي يمكن أن يدعي أبو موسى أو غيره: أنه يعلمها، ولا يعلمها سواه، لأنها من بديهيات الأمور، فإن الكل يعلم: أن نكث البيعة جريمة عظيمة، فكيف إذا كانت بيعة لإمامٍ منصوص عليه من الله ورسوله؟!

والكل يعلم: أن الخروج على الإمام، والسعي في قتله، وقتل سيدي شباب أهل الجنة جريمة عظيمة أيضاً.

والكل يعلم: أن الدفاع عن الإمام، ودفع شر المفسدين والمعتدين، وقتلة المؤمنين عمداً واجب على كل مسلم.

والكل يعلم: أن تثبيط الناس عن نصرة الحق وأهله، وعن الدفاع عن الإمام من أعظم الكبائر، فما الحاجة إلى انتظار ما يقوله صحابي، مرتكب لبعض هذه الكبائر، ليدلنا على معاني كلام رسول الله، وعندنا أئمة الدين وخيار المسلمين، وعلماء الأمة الهداة للحق، والأدلاء على الصراط المستقيم؟!

نعم، أي حاجة للأخذ ممن يريد أن يبرر جميع الجرائم المتقدمة، ويطمس

(1) الآية 31 من سورة عبس.

(2) الآية 32 من سورة عبس.

الحق، ويجعله باطلاً، ويجعل الباطل حقاً؟!

ويريد منا: أننا إذا رأينا الشمس طالعة ساطعة.. أن لا نحكم بذلك، بل نذهب إلى أبي موسى لنسأله، ثم يقرر هو لنا إن كانت طالعة أو لا؟!

وخير دليل على ما نقول:

إدِّعاؤه من دون خجل أو وجل: أن الخروج مع علي لقتال أعدائه، ودفع شرِّهم من مفردات الفتنة، التي لا يُعرف وجه الحق فيها، بل يجب السكوت عنها، والهروب منها.. وإعطاء الفرصة لأهل الباطل ليفتكوا بأهل الحق، وليقتلوا إمامهم..

والغريب في الأمر: أنه جعل المحقِّين والمبطلين والمعتدين إخواناً، يحرم منابذتهم، ولا تجوز محاربتهم لدفع عدوانهم وبغيهم وطغيانهم.

وبعد هذا وذاك، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرَّر: أن عمار بن ياسر يدعو الناس إلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار، وأنه تقتله الفئة الباغية، فلماذا لا يكتفي أبو موسى بشهادة النبي «صلى الله عليه وآله» لعمار، وحكمه على من يخالفه وينابذه ويحاربه؟!

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعلن: أن علياً مع الحق، والحق مع علي، وأن علياً مع القرآن، والقرآن مع علي، فلماذا لا يكتفي أبو موسى بهذه الشهادة الصريحة في إزالة الشبهة، وتمييز المحق من المبطل؟!.

حجج أبي موسى واهية:

1 ـ وقد استدل أبو موسى للإمام الحسن «عليه السلام» على لزوم القعود عن القتال دفاعاً عن الحق بآيتين:

إحداهما: قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾[1].

مع أن هذه الآية لا ربط لها بالتصدي للناكثين، فقد نكثوا البيعة، وقتلوا الأنفس البريئة من المسلمين في البصرة عمداً وصبراً، ومثَّلوا بهم، ونهبوا بيت المال، وخرجوا على الإمام، وجمعوا الجيوش لقتله هو وخيار الأمة معه.

ولا شك في وجوب قتال هؤلاء، ودفعهم عن قتل الأئمة الأطهار، ومن معهم من الأخيار، وكف شرهم عن سائر الناس، وصدهم عن مواصلة الإفساد في الأرض.

الثانية: قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾[2].

مع أن هذه الآية لا تشمل القتل قصاصاً، ولا قتل الخارج على إمامه، بعد نكث بيعته، ولا قتل المفسد في الأرض، ولا قتل المهاجم، دفاعاً عن النفس، ولا قتال البغاة، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾[3].

ومن المعلوم: أن هؤلاء قد قتلوا سبعين رجلاً صبراً، بعد أسرهم في البصرة، فضلاً عن غيرهم من ضحاياهم، وها هم قد جمعوا الجيوش، وجاؤا لحرب إمامهم.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر الناس: بأن هؤلاء سيقاتلون علياً «عليه السلام»، وهم ظالمون له، ولم يقل لعلي «عليه السلام»: لا تقاتلهم

---

(1) الآية 29 من سورة النساء.

(2) الآية 93 من سورة النساء.

(3) الآية 9 من سورة الحجرات.

دفاعاً عن نفسك.. وبالرغم من ذلك كله نجد أن الإمام الحسن لم يعترض على أبي موسى في استدلالاته الظاهرة البطلان هذه، بل كان عمار هو الذي تولى الإعتراض على أبي موسى.

2 ـ وبعد ما تقدم نقول:

إننا بملاحظة ما قدَّمناه، نرى: أن أبا موسى قد وقع في تناقض صريح في جملة واحدة، فإنه حين قال له الإمام الحسن «عليه السلام»: ما أردنا إلا الإصلاح، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء.. صدَّقه أبو موسى، وقال له: صدقت بأبي وأمي.. ثم أردف قائلاً: ولكن المستشار مؤتمن.. ثم يذكر حديث القعود عن الفتنة، ويطبقه على هذا المورد، مؤكداً على: أن على الناس أن لا يستجيبوا لدعوة علي «عليه السلام» للخروج لحرب الناكثين.

مع أن المورد إذا كان من موارد الفتنة بمعنى المبادرة للقتال، فالواجب بنص القرآن هو الإصلاح بين الفئتين، لقوله تعالى: ﴿**فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[1].

فكيف جعل أبو موسى ذلك من مصاديق الفتنة التي لا يعرف وجه الحق فيها، ويجب عدم الدخول فيها؟! مع أنها من موارد النكث والبغي على الإمام، أو من مصاديق آية سورة الحجرات على أقل تقدير؟!

3 ـ رأينا: أن الإمام الحسن لم يناقش أبا موسى في هذا الأمر أيضاً، مع

---

(1) الآية 9 من سورة الحجرات.

أننا لا نشك في أنه «عليه السلام» قد تعجَّب كثيراً من هذا الذي رآه وسمعه.. وربما ضحك أيضاً، فإن شر البلية ما يضحك..

وقد آثر «عليه السلام» الإغماض عن هذا وذاك، لأنه يريد أن يفضح أمر أبي موسى بصورة طبيعية هادئة، من دون أن يعطيه ذريعة لإظهار التمرد والعصيان، قبل أن يتم عزله، لأن التصعيد معه قد يصعِّب الأمور، إذا استغل موقعه، مع كون بيت المال في حوزته، فيعلن ولاءه للفريق الآخر، الذي تتزعمه عائشة، والزبير وطلحة. وهذا قد يؤدي إلى انقسام الناس، وتتأزم الأمور.

وهذا ما حصل بالفعل، فقد تمكن «عليه السلام» من الوصول إلى عزله عن الكوفة، بهدوء وسلاسة.

4 ـ والأمر الذي لاحظناه في حجج أبي موسى: أن عماراً واجهه بحقيقة أنه قد حرَّف حديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد غضب عمار وساءه، فقام وقال: «يا أيها الناس، إنما قال رسول الله له خاصة: أنت فيها قاعداً خير منك قائماً»[1].

ومن المعلوم: أن عماراً الذي كان مع الحق، وأنه يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار.. يتعمَّد إخبار الناس: بأن أميرهم ليس دقيقاً فيما ينقله لهم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل هو إما يتعمد تحريف كلام الرسول «صلى الله عليه وآله»، أو أنه ينقل كلامه بالمعنى، دون أن يراعي الأمانة، أو الدقة في النقل..

إلا أن يقال: إنه قد أخطأ في فهم كلام الرسول إلى هذا الحد، فقد قال للناس

(1) راجع المصادر المتقدمة، والغدير (ط سنة 1425 هـ. ق) ج10 ص165 و 166.

حين ذهب ابن عباس إلى الكوفة ليستنفر الناس لحرب المفسدين، ولدعوة أبي موسى إلى الطاعة، وتحذيره من العصيان، قال لهم أبو موسى في خطبته عن الصحابة: «فهم أعلم بالله ممن لم يصحبه»(1).

فكيف لم يفهم الفرق بين أن يقول له النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنت فيها قاعداً خير منك قائماً».. وبين أن يقول: «ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب»؟!

فإن كان لم يدرك الفرق، فلماذا ادَّعى: أنه من صحابة هم أعلم بالله ممن لم يصحب النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

وكيف عرف أن نفس رؤية النبي «صلى الله عليه وآله» تزيد في المعرفة بالله؟!

فلو كان الأمر كذلك، فلماذا لم تزد معرفة أبي لهب، وسائر فراعنة قريش بالله، وهم كانوا يرون النبي «صلى الله عليه وآله» وقد صحبوه أكثر من غيرهم، ومن أبي موسى أيضاً؟!

عمار بريء مما ينسب إليه:

ذكرت الرواية المتقدمة، الذي دار بين مسروق ابن الأجدع وعمار، وكذا اتهام التميمي لعمار: بأنه كان مع الغوغاء (أي الذين قتلوا عثمان)(1). وقول

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص18 و 19 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص482 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص497 والكامل في التاريخ ج3 ص227 والغارات ج2 ص918 و 922 والفتنة ووقعة الجمل ص138 و 139 و البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج7 ص263.

(1) دلائل الإمامة ص157 وقاموس الرجال ج10 ص51 و 52 والمسترشد

أبي موسى لعمار: أعدوت في من عدا على أمير المؤمنين (يعني عثمان بن عفان) وأحللت نفسك مع الفجَّار؟!

ولكن ذلك كله، محض تجنٍّ وافتراء على عمار..

فأولاً: إن عماراً لم يكن في جملة المهاجمين لعثمان، وقد قال لأبي موسى مجيباً له على تهمته إياه بذلك: «لم أفعل، ولم يسؤني».

أما سبب قتل عثمان، فلا ينحصر بشتم أعراض الناس، وشتم أبشارهم، بل هو سياساته في بيت المال، وفي الناس التي جعلت عائشة تحكم عليه بالكفر، وتأمر بقتله..

فالجواب المنسوب لعمار غير دقيق.. وجواب ابن الأجدع فيه تعمية على الحقائق.

وأما ابن الأجدع، فقد كان منحرفاً عن علي «عليه السلام»، وكان عشَّاراً لمعاوية[1].

بل روي: أنه كان يلي الخيل لعبيد الله بن زياد، وأوصى أن يدفن في مقابر اليهود، معللاً ذلك: بأنه يخرج من قبره، وليس هناك من يؤمن بالله ورسوله غيره[1].

للطبري ص157 وأعيان الشيعة ج7 ص69.

(1) المسترشد ص157 وقاموس الرجال ج10 ص51 و 52 وراجع: الغارات ج2 ص909 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص315 وخلاصة الأقوال ص411 ورجال ابن داود ص278 والتحرير الطاووسي ص557 ونقد الرجال ج1 ص252 وج4 ص366.

(1) المسترشد ص157 وقاموس الرجال ج10 ص51 و 52 وأعيان الشيعة ج7 ص69.

ثانياً: ما قاله أبو موسى لعمار، قد نقضه أبو موسى نفسه حين زعم: أن صحابة النبي «صلى الله عليه وآله» أعلم بالله من غيرهم، وعمار كان من خيار الصحابة وكبارهم..

وقد شهد له النبي «صلى الله عليه وآله»: بأنه ملئ إيماناً إلى مشاشه، وأنه لو سلك الناس وادياً وسلك عمار وادياً، فعلى الناس أن يسلكوا الوادي الذي سلكه عمار، وأن الجنة تشتاق إلى عمار.

فمن كان كذلك، هل يمكن أن يحل نفسه مع الفجار؟!

وعما قاله عمار لابن الأجدع، نقول:

إن عماراً كان يتحدث عن أهل المدينة، أو عن رضا الصحابة بقتل عثمان.. ولو كان إقراراً منه بقتل عثمان، لنافاه قوله لأبي موسى: لم أفعل.

وإذا كان عمار من الصحابة الأعلمين بالله، فلماذا يعترض عليه أبو موسى لمشاركته، لو كان مشاركاً في قتل عثمان حقاً؟!

ثالثاً: ما قاله التميمي لعمار محض تجن على عمار أيضاً، لما يلي:

1 ـ إن عماراً لم يتفوه بشيء يصح وصفه بالسفه، بل ما صدر منه هو مجرد تصحيح لمتن الحديث الذي نقله أبو موسى عن النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن أبو موسى كان قد حرفه بما غيَّره عن المعنى المقصود.

2 ـ إن أبا موسى هو الذي سافه عماراً، واجترأ عليه، واتهمه بما هو منه بريء، ونسب قسماً من الصحابة إلى أنهم من الفجَّار، غاية الأمر: أن عماراً أخبر عن نفسه: بأن قتل عثمان لم يسؤه.

3 ـ إن ذلك التميمي هو الذي أساء إلى عمار، حيث أمره بالسكوت،

وقال له: «أيها العبد».. مع أن عماراً لم يكن عبداً لأحد من الناس، بل كان عربياً حراً.

إن للإصلاح أهلاً:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لعمار: اكفف عنا يا عمار، فإن للإصلاح أهلاً.

وذلك ـ كما ادَّعت الرواية ـ: أنه شهد لعائشة بأنها زوجة النبي في الجنة.. فقال له رجل: إنه مع من شهد له بالجنة، على من لم يشهد له.

وهذا الكلام باطل من وجوه كثيرة، نكتفي هنا بذكر بعضها، ونحيل القارئ الكريم فيما عداها إلى كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج29 ص9 ـ 54، فنقول:

1 ـ إن هذا الكلام منه «عليه السلام» لا يتلاءم مع قول النبي «صلى الله عليه وآله» عن عمار: إنه يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار.. وقوله: عمار مع الحق(1).

---

(1) راجع: الغدير ج1 ص331 وج8 ص343 وج9 ص25 و 259 وج10 ص312 ونهج السعادة ج2 ص239 و الطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص262 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص476 وكنز العمال ج13 ص539 والدرجات الرفيعة ص260 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص127 وبحار الأنوار ج44 ص35 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص61 وعلل الشرائع ج1 ص223 والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج3 ص177 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص101 والإستغاثة ج1 ص54 والكنى والألقاب ج1 ص187.

وقال: يا عمّار، إن رأيت عليّاً قد سلك وادياً، وسلك النّاس وادياً غيره، فاسلك مع علي، فإنّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى[1]. فكيف يكون عمار ليس أهلاً للإصلاح؟!

2 ـ إن رأي عمار في أصحاب الجمل مناقض لما ذكرته هذه الرواية تماماً، فعن عبد الله بن رباح، مولى الأنصار، عن عبد الله بن زياد، مولى عثمان بن عفان قال:

إنه سمع عماراً يقول يوم الجمل عن آية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ..**﴾[1]: ما نزل تأويل هذه الآية إلا اليوم[2].

3 ـ إن اقحام عمار في هذه اللحظة بالذات بشهادته: بأن عائشة زوجة النبي «صلى الله عليه وآله» في الجنة فيه تخذيل للناس عن علي «عليه السلام»،

---

(1) الطرائف لابن طاووس ص103 ـ 104 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص7 والأربعون حديثاً لابن بابويه ص60 والعقد النضيد ص67 والصراط المستقيم ج1 ص274 وبحار الأنوار ج28 ص68 وج22 ص316 وج33 ص17 وج38 ص32 و 37 وج38 ص39 وبشارة المصطفى ص232 والمناقب للخوارزمي ص105 وتاريخ بغداد ج13 ص188 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص472 وينابيع المودة ج1 ص384 وج2 ص287 والدرجات الرفيعة ص317 وبغية الطلب لابن العديم ج1 ص292 والبداية والنهاية (ط دلا إحياء التراث العربي) ج7 ص340 .

(1) الآية 54 من سورة المائدة.

(2) الجمل للمفيد ص366 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص195 والجمل لابن شدقم هامش ص128.

ونقض للغرض الذي جاء من أجله.

4 ـ إن قادة جيش الناكثين هما طلحة والزبير وأضرابهما، هم الذين جاؤا لحرب علي، وثمة حاجة إلى دفعهما، فما هي الحاجة لذكر عائشة، والثناء عليها بهذا النحو؟! ولماذا لم يذكر اسمها صراحة، بل ذكر وصفها فقط، وهو: أنها زوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

5ـ إن كون عائشة ستكون زوجة للنبي في الآخرة أمر غيبي لا يعلم إلا من قبل النبي «صلى الله عليه وآله».

فكيف يقول النبي «صلى الله عليه وآله» هذا، ثم يقول عن علي «عليه السلام»: أنا حرب لمن حاربه وسلم لمن سالمه؟ كما روي بأسانيد صحيحة[1].

(1) راجع: الإصابة ج8 ص266 وسنن الترمذي ج5 ص360 والمستدرك للحاكم ج3 ص149 ومجمع الزوائد ج9 ص169 وأمالي المحاملي ص447 والمعجم الأوسط ج5 ص182 وج7 ص197 والمعجم الصغير ج2 ص3 والمعجم الكبير ج3 ص40 وج5 ص184 وفضائل سيدة النساء لابن شاهين ص29 ونظم درر السمطين ص232 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص97 وج13 ص640 وأحكام القرآن للجصاص ج1 ص571 وج2 ص508 والإعتقادات في دين الإمامية ص105 وعيون أخبار الرضا ج1 ص64 وروضة الواعظين ص158 وكتاب سليم بن قيس ص134 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص156 و 169 و 178 وشرح الأخبار ج2 ص608 وج3 ص13 و 518 والأمالي للمفيد ص213 والأمالي للطوسي ص336 والأربعون حديثاً لابن بابويه ص19 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص18 والعمدة ص51 و 320 والطرائف ص131 وذخائر العقبى ص23 و 25 والصراط المستقيم ج1 ص188 وكتاب الأربعين للشيرازي ص273 و 477 وبحار الأنوار ج8 ص366

فإذا كانت عائشة تحارب علياً «عليه السلام»، فالنبي «صلى الله عليه وآله» محارب لها، فكيف تكون زوجته في الجنة؟!

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول لعائشة عن علي «عليه السلام»: «والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي، ولا من غيرهم إلا وهو خارج عن الإيمان»(1).

ويقول لها: «يا ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل الأذنب [الأدبب]، تنبحها كلاب الحوأب، فتكون ناكبة عن الصراط»(1).

6 ـ إن عماراً كان يعلم: أن عائشة قد أمرت بقتل عثمان بن عفان، وعثمان بن حنيف، وأبان بن عثمان(2). وهي خارجة على إمام زمانها بالإضافة

وج17 ص261 وج22 ص286 و 384 وج23 ص116 وج26 ص343 وج27 ص62 و 141 وج29 ص341 وج32 ص321 وج37 ص65 و 77 و 79 و 82 و 107 و 206 وج91 ص21 وكتاب الأربعين للماحوزي ص78 و 109 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص163 والمراجعات ص383 والغدير ج10 ص49 وج10 ص278 و 280 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص250 و 390.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص217 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص206 و 291 وبحار الأنوار ج32 ص169 والغدير ج3 ص187 وج11 ص123 والمعيار والموازنة ص28 وغاية المرام ج1 ص243 وج6 ص287.

(1) بحار الأنوار ج32 ص170 وراجع ص163 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص216 و 217 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص206 و 291 وغاية المرام ج1 ص243 وج6 ص287 والنص والإجتهاد ص429 و 430 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص405 وفي الإختصاص ص118 و 119.

(2) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص468 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص485 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص300 وراجع: الكامل في التاريخ ج2 ص319 وشرح

إلى أمور كثيرة، لا مجال لتتبعها.

7 ـ وقد كتبت إلى حفصة: «أما بعد، فإنا نزلنا البصرة، ونزل علي بذي قار.. والله داقّ عنقه كدق البيضة على الصفا.. إنه بمنزلة الأشقر، إن تقدم نحر، وإن تأخر عقر»(1).

8 ـ هذا كله، عدا عن أن هذه الرواية إنما رواها أبو خيثمة، الذي يحدِّث عن الثقات بالمناكير ويصحف(2).

الإمام الحسن يخبر بأمر غيبي:

تقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» أخبر الناس في الكوفة عن أمر غيبي، حيث قال: أجيبوا دعوة إمامكم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتلينا.

ويستفاد من هذه الكلمات أمور عديدة، نذكر ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» أخبر عن أن هذا الأمر موضع رعاية الله، وعناياته، فليست دعوتهم للمشاركة فيه منطلقة من حاجة ماسة إلى نصرتهم، بحيث

إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص468.

(1) الجمل للمفيد ص276 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص149 والجمل لابن شدقم ص32 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص235 و 296 والكافئة للشيخ المفيد ص17 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص753.

(2) ميزان الإعتدال ج4 ص119 والكامل لابن عدي ج6 ص364 ولسان الميزان ج6 ص43 وتاريخ الإسلام ج17 ص362 والغدير ج5 ص321 وج7 ص109.

لو لا مشاركتهم، لحصل الفشل.

2 ـ إن دعوتهم إلى نصرة الإمام هي تشريف وتكريم لهم. فالمنَّة لله ولرسوله، وللإمام عليهم، وهي توفيق لهم، وليس لهم أن يمنُّوا على أحد بهذه المشاركة.

3 ـ إن سياق كلام الإمام الحسن «عليه السلام» يعطي: أنه يريد بكلامه هذا تقرير وتطبيق مضمون قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

4 ـ إن نصرتهم إمامهم، الذي يرعاهم، ويهديهم إلى الخير والسعادة، ويربيهم، ويعيش من أجلهم، ويدفع الأسواء عنهم، دليل على تفكيرهم السليم، وأنهم على الصراط المستقيم، وأنهم ينقادون للعقل، لا للأهواء والعصبيات.

5 ـ إذا كانت الأمور تسير وفق ما يرشد العقل السليم إليه، فذلك هو رمز النجاح والفلاح في الدنيا، ويثمر الخير في الآخرة، لأنه يمهد السبيل إلى الفوز بالجنة.

6 ـ إن هذا الذي يجري هو امتحان للناس في الدنيا، وإظهار لحقائقهم، وإلقاء للأقنعة الزائفة، والمظاهر الخادعة، التي تخفي المزيد من الوعورة والأكدار، وغرائب الأطوار.

7 ـ إن استجابة الناس إلى ما يدعوهم إليه إمامهم هو من المعونة للحق

---

(1) الآية 54 من سورة المائدة.

وأهله، فلا بد من الإنصياع للتدبير الذي يعتمده الإمام، ويرى فيه مصلحة وخيراً..

وهذا يفرض: أن يكون هو الذي يقرِّر الإقدام والإحجام.. وليس لأحد أن يملي عليه إرادته، أو أن يطالبه بالإنقياد إلى مشيئته.

8 ـ إن ما يجري، كما أن فيه اختباراً للناس ليميز الخبيث من الطيب، والخالص من الزائف منهم، فإنه أيضاً اختبار للإمام، ليظهر للناس عظيم صبره، وباهر فضله، وفرائد مزاياه، وجميل خصاله ومنتهى كماله، وسداد آرائه، وصواب أفعاله..

أبو موسى ينقض كلامه:

عرفنا: أن أبا موسى قال: إن عماراً أحل نفسه مع الفجار.. وهو يقصد بالفجار أولئك الذين هاجموا عثمان وشاركوا في قتله..

فلما اعترض عليه الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن كلامه فيه تثبيط للناس عن علي، وأن علياً «عليه السلام» لا يريد إلا الإصلاح، وهو الأمين على مصالح الأمة، وما مثله يخاف على شيء، قال له أبو موسى: صدقت بأبي وأمي.

وتصديقه هذا فيه نقض لكلامه السابق، واعتراف: بأن المعيار في الصلاح والفساد هو صلاح القائد، والإمام، وفساد نوايا المأموم لا يسوِّغ إفساد خطط، ونقض سياسات الإمام.

وأبو موسى يعترف بصحة نوايا، وخطط وسياسات علي، وأنه مأمون على الدين والدنيا، ولا يخاف على شيء.. فلماذا يخذِّل الناس عنه؟!

ولكن أبا موسى كان يحاول المراوغة والمطاولة، والتسويف، والسعي لزرع

الريب والشبهة في نفوس الناس، عن طريق تحريف حديث النبي «صلى الله عليه وآله» عن الفتنة.

وبالرغم من جهود أبي موسى، ومحاولاته هذه، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» قد استطاع أن يستخرج من أهل الكوفة تسعة آلاف مقاتل، بل أكثر من ذلك أيضاً، حيث لحق بعلي اثنا عشر ألفاً منهم، كما تقدم..

هكذا عزل أبو موسى:

وقد بقي الإمام الحسن «عليه السلام»، وعمار بن ياسر في الكوفة يعملان برفق، على إضعاف أمر أبي موسى، وهو يطاول ويراوغ، وهما يضيقان عليه الخناق، ولا يقدر على فعل أي شيء معهما، بل كانا راصدين لكل كلمة وحركة منه، عاملين على نقض أقواله، وفضح أحابيله، حتى جاء الأشتر على حين غفلة منه، ودخل قصر الإمارة حين كان أبو موسى يخطب، وخرجت الأمور من يده بهذه الطريقة..

يقول النص:

«وبلغ أمير المؤمنين «عليه السلام» ما كان من أمر أبي موسى في تخذيل الناس عن نصرته، فقام إليه مالك الأشتر «رحمه الله تعالى»، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك قد بعثت إلى الكوفة رجلاً من العنت، فما أراه [أحكم] شيئاً. وهؤلاء أخلف [أخلق] من بعثت أن يستتبَّ لك الناس على ما تحب.. ولست أدري ما يكون، فإن رأيت ـ جعلت فداك ـ أن تبعثني في أثرهم، فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة، فإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: الحق بهم على اسم الله عز وجل.

فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة»[1].

لكن أبا جعفر يقول: وأتت الأخبار علياً «عليه السلام» باختلاف الناس بالكوفة، فقال للأشتر: أنت شفعت في أبي موسى أن أقره على الكوفة، فاذهب فأصلح ما أفسدت.

فقام الأشتر، فشخص نحو الكوفة، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة إلا دعاهم، وقال: اتبعوني إلى القصر، حتى وصل القصر، فاقتحمه وأبو موسى يومئذٍ يخطب الناس على المنبر، ويثبطهم، وعمار يخاطبه، والحسن «عليه السلام» يقول: اعتزل عملنا، وتنح عن منبرنا، لا أم لك![1].

قال المفيد «رحمه الله»:

إن الأشتر «انتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم وأبو موسى قائم في المسجد الأعظم يخطب الناس ويثبطهم عن نصرة أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهو يقول:

---

(1) الجمل للمفيد ص251 و (مكتبة الداوري ـ قم) ص135 و 136 والغارات للثقفي ج2 ص921 وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص500 و 501 وأعيان الشيعة ج1 ص565.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص20 و 21 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص487 و 486 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص501 والغارات للثقفي ج2 ص921 والكامل في التاريخ ج3 ص231 ونهاية الإرب ج20 ص52 و 53 وعن العبر وديوان المبتدا والخبر ج2 ص614 وأعيان الشيعة ج1 ص565.

«أيها الناس هذه فتنة عمياء صماء، تطأ في خطامها.. النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والساعي خير من الراكب.

إنها فتنة نافذة كداء البطن، أتتكم من قبل مأمنكم، تدع الحليم فيها حيران.

[إنَّا معاشر أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» أعلم بالفتنة، إنها إذا أقبلت شبهت](1)، فإذا أدبرت أسفرت»(2).

وعمار يخاطبه، والحسن «عليه السلام» يقول: «اعتزل عملنا لا أم لك صاغراً، وتنح عن منبرنا».

وأبو موسى يقول لعمار: هذه يدي بما سمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم»(1).

فقال له عمار: إنما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ستكون فتنة أنت فيها يا أبا موسى قاعداً خير منك قائماً(2)، ولم يقل ذلك لغيرك.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج4 ص486 و 487 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص498 و 501 والغارات للثقفي ج2 ص921 و 923 والفتنة ووقعة الجمل ص140 و 141 والجمل للمفيد ص136.

(2) كنز العمال ج11 ص172 والغارات للثقفي ج2 ص921 والفتنة ووقعة الجمل ص140 و 141 وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص501 والجمل للمفيد ص136.

(1) الجمل للشيخ المفيد ص252 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص136.

(2) الجمل للمفيد ص251 و 252 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص136 وتاريخ

ثم قال له عمار: أرني يدك يا أبا موسى.

فأبرزها إليه.. فقبض عليها عمار وقال: غلب الله من غالبه، ولعن من جاحده.

ثم قال عمار: أيها الناس، إن أبا موسى أوتي علماً، ثم انتفض عنه كما ينتفض الديك إذا خرج من الماء(1).

وروى الطبري عن أبي مريم الثقفي، قال: والله إني لفي المسجد يومئذ إذ دخل علينا غلمان أبي موسى يشتدون ويبادرون أبا موسى: أيها الأمير، هذا الأشتر جاء، فدخل القصر، فضربنا وأخرجنا.

فنزل أبو موسى من المنبر، وجاء حتى دخل القصر، فصاح به الأشتر: أخرج من قصرنا لا أم لك، أخرج الله نفسك! فوالله إنك لمن المنافقين قديماً.

قال: أجلني هذه العشية.

الأمم والملوك ج4 ص482 و (ط مؤسسة الأعلمي) 498 و 501 وشرح الأخبار ج1 ص384 وتذكرة الخواص ص68 والكامل في التاريخ ج3 ص231 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص263 ونهاية الإرب ج20 ص48 و 52 و 53 والفصول المهمة ص73 و 74 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص21 وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ص614 والغارات للثقفي ج2 ص922 و 923 وراجع ص919 والغدير ج9 ص112 وراجع: الفتنة ووقعة الجمل ص140.

(1) الغارات للثقفي ج2 ص922 و 923 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص15 و 16 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص484 و (ط مؤسسة الأعلمي) ص501 والدرجات الرفيعة ص266 وراجع: الجمل للمفيد ص252 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص136.

قال: قد أجلتك، ولا تبيتن في القصر [الليلة].

ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشتر، وقال: إني قد أخرجته، وعزلته عنكم.

فكفَّ الناس حينئذٍ عنه(1).

ونص آخر يذكر: أن عماراً «رحمه الله» ناشد أبا موسى في أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خصَّ أبا موسى نفسه بحديث الفتنة، ولم يعمّ الناس، فخرج أبو موسى، ولم يرد عليه شيئاً(1)، [واعتزل ناحية عنه].

ونقول:

1 ـ تضمن كلام الأشتر «رحمه الله» حقيقة: أن الذين أرسلهما علي «عليه السلام» إلى الكوفة، وهما الإمام الحسن «عليه السلام» وعمار، هما القادران على ضبط الأمر في الكوفة، وجمع كلمة أهلها على الحق والهدى، وبسط سلطان الحق والدين، واستتباب الأمر له «عليه السلام» فيها وفق ما يجب.

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص20 و 21 وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص501 و (ط أوربا) ج1 ص3153 و 3154 و (ط أخرى) ج4 ص487 والجمل للمفيد ص253 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص136 و 137 والغارات ج2 ص922 والكامل في التاريخ ج3 ص231 ونهاية الإرب ج20 ص52 و 53 وعن العبر وديوان المبتدا والخبر ج2 ص614.

(1) مسند أبي يعلى ج3 ص203 و 204 ومجمع الزوائد ج7 ص246 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص273 و 274 والكامل لابن عدي ج5 ص187 وتاريخ مدينة دمشق ج32 ص92 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص150.

غير أن تعنت أبي موسى ومطاولته، ومماطلته، قد عقدت الأمور، فمست الحاجة بناء على هذا إلى معونتهما على إنجاز المهمة التي كلفا بإنجازها.. ثم قدم الأشتر نفسه لهذا الأمر بحكم معرفته بأهل الكوفة، وما له من علاقات متينة معهم أفراداً، وجماعات..

ودخل «رحمه الله تعالى» الكوفة في وقت كان الناس فيه مجتمعين في المسجد الأعظم، لاستماع خطبة أبي موسى بهم، وكان يثبطهم عن الإلتحاق بأمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان عمار يخاطبه والإمام الحسن «عليه السلام» يقول في هذه اللحظة: «اعتزل عملنا، وتنح عن منبرنا»، أو «اعتزل عملنا لا أم لك، صاغراً، وتنح عن منبرنا».

وقد دخل الأشتر قصر الإمارة مع من جمعهم حين مرَّ بهم وهو في طريقه، وأمرهم باتِّباعه، فأخرج غلمان أبي موسى منه، فتبادروا إلى المسجد، وأخبروا أبا موسى، فنزل عن المنبر ودخل القصر، فمنعه الأشتر قائلاً له: أخرج من قصرنا لا أم لك.. أخرج الله نفسك إلى آخر ما تقدم.

وهذه حركة موفقة من الأشتر قد باغتت أبا موسى، وضيع عليه فرصة المطاولة والمماطلة التي كان يمارسها، بانتظار تحوَّل معين، إما من داخل الكوفة، أو من خارجها من قبل أعداء علي «عليه السلام».

وقد رأى أبو موسى: أن تصدي عمار له، وتقويض استدلالاته، وإبطال نصائحه، وبيان مراميها قد أفقدها التأثير.. كما أن إصرار الإمام الحسن «عليه السلام» على إسقاط مشروعية توليه مقام الإمارة، وتعريف الناس: بأنه معتدٍ وغاصب، حتى أصبح مهتوك الستر، فاقداً للشرعية، عاجزاً عن جواب الإمام الحسن «عليه السلام»، ولو بما يشبه الحجة، ولاسيما بعد ظهور: أنه مدلِّس،

يحرِّف كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن مواضعه، وغير ذلك من أمور.

ثم ظهور الأشتر على الساحة، وهو الرجل الحازم والحاسم والشجاع، الذي لا يهادن، ولا يماري، ولا يداري، والمطاع في أهل الكوفة.. وبعد أن ظهر له تأييد الفئات والقبائل المختلفة لحركة الأشتر.. إن ذلك كله، قد أنتج شعور أبي موسى بالفشل الذريع، والسقوط المريع، لاسيما وأنه أصبح في موقع المتهم بممالأة الأعداء، وبغير ذلك من أمور، وسقطت عنه الشرعية، وجميع أنواع التخفي وراء عناوين ظهر للناس: أنه يخادعهم بها، مثل الظهور بمظهر الناصح، والحريص على سلامة الناس، وإبعادهم عن الفتن، وما إلى ذلك.

تنحّ عن منبرنا:

وقد توافقت حركة الأشتر بالإستيلاء على القصر، مع إعلان الإمام الحسن «عليه السلام» عزل أبي موسى، بقوله: اعتزل عملنا، وبذلك أصبح أي تصرف من أبي موسى في أمور الناس عدواناً على أمر ليس له.. لاسيما وأنه «عليه السلام» قد ألمح إلى أن ما كان يتولاه من عمل إنما يتصرف فيه، لأنه منصوب من قبلهم، وها هو من نصبه قد عزله، وأصبح حتى هذا المنبر الذي يعتليه لكي يخاطب الناس من خلاله منبراً مغصوباً، فلا يصح اعتلاؤه من قبل غير الإمام، إلا بإجازته «عليه السلام».

وقد لوَّح له الإمام الحسن «عليه السلام»: بأنه قد تجاوز حدود المعقول والمقبول، وصار من المتمردين الذين لا بد من كفِّ شرهم، ويدهم، عن العباد والبلاد، وعن الفساد والإفساد ولو باستعمال القوة.. كما أظهره قوله «عليه السلام»: لا أم لك.

وكلماته هذه تشير أيضاً إلى أن خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» شرعية وثابتة، وصحيحة، ولا تشوبها أية شائبة، فلا يحق لأحد اعتلاء منبره، بدون إذنه ورضى منه.. ومن فعل ذلك يجب ردعه.

وقوله «عليه السلام» لأبي موسى: لا أم لك، يؤكد حقيقة: أن عناد أبي موسى لا بد أن يقمع، ويجب أن يقلع من موقعه هذا، ولا مجال للشفقة عليه والرفق به، فالإمام إنما يجري أحكام الله في الخارجين والمتمردين عليه، ويجب أن لا تأخذه لومة لائم..

وشفقة الإمام على رعيته هي شفقة الأب الحكيم والحليم الذي يراعي مصلحة الأمة، ولا يشفق على المعتدي والمجرم، إذا كانت شفقة ورحمة تدعو المجرم إلى الإمعان في العدوان، كما قد يحدث من قبل بعض الأمهات في إطلاق العنان لعواطفهن.. حتى ولو كانت مضرة، ومشجعة لولدها على الإفساد والعدوان.

تشابه وانسجام:

وقول الأشتر لأبي موسى: اخرج من قصرنا، إنما هو لأنه يريد أن يعرف الناس أن الشرعية الحقيقية تتمثل في حكومة علي «عليه السلام»، وهو الذي يحق له التصرف في قصر الإمارة، والأشتر إنما يتكلم مع الناس باسم الخليفة المنصوب من قبل الله ورسوله، والمبايع له من قبل أهل الحل والعقد، ولأجل أن الأشتر يحمل تفويضاً من الإمام الشرعي بعزل أبي موسى، فقد أخبر الناس بهذا العزل، وقال: إني قد أخرجته، وعزلته عنكم..

وما أشبه أقوال الأشتر هذه بقول الإمام الحسن «عليه السلام» لأبي موسى

وهو يخطب: «اعتزل عملنا، وتنح عن منبرنا، لا أم لك».

وفي نص آخر: «اعتزل عملنا لا أم لك صاغراً، وتنح عن منبرنا».

عزل أبي موسى بالأصالة، وبالوكالة:

ويلاحظ: أن عزل أبي موسى عن الكوفة قد تم بالوكالة، من خلال عزل الأشتر له، الذي لم يكن يدَّعي لنفسه حاكمية، ولا حكومة.. وإنما هو مرسل ومفوض من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام».

وتم العزل أيضاً بالأصالة من قِبَل الذي شهد له رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولأخيه، بأنهما إمامان قاما أو قعدا..

وربما كان عزل الإمام الحسن «عليه السلام» لأبي موسى أشد وقعاً عليه، من عزل الأشتر بالوكالة، لأن من الجائز أن يدَّعي بعض من أعمى الله بصيرته: أن علياً «عليه السلام» لم يكن خليفة طيلة خمس وعشرين سنة.. ولا اعتبار بالبيعة له بعد قتل عثمان، فعزل أبي موسى أو إبقاؤه لا أثر له..

ولكن إمامة الإمام الحسن «عليه السلام» كانت فعلية وثابتة بنص الرسول، سواء أوصى إليه الإمام علي «عليه السلام»، أم لم يوص، وسواء قام الإمام الحسن بالأمر، أو قعد، وسواء بايعه الناس، أم لم يبايعوه..

فإذا انضم إليها تفويض علي «عليه السلام» له عزل أبي موسى، فيكون تصرفه قد حاز على شرعيتين:

أولاهما: كونه إماماً مفترض الطاعة على أبي موسى وغيره بنصب النبي «صلى الله عليه وآله» له..

الثاني: شرعية تفويض أبيه أمر عزل أبي موسى إليه..

فإحداهما تؤكد الأخرى في الإلزام، لزوم الإمتثال..

خطبة الإمام الحسن ×:

وقد ذكر الشيخ المفيد: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بعد عزل أبي موسى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر جده، فصلى عليه، ثم قال:

«أيها الناس! إن علياً أمير المؤمنين باب هدى، فمن دخله اهتدى، ومن خالفه تردى». ثم نزل[1].

ونقول:

1 ـ إنه «عليه السلام» يريد أن يوجِّه أنظار الناس إلى أمر عقائدي، مفاده: أن علياً «عليه السلام»، حين سمَّاه الله تعالى ورسوله أميراً للمؤمنين، لم يكن ذلك، لأنه كان يريد أن يكرس له امتيازاً شخصياً يتلذذ به، وتبتهج به نفسه، وتهفو روحه إليه، بل هو أمير لهم بمعنى: أنه يتحمل مسؤوليات كبيرة وخطيرة تجاههم، لأن الإمارة ـ عنده ـ لا تعني السلطة والهيمنة المجردة عن أي مضمون، بل تعني: أنه المسؤول عن هدايتهم، ورعايتهم، وقيادتهم إلى برَّ الأمان، وتعليمهم، وتثقيفهم، وحلّ مشاكلهم، ودفع عدوهم، وتوفير كل ما يسعدهم في الدنيا وفي الآخرة..

2 ـ **ولأجل ذلك قال «عليه السلام»**: إن علياً ـ أمير المؤمنين ـ باب هدى.

ومن المعلوم: أن كل عاقل يدرك: أن عليه أن يبحث عن باب الهدى،

(1) الجمل للمفيد ص254 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص137 والمعيار والموازنة ص117 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص14.

لكي يلج منه إلى المعارف والهدايات، التي لا تنال سعادة الدارين إلا بها..

3 ـ إن من خصوصيات باب الهدى: أن أحداً لا يعذر في تنكبه، وعدم ولوجه، لأنه سيصاب بكوارث الضلال ومصائبه، شاء أو أبى، ولأن الجهل به لا يكون عذراً، ولا يوجب أمناً، لأن لهذا الجهل آثاراً واقعية لا مجال للخلاص منها، وأيسرها أن يبقى الجاهل به يعيش الحيرة، والعمى، وعدم الأمن من الزلل والخطل، فيما يقول وفيما يفعل.

4 ـ إن المراد بقوله «عليه السلام» باب هدى: أنه هو الإمام الذي لا يصل أحد إلى الله بدون أن يمرّ فيه، ويدخل منه إلى الهدايات الإلهية والتعاليم الربانية، كما أن ولديه الحسن والحسين، والأئمة «عليهم أفضل الصلاة والسلام» من ذريتهما أبواب هدى، فلا يظنن أحد أن فقد علي معناه عدم وجود باب هداية بعده يجب الرجوع إليه، والأخذ منه، والإعتماد بعد الله عليه، وتجب طاعته، ونصرته، وتوليه، والتبري من أعدائه.

مهمة الإمام الحسن في الكوفة:

وفي ختام هذا الفصل نقول:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يذهب إلى الكوفة ليعزل أبا موسى، بل ذهب إليها ليستنفر الناس إلى الجهاد مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، وصد المعتدين، ومنع إفساد المفسدين، وقد نفر معه «عليه السلام» منها حوالي تسعة آلاف، ولحق بهم غيرهم، فصاروا اثني عشر ألف رجل، كما أخبر علي «عليه السلام».. ولم ينفع تثبيط أبي موسى الناس عن النفر إلى الجهاد، ثم انتهت الأمور على النحو الذي تقدم بيانه.

الباب الثاني

مشاركات الحسن في حرب

الفصل الأول

التعبئة والإفتخار الفارغ..

بداية:

بعد أن كتَّب طلحة، والزبير الكتائب، وعيَّنا القادة، فخر كل فريق بقومه، وقام خطباؤهم بالتحريض على القتال.

فقام عبد الله بن الزبير في معسكرهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أيها الناس! إن هذا الوعث والرعث قتل عثمان بالمدينة، ثم جاءكم ينشر أموركم بالبصرة، وقد غصب الناس أنفسهم.

ألا تنصرون خليفتكم المظلوم؟!

ألا تمنعون حريمكم المباح؟!

ألا تتقون الله في عطيتكم من أنفسكم؟!

أترضون أن يتورَّدكم أهل الكوفة في بلادكم؟!

اغضبوا فقد غوضبتم، وقاتلوا فقد قوتلتم، إن علياً لا يرى أن معه في هذا الأمر أحداً سواه.. والله لئن ظفر بكم ليهلكن دينكم ودنياكم».

وأكثر من نحو هذا القول وشبهه(1).

---

(1) الجمل للمفيد ص336 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص174 و 175 والفتوح لابن أعثم ج2 ص304 و 305.

الإمام الحسن × يجيب ابن الزبير:

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»:

فبلغ ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال لولده الحسن «عليه السلام»: قم يا بني فاخطب.

فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

وعند ابن أعثم: [قال: وبلغ علياً «عليه السلام» ما تكلم به عبد الله بن الزبير. وقد خطب الناس، وذكر لهم: أني أنا الذي قتلت عثمان بن عفان. وزعم لهم: أني أريد أن أبين (لعل الصحيح: أبتز) الناس أمورهم.. وقد بلغني أنه شتمني.. فقم يا بني فاخطب للناس خطبة [بليغة] موجزة، ولا تشتمن أحداً من الناس.

قال: فوثب الحسن بن علي «عليه السلام» فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: [1]]

«أيها الناس! قد بلغنا مقالة ابن الزبير [فأما زَعْمُهُ: أن علياً قتل عثمان، فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام[2]] وقد كان والله أبوه يتجنى على عثمان الذنوب، [ويرميه بفضيحات العيوب].. وقد ضيَّق عليه البلاد حتى قتل، وأن طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حي.

[وأما شتيمته لعلي، فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أراده.. ولو أردنا أن

---

(1) ما بين المعقوفتين من الفتوح.

(2) ما بين المعقوفتين من الفتوح.

نقول لفعلنا].

وأما قوله: إن علياً ابتزَّ الناس أمورهم، فإنه أعظم حجة لأبيه، زعم أنه بايعه بيده، ولم يبايعه بقلبه، فقد أقر بالبيعة وادَّعى الوليجة، فليأت على ما ادَّعاه ببرهان، وأنَّى له ذلك؟!

وأما تعجبه من تورُّد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجبه من أهل حق توردوا على أهل باطلٍ؟! ولعمري والله ليعلمن أهل البصرة، فميعاد ما بيننا وبينهم يوم نحاكمهم إلى الله، فيقضي الله بالحق وهو خير الفاصلين».

[**زاد ابن أعثم قوله**: «ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان.. ولعلي أن يقاتل أصحاب الجمل» (1).

فلما فرغ الحسن «عليه السلام» من كلامه قام رجل يقال له عمر بن محمود(2)، فقال شعراً يمدح الحسن «عليه السلام» فيه على خطبته(3):

وقال عمرو بن أحيحة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي «عليه السلام»، بعد خطبة عبد الله بن الزبير:]

حسن الخير يا شبيه أبيه ... قمت فينا مقام خير خطيب
قمت بالخطبة التي صدع اللـ ... ـه بها عن أبيك أهل العيوب

---

(1) ما بين المعقوفتين من الفتوح.

(2) في شرح نهج البلاغة ج1 ص146 وهو عمرو بن أحيحة.

(3) الجمل للمفيد ص327 و 328 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص175 و 176 والفتوح لابن أعثم ج2 ص305. ولم يذكر شعر عمر بن محمود.

وكشفت القنـاع فاتضـح الأمـــ ـــر وأصـلحت فاسـدات القلـوب

لست كابن الزبير لجلج في القو ل وطأطــأ عنــان فســل مريـــب

وأبـــى الله أن يقـــوم بـــما قـــا م بـه ابـن الـوصي وابـن النجيـب

إن شخصاً بين النبي لـك الخيــ ـــر وبـين الـوصي غـير مشـوب(1)

وزاد في هامش الفتوح:

حِدْتَ يا ابن الزبير عن جهة الحق بتبــع الهـــوى ورجـــم الغيـــوب

باتبـــاع ابـــن خالـــه وأبيـــه واقـتراف الـذنوب بعـد الـذنوب

لـيس هـذا كـذا ولكـن أبـوه مثـل ذا في عظـيم أهـل الخطـوب

وإلى الله ذاك ثـــــم أبـــــوه مـا جـرى الآل في مئـان الشـهوب

أو على الركض في القبيح وفي النـــ ـــكث ونزع الوجيف غير الربيب(2)

ولما بلغ طلحة والزبير خطبة الحسن «عليه السلام» ومدح المادح له قام طلحة خطيباً في أصحابه فقال:

«يا أهل البصرة! قد ساق الله إليكم خيراً ما ساقه إلى قومٍ قط، أمكم، وحرمة نبيكم، وحواري رسول «صلى الله عليه وآله» وابن عمته، ومن وقاه بيده..

إن علياً «عليه السلام» غصب الناس أنفسهم بالحجاز، وتهيأ للشام،

---

(1) شرح نهج البلاغة ج1 ص146 والفتوح لابن أعثم ج2 هامش ص305.

(2) الفتوح لابن أعثم ج2 ص305.

يريد سفك دماء المسلمين، والتغلب على بلادهم.

فلما بلغه مسيرنا إليكم وقصدنا قصدكم، وقد اجتمع معه منافقو مضر، ونصارى ربيعة، ورجالة اليمن، فإذا رأيتم القوم فاقصدوا قصدهم، ولا تروعوا [لعل الصحيح: تروغوا] عنهم، ولا تقولوا: ابن عم رسول الله، فهذه معكم زوجة الرسول، وأحب الناس إليه، وابنة الصديق، الذي كان أبوها أحب الخلق إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»[1].

الإعتراض على طلحة:

فقام إلى طلحة رجل يقال له خيران بن عبد الله من أهل الحجاز، كان قدم البصرة وهو غلام، فقال:

«يا طلحة! والله ما تركت جنباً صحيحاً ننام عليه بشتمك ربيعة ومضر واليمن، فإن كان القول كما تقول فإنَّا لَمِثلُهم، وهم منا ونحن منهم.. وما يفرق بيننا وبينهم غيرك وغير صاحبك.

ولقد سبقت منا إلى علي «عليه السلام» بيعة ما ينبغي لنا أن ننقضها، وإنا لنعلم حالكم اليوم وحالكم أمس».

فهمَّ القوم به، فمنعهم بنو أسدٍ عنه، فخرج عنهم، ولحق بمنزل ابن صهبان مستخفياً إشفاقاً على دمه منهم.

وقام الأسود بن عوف لما سمع من طلحة شتمه الأحياء من ربيعة ومضر واليمن فقال: يا هذا، إن الله لم يفرق بيننا وبين مضر.. وإن أهل الكوفة من غاب منهم كمن شهد، الأخ إلى الأخ، وإنما خالفنا القوم في هواكما، فاعفنا مما ترى.

---

(1) الجمل للمفيد ص327 و 328 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص175 و 176.

ثم خرج، فلحق بعمان، ولم يشهد الجمل ولا صفين(1).

ونقول:

إننا نقتصر هنا على ما يلي:

الإمام الحسن × يجيب ابن الزبير:

1 ـ لا أحد يجهل شدة بغض عبد الله بن الزبير لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، ولا يتورع عن السب والشتم لأولياء الله، وأوصياء الأنبياء، ومن هو نفس رسول الله بنص آية المباهلة، ومن طهَّره الله في قوله: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(2).

2 ـ لم يكن من عادة علي والحسن والحسين «عليهم السلام» ملاحقة أعدائهم بالردود على ترهاتهم.. إلا حين تكون ثمة تهمة، أو شبهة يخشون منها على إيمان الناس من التشويه، أو الاختلال، أو التسبب بتأجيج الفتن، وتكثير المصائب والبلايا للناس، ولو من خلال استغلال العواطف، والعصبيات، والتأثير على السذج والبسطاء بالأباطيل والأضاليل..

وقد أشار عمرو بن أحيحة إلى هذه الحقيقة حيث أثنى على الإمام الحسن «عليه السلام» في تصديه لابن الزبير، فقال:

وكشفت القناع فاتضح الأمـر وأصـلحت فاسـدات القلـوب

3 ـ وقد رأينا: أن علياً «عليه السلام» حين أوكل إلى ولده الإمام الحسن

(1) الجمل للمفيد ص329 و 330 و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص176 و 177.

(2) الآية 33 من سورة الأحزاب.

«عليه السلام» أمر تفنيد أباطيل، وتجنِّيات ابن الزبير، قد لفت الأنظار إلى أن استعمال ابن الزبير أسلوب الشتم والسب إنما هو شأن ابن الزبير، ولكن أهل الحق والخير، والصلاح لا يتعاملون حتى مع أعدائهم بهذا الأسلوب، ولو على سبيل المقابلة بالمثل، ولأجل ذلك لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ولا علي، ولا سائر الأئمة سبابين ولا شتامين.

وكان علي «عليه السلام» يعلم: أن ولده الإمام الحسن لا يفعل ذلك، لأن الذي رباه هو رسول الله وعلي، والزهراء «عليهم أفضل الصلاة والسلام».

ولكنه أراد بوصيته له بأن لا يشتم أحداً لفت نظر الناس إلى التفاوت بين أخلاق ونهج أهل الباطل، وأخلاق ونهج أهل الحق في هذه الجهة بالذات، فلا يتوقع أحد أن يسمع من الإمام الحسن «عليه السلام» شيئاً من ذلك، ولو على سبيل المقابلة بالمثل..

وعلى هذا، فإنه إذا نقل كلام الإمام الحسن «عليه السلام» لمن غاب ولم يسمع، أو لمن سيولد في مستقبل الأيام، ولم يجد في كلام الإمام الحسن «عليه السلام» سوى الصفاء، والنقاء، والسلامة، فلا يظنن أن أحداً قد اختزل من كلامه ما فيه عوار.. بل عليه أن يعلم أن هذه السلامة والصفاء نهج، وطريقة، وخلق، وقرارٌ لدى الأئمة الأطهار.

4 ـ وكانت وصية أمير المؤمنين «عليه السلام» لولده تتجاوز الأشخاص، لتصبح قاعدة عامة تقضي بعدم شتم أحد من الناس، ليكون ذلك نهج حياة، وخلقاً سامياً، وطريقة تعامل، فقد قال «عليه السلام»: «ولا تشتمن أحداً من الناس».

5 ـ وربما كان السبب في إيكال أمر الإجابة إلى الإمام الحسن «عليه السلام».. هو الأمور التالية:

ألف: لفت النظر إلى رعاية أهل الحق منهج تهذيب الكلمة، وتجنب الشتائم والمهاترات حتى مع الأعداء ولو كانوا قد فعلوا ذلك بدورهم.. وإن المقابلة بالمثل لا تسوِّغ التخلي عن القيم، واحترام الذات، وحفظ الكرامات.

ب: ادَّعى ابن الزبير: أن علياً قد أكرههم على البيعة، فيريد «عليه السلام» لمن طهره الله، وشهد له رسول الله بالإمامة في جميع أحواله: أن يشهد بعدم صحة الأمر، ويدل على أن الطعن بالبيعة بهذا النحو تجن وافتراء.. وبذلك تصبح بيعة الناس لأمير المؤمنين عن إرادة واختيار لا شبهة فيها عند الناس، لأن الشهادة بها قد جاءت من مطهر معصوم، وإمام منصوب من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصورة مباشرة.

ج: إن اتهام علي «عليه السلام» بقتل عثمان افتراء آخر على علي، وقد شهد نفس هذا الإمام المطهر المعصوم: بأن المهاجرين والأنصار يعلمون: أن الزبير وطلحة هما اللذان ساهما في قتل عثمان، لا علي «عليه السلام»، بل كان علي «عليه السلام» هو الساعي للحيلولة دون بلوغ الأمور ما بلغت إليه.

د: إن تولي الإمام الحسن «عليه السلام» الجواب على أباطيل ابن الزبير، بالأدلة الساطعة، والشهادة القاطعة، لا يبقي أي مجال للزعم: بأن الإمام الحسن كان عثمانياً، سعياً منهم لإضعاف أمر أبيه في أكاذيب من هذا القبيل.

شبهات وردود:

عرفنا أن كلام ابن الزبير تضمن نوعين من الكلام:

أحدهما: ما هو مجرد شتائم، وسباب وليس له قيمة، ولا يعبأ به أهل الفضل والعقل، والدين.. سواء صدر من ابن الزبير، أو من أي كان من الناس.

الثاني: ادِّعاءات باطلة، وأساليب تحريض، وإثارة حساسيات، وتوقعات لا موقع، ولا مبرر لها.. ويمكن تلخيص كلام ابن الزبير ضمن عدة نقاط، فنَّدها الإمام الحسن «عليه السلام» واحدة واحدة.. وذلك كما يلي:

ألف: زعم ابن الزبير أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل عثمان بالمدينة.

وقد فنَّد الإمام الحسن «عليه السلام» هذه الفرية بما يلي:

1 ـ إن الزبير هو الذي مهَّد الأمور لقتل عثمان بن عفان، لأنه كان يتجنى على عثمان الذنوب. أي أن الزبير كان يفتري عليه، وينسب إليه ما لم يصدر منه.

وقد أكد «عليه السلام» هذه الحقيقة:

أولاً: بالقسم بالله تعالى، ولم يكن «عليه السلام» بحاجة إلى القسم، ولكن بعض الناس قد يراودهم احتمال أن يكون هذا منه على سبيل الدعاية والإعلام الحربي، فهذا القسم يؤكد لأهل الدين والعارفين بالإمام الحسن صحة ما قاله «عليه السلام».

ثانياً: أكد «عليه السلام» ذلك بالقول: بأن المهاجرين والأنصار كانوا يعلمون أن الزبير كان يفعل ذلك.. وهذا يسهِّل على الجاهلين الإستعلام عن صحة هذا الأمر، فقد بات بإمكانهم جمع الشهادات بهذا الأمر من كلا هذين الصنفين: المهاجرين والأنصار، مع اختلاف ميولهم وولاءاتهم.

2 ـ إنه «عليه السلام» قال إن الزبير كان يرمي عثمان بفضيحات العيوب، ومن الواضح: العيوب الفاضحة هي غير ارتكاب الذنوب، فإن العيب الذي

يوجب الفضيحة قد يكون جسدياً، وقد يكون خلقياً ـ بضم الخاء ـ وقد يكون في عادات الشخص، أو في مواقفه، أو في حالاته النفسية، وغير ذلك، وإن لم يكن ذنباً وتمرداً على الله تعالى..

وقد أكد «عليه السلام»: أن الزبير كان يرمي عثمان بفضيحات العيوب أيضاً بنفس الأمرين السابقين، وهما: القسم بالله، وأن المهاجرين والأنصار يعلمون ذلك، فيمكن لمن شاء أن يسأل من شاء منهم عن صحة ذلك، وهذه فضيحة أخرى للزبير.

3 ـ إن الزبير قد ضيَّق على عثمان البلاد حتى قتل. وقد أكد «عليه السلام» هذا أيضاً: بالقسم، وبأن الأنصار والمهاجرين يعلمون ذلك.

ب: ذكر «عليه السلام»: أن طلحة كان كل همِّه منصرفاً إلى بيت المال، يريد الوثوب عليه لكي ينتهبه، حتى قبل قتل عثمان.. فدل ذلك على أن ما يدَّعيه أصحاب الجمل من براءتهم من دم عثمان، وإلقاء التهمة على أبرأ الناس من دمه ليس له مبرر.

وربما يفهم من هذا: أن ثمة تقسيماً للأدوار بين طلحة والزبير، فيما يرتبط بمصير عثمان، ثم بمراحل الإستيلاء على ما أمكن الإستيلاء عليه من بيت المال وغيره، في أجواء الفوضى التي سبقت قتل عثمان، وكانا على يقين من أن الناس لن يرضوا بأي منهما للخلافة، مع وجود سيد الوصيين علي أمير المؤمنين «عليه السلام».

وبعد قتل عثمان، وتوجه الناس إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ليبايعوه بالخلافة، ورفضه «عليه السلام» قبول هذا الأمر، ولكي لا يفوتهما ـ بزعمهما ـ قطار الولايات والإقطاعات، ونفوذ الكلمة، والوجاهة، فقد بادرا لحجز موقع

لهما عند هذا الخليفة الذي لا يرضى الناس بالبيعة لسواه.

وقد شاركا في الإصرار عليه، والملاحقة الدؤوبة له «عليه السلام» لكي يبايعوه حتى حصلت البيعة له بالفعل.

ج: وبالنسبة للشتائم التي وجهها ابن الزبير لعلي «عليه السلام»، فقد أجابه الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن هذا الأسلوب ليس بذي قيمة، ولا يعطي لمن يختاره امتيازاً، ولا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً.. والناس كلهم يمكنهم ممارسة هذا الأسلوب إن أرادوا ذلك.. ولا يعجز عنه أحد.

د: زعم ابن الزبير: أن علياً «عليه السلام» ابتز الناس أمورهم.. وقد ردَّ الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن هذا الزعم هو أعظم حجة احتج بها الزبير.

ولكنها حجة تبطل ما يريد المحتج أن يثبته بها، وهذا غاية الخذلان، وسوء التوفيق، لأنها تضمنت اعتراف الزبير بأنه قد بايع علياً «عليه السلام».

ولكنه زعم أنه كان مكرهاً، ولم يكن صادقاً في بيعته.

ولا تسمع دعواه هذه إلا إذا أقام دليلاً عليها.. ولا يستطيع إقامة دليل على الإكراه، لأن جميع الناس بما فيهم المهاجرون والأنصار يشهدون على أن طلحة والزبير كانا من أشد الناس إصراراً على أمير المؤمنين «عليه السلام» بالبيعة له.. وكان علي يرفض ذلك، وكانوا يلاحقونه من مكان إلى آخر، ولم يقبل ذلك إلا بعد عدة أيام، فلما رضي بذلك كان طلحة والزبير أول المبايعين له.

هـ: قال ابن الزبير: «أترضون أن يتورَّدكم أهل الكوفة في بلادكم»؟!

والمراد بالتورُّد دخول الخيل بصورة تدريجية.

فأجابه الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن المعيار في هذا الأمر هو الحق،

والباطل، فإذا كان أهل البصرة ينصرون الباطل وأهله، وكان أهل الكوفة ينصرون الحق وأهله، فلا عجب من دخول خيل أهل الحق بلاد أنصار الباطل.

فما يسعى إليه ابن الزبير، من إثارة العصبيات بين أهل البصرة، وأهل الكوفة قد جاء على خلاف ما يرضي الله تبارك وتعالى.

ثم إنه «عليه السلام» أطلق قاعدة واضحة مفادها: أن على الناس أن يراجعوا حساباتهم، ويتخذوا قراراتهم وفق موازين الشرع والعقل، لأنهم مقدمون على محكمة العدل الإلهي، فلا بد أن تكون لديهم الحجة التي تنجيهم من الإدانة في تلك المحكمة العادلة.

و: ثم قال «عليه السلام» حسب رواية ابن أعثم:

«ولعمري، ما نقاتل أنصار عثمان.. ولعلي أن يقاتل أصحاب الجمل».

وكأنه «عليه السلام» أراد بيان الفرق بين هؤلاء وأولئك، ولذلك اختلفت خياراته «عليه السلام»، فإن علياً ليس بصدد قتال أنصار عثمان الذين تختلف أغراضهم، وميولهم، عن فريق طلحة والزبير، اللذين شاركا في التحريض، والعمل على قتل عثمان.

فلا معنى لمعونة أنصار عثمان لفريق ساهم في قتل زعيمهم.. ولا مشكلة لهذا الفريق مع علي «عليه السلام».

لكن علياً قد يحارب أصحاب الجمل، وهم فريق طلحة والزبير، إذا أصروا على بغيهم، ومتابعة السعي للوصول إلى مطامعهم غير المشروعة.

تمخض طلحة فولد وزغاً:

وحين بلغ طلحة والزبير خطبة الإمام الحسن، وشعر عمرو بن أحيحة

في مدح الإمام الحسن «عليه السلام»، بادر طلحة إلى خطبة أصحابه، فجاء بأعاجيب زادت الأمور عليه تعقيداً، والطين بلة..

ولو أردنا توضيح خطبته هذه وما فيها من عوار وأراجيف.. لطال بنا المقام.

ولكننا نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1 ـ زعم: أن الله تعالى قد ساق لأهل البصرة خيراً ما ساقه إلى قوم قط، وهو: أمهم، وحرمة نبيهم.

مع أن أمهم هذه وهي عائشة قد كانت بين ظهراني أهل المدينة، وسارت إلى مكة، فلماذا لا يعتبرها خيراً لأهل تلك البلاد أيضاً، لم يحظ به بلد قط؟! ولماذا وكيف نفى الفوز بالخيرية عن جميع البلاد ما عدا البصرة؟!

يضاف إلى ذلك: أن أم سلمة أيضاً كانت «أم المؤمنين»، وزوجة نبيهم.. بالإضافة إلى زوجات أخريات، وأمهات للمؤمنين ممن لم يخرجن من بيوتهن التي أمرهن الله تعالى بالقرار فيها: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾(1).

في حين أن عائشة قد خرجت من بيتها مخالفة لهذا الأمر الصريح..

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد حذَّرها من هذا الخروج بالذات، وأخبرها: أنه سيكون خروجاً لحرب علي «عليه السلام»، وهي ظالمة له..

يضاف إلى ذلك: أن الله تعالى قد حبا أهل المدينة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبوصيِّه، وخير خلقه بعده، وبإمامين من ولده، وهما: الحسن والحسين..

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

بالإضافة إلى سائر أهل الفضل والكرامة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهل من تخرج إلى بلد لدعوة أهله لنكث بيعتهم، وقتل إمامهم، ومن هو نفس نبيهم بنص آية المباهلة، وهو مطهر معصوم بنص آية التطهير، وقتل ولديه سيدي شباب أهل الجنة، وقتل من معه من علماء الأمة وخيارها، هل من تخرج إلى بلد لأجل هذه الأمور يكون خروجها خيراً قد ساقه الله تعالى إليهم، ولم يحظ به قوم قط؟!

2 ـ وجعل طلحة يقول: إن من الخير الذي ساقه الله تعالى إلى أهل البصرة، وما ساقه إلى قوم قط حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمته، وهو الزبير..

ونقول:

أولاً: إن هذا الأمر إنما ادَّعاه أنصار الزبير للزبير، فلا عبرة به ما لم يقرَّ به الآخرون لهم، أو يأتوا على صحته بشاهد.

ثانياً: إن المروي عن الإمام الكاظم «عليه السلام» أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين حواريو محمدٍ بن عبد الله «صلى الله عليه وآله»، الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه؟!

فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر إلخ..»(1).

---

(1) سفينة البحار ج2 ص194 عن رجال الكشي، وبحار الأنوار ج34 ص275 وج22 ص342 والإختصاص (ط النجف) ص55 وروضة الواعظين (ط سنة 1386هـ)

ثالثاً: روى هشام بن زيد، عن أنس، قال: سألت النبي «صلى الله عليه وآله»: من حواريُّك يا رسول الله؟!

فقال: الأئمة بعدي اثنا عشر، من صلب علي وفاطمة «عليهما السلام». وهم حواريي، وأنصار ديني[1].

رابعاً: كيف يكون الزبير من حواريي رسول الله، وهو «صلى الله عليه وآله» يخبره: بأنه يخرج على علي ويقاتله، وهو له ظالم، ولو قدر على قتله، وقتل ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام» لفعل.

3 ـ أما أن الزبير هو ابن عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن علياً ابن عمه، وأخوه، ونفسه، وزوج ابنته، وأب ولديه سيدي شباب أهل الجنة، وهو مع الحق ومع القرآن، والحق والقرآن معه، وهو وصيه، والمطهر المعصوم وباب علمه الخ..

يضاف إلى ذلك: أن بلوغ المقامات لا يكون بالنسب وحده، بل لا بد من الإستقامة على الحق والهدى، والإلتزام، وبذل الجهد، وتقديم التضحيات

ص282 وراجع: شجرة طوبى ج1 ص78 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص465 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص210 وإختيار معرفة الرجال ج1 ص41 وجامع الرواة للأردبيلي ج1 ص110 و 545 والدرجات الرفيعة ص432 وطرائف المقال ج2 ص340 و 593 ومعجم رجال الحديث ج4 ص156 وج9 ص197 وج20 ص109 وتهذيب المقال ج4 ص200 والشيعة في أحاديث الفريقين ص518.

(1) بحار الأنوار ج36 ص271 و 309 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص213 وكفاية الأثر ص69.

في سبيل الله..

ولأجل ذلك، هلك أبو لهب، وابن نوح، وزوجته، ولم ينفعهم الإنتساب للأنبياء مع اختيارهم طريق التمرد والعصيان لله..

إصبع طلحة:

ولم يجد طلحة لنفسه فضيلة يتبجح بها إلا إصبعه الشلاء، التي ادَّعى أنه قد وقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بها..

ونقول:

إن حديث شلل إصبع طلحة لا يمكن تأييده، وذلك لما يلي:

1 ـ زعموا: أن طلحة أصيب في واقعة أُحد بجراحات، فمسح النبي «صلى الله عليه وآله» على جسده فشفيت، ورجع إلى القتال(1).

فلماذا برئت جراحاته كلها، وبقيت إصبعه؟!

إلا أن يقال: إن إصبعه أصيبت بعد أن شفيت..

2 ـ إن الروايات حول إصبع طلحة متضاربة، هل قطعت، أو شُلَّت؟!

---

(1) تاريخ الخميس ج1 ص431 عن الرياض النضرة، عن الملا في سيرته.

وراجع: حول جراحات طلحة وكثرتها، ومنها: أنه أصيب في أكحله المصادر التالية: دلائل الصدق ج3 ص259: المستدرك للحاكم ج3 ص27 وفتح الباري ج7 ص66 وعمدة القاري ج1 ص265 وج16 ص277 وتحفة الأحوذي ج5 ص278 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص217 وسير أعلام النبلاء ج1 ص32 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص524 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص552 وشرح مسند أبي حنيفة ص212 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص79.

وهل شلت يده، وأصيب خنصره، أو إصبعاه؟![1].

3 ـ يبدو من كلام الشعبي: أن شلل إصبع طلحة موضع شك، فقد قال: «وزُعِمَ: أن طلحة وقى رسول الله بيده، فشلت»[2].

4 ـ قد يجرح إنسان، أو تقطع بعض أعضائه في الحرب، وقد يقتل بعضهم أيضاً، ولا يوجب ذلك له فضلاً عند الله، إذا لم تصاحبه نية صحيحة، كما هو الحال بالنسبة لقزمان.. فإن الدوافع للقتال متنوعة، كحب الحصول على المال، والحمية العشائرية، وغير ذلك..

وقد تكون نيته صحيحة، ثم يتغير ويتبدل، وتظهر منه الأباطيل والأضاليل وينكث البيعة، ويخرج على إمامه، ويقتل الصلحاء والأبرياء.

وبعدما تقدم نقول:

5 ـ إن لجوء طلحة إلى اثارة العصبيات القبائلية، وتحريك الغرائز والنعرات، والتمييز بين الناس على أساس البلد أو العرق، أو القبيلة ليس فيه مصلحة لأحد، بل هو سيف ذو حدين، يضيع القضايا المحقة، ويقوِّض أسس الحياة،

---

(1) تاريخ الخميس ج1 ص431. وراجع: سير أعلام النبلاء ج1 ص27 وحلية الأولياء للأصبهاني ج1 ص87 ومسند أبي داود الطيالسي ص3 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج10 ص424 ـ 426 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص425 وتاريخ مدينة دمشق ج25 ص75 و 76 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص191 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص34 والوافي بالوفيات ج16 ص273 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص58 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص200.

(2) راجع: تاريخ الخميس ج1 ص431.

وينسف المعايير والضوابط.. ولذلك اعترض عليه خيران بن عبد الله حين تعرض بالسوء لربيعة ومضر واليمن.

6 ـ على أن ما يدعو الناكثون الناس إليه هو: أن ينكثوا بيعة إمامهم، وأن يقاتلوه، وإن أمكنتهم الفرصة منه أن يقتلوه، هو وجميع من معه.. وإنما يوافقهم على مطالبهم هذه من لا يتقيد بأحكام الشريعة، ولا يهتدي بهدى العقل، ولا يلتزم بالقيم والمبادئ، ومن همه نيل شهواته، وتحقيق رغباته.

7 ـ نلاحظ: أن طلحة قد وصف أبا بكر بالصديق..

ولطالما قلنا: إن الصديق والفاروق هو علي بن أبي طالب «عليه السلام» دون سواه، وذكرنا الأدلة والشواهد على ذلك.

8 ـ أما أن عائشة وأباها كانا أحب الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو:

أولاً: من مروياتها، ومرويات أحبائها، وأنصارها.

ثانياً: إن عائشة نفسها تقول:

«إن أحب الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من النساء فاطمة «عليها السلام»، ومن الرجال علي «عليه السلام»»(1).

---

(1) راجع المصادر التالية: الرياض النضرة ج2 ص161 وذخائر العقبى ص63 وتاريخ الخطيب ج1 ص160 والمستدرك للحاكم ج3 ص154 و 155 و 157 و 167 و 168 وتلخيص المستدرك للذهبي، هامش نفس الصفحات المذكورة، والعقد الفريد ج4 ص123 والجامع الصحيح ج2 ص655 و 658 وخصائص الإمام علي للنسائي ص127 و 128 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص139 و 140.

الفصل الثانـي

القادة ورايات النصر..

الحسنان في موكب أبيهما:

وواصل «عليه السلام» طريقه من المدينة إلى الربذة، ثم إلى ذي قار، ثم إلى البصرة، فدخلها في موكب مهيب..

قال المسعودي نقلاً عن المنذر بن الجارود، ما ملخصه:

إن أبا أيوب دخل البصرة وهو على ألف فارس، هم الأنصار وغيرهم.

وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين على ألف.. ثم أبو قتادة في نحو ألف.

ثم عمار بن ياسر على ألف في عدة من الصحابة، من المهاجرين والأنصار، وأبنائهم.

ثم قيس بن سعد بن عبادة في ألف.. في عدة من الأنصار، وأبنائهم، وغيرهم.

ثم عبد الله بن عباس، ومعه عدة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثم تتابعت المواكب والرايات إلى أن مرَّ به علي «عليه السلام»، وعن يمينه ويساره الحسنان «عليهما السلام»، وخلفه عبد الله بن جعفر، وولد عقيل، وغيرهم من بني هاشم، والمشايخ الذين هم أهل بدر من المهاجرين والأنصار[1].

---

(1) مروج الذهب ج2 ص359 ـ 361 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص316

ونقول:

لاحظ ما يلي:

الأخيار مقابل الأشرار:

وقد يتداعى إلى ذهن بعض الغافلين سؤال يقول:

ألا يدل هذا المظهر المهيب على أن القيِّم على تنظيمه، كان مهتماً بالأمور الشكلية، وإظهار العظمة، والجلال في الحل والإرتحال؟!

وألا يسيء هذا إلى مقام الزهد، والتواضع الذي يفترض بالإمام «عليه السلام»: أن يهتم بإظهاره وإشاعته واشهاره بين الناس بصورة عملية؟!.

وما الفرق بين هذه الفخامة وإظهار الزعامة بهذا الأسلوب، وبين ما كان يظهره خصومه من ذلك؟!

ونجيب:

بأن الذي كان علي «عليه السلام» يتوخاه من هذا المظهر هو خلاف هذا تماماً، فلاحظ ما يلي:

1 ـ إن الله تعالى أمر بالإعداد، وتهيئة الأسباب الموجبة لخوف العدو، وتصعيب اتخاذه قرار الدخول في الحرب ضد أهل الإيمان، فقال: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1].

وراجع: الجمل لابن شدقم ص111 و 125 وأعيان الشيعة ج1 ص24 وج6 ص318 والدرجات الرفيعة ص39 ـ 40 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص30.

(1) الآية 60 من سورة الأنفال.

وهذا ما حصل هنا، فإنه «عليه السلام» بعد أن سار في الناس بسيرة العدل، والحق، والدين، والتأسي والإقتداء برسول الله في السياسة، وفي الأموال، وفي القضاء والمعاملة، وفي كل شيء، وأصبح ذلك هو الدعامة والمنهج للحكم، فإنه «عليه السلام» أراد أن يعلم الناس: أن هذا الحشد بما له من خصوصيات ومواصفات هو العنصر الأساس الذي يتحمل مسؤولية القيام بأعباء هذا المنهج، وهو الحاضنة له، والمسؤول عنه، والمؤتمن عليه، وعلى رأسهم خيار الأمة وأبرارها، والمشهود لهم بذلك على لسان النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وهو ما تجلى في سلوكهم، وتضحياتهم، وجهودهم وجهادهم.

2 ـ إنه «عليه السلام» قد تعمد إظهار معنى العزة والكرامة، والسؤدد، من خلال رموز العلم، والتقوى، والخير والصلاح، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

حيث لم يكن سبيل إلى إظهار الضعف والتهالك والمسكنة، لأن ذلك بالإضافة إلى أنه يُطمِع العدو، ويجرِّئه، فإنه يضعف عزائم أهل الحق، ويقوِّض معنى الثقة فيهم، والإعتماد عليهم..

3 ـ إن اعتزازهم هذا، وإظهار معنى القوة لم ينشأ، أو فقل: لم يصاحبه ظلم، أو عدوان، أو مخالفة لأحكام الشرع، أو ما ينافي القيم والأخلاق الكريمة، والسلوك الصحيح.

4 ـ كما أنه لم يصاحبه مباهاة بشيء من حطام الدنيا، أو استعراض لما

(1) الآية 8 من سورة المنافقون.

فيها من مغريات، وزبارج وبهارج..

كما أنه لم يتضمن اعتزازاً بالأموال، وإغراء بالإقطاعات، أو بالمناصب والمقامات، والولايات، والجاه العريض.. المستند إلى الإستطالة على الناس بالكثرات، أو إلى ما تفرضه العلائق النسبية، أو المصلحية، أو العصبيات القبلية، أو ما إلى ذلك.

كما أنه لم يستند إلى إغراءات شهوانية، وإثارات غرائزية، وأحابيل ماكرة وشيطانية..

بل كان ذلك قائماً على أساس الحق والصدق، والخير والصلاح، والرشاد والفلاح.

5 ـ وبذلك يعلم: أن هذا الحشد الكبير الذي يضم كبار أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان مقصوداً، وهو يخدم قضية الإيمان والإسلام، فقد ذكروا أنه كان معه «عليه السلام» ثمان مئة من الأنصار، وتسع مئة من أهل بيعة الرضوان، وسبعون من أهل بدر[1]، أو مئة وثلاثون بدرياً[2].

وكان علي «عليه السلام» هو القائد لهذا الجمع، والمستهدف بالحرب والقتل، وهو أخو رسول الله، ونفسه بنص آية المباهلة، وهو أعلم وأفضل الناس بعده، وهو المنصوص عليه بولاية أمر الأمة بعد النبي، والذي أخذ

---

(1) الفصول المختارة للشريف المرتضى ص216 والصراط المستقيم ج1 ص149 وأعيان الشيعة ج4 ص469.

(2) تاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ج3 ص484.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» له البيعة من عشرات الألوف من المسلمين يوم الغدير.. ومنهم قادة الحرب ضده، كما أنه قد بايعه الناس، ومنهم محاربوه ومن معهم بالخلافة بعد قتل عثمان.. إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره من الفضائل والكرامات المعروفة..

ومعه أيضاً ولداه الحسن والحسين «عليهما السلام»، ابنا الرسول وريحانتاه، وقرة عين الزهراء البتول، وسيدا شباب أهل الجنة، وهما ممن نزلت فيهم الآيات الكثيرة مثل آية التطهير، وآية مودة ذوي القربى، وآية المباهلة، وسورة هل أتى، وغير ذلك..

ومعه أيضاً عمار الذي قال له رسول الله: تقتلك الفئة الباغية..

وقال: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار..

ومنهم ذو الشهادتين.. ومنهم.. ومنهم..

فمن يتجرأ على محاربة هؤلاء، وهم خير أهل الأرض في زمانهم، وبعضهم خير أهل الأرض إلى يوم القيامة، فإنه يكون ممن طبع الله على قلبه، وممن ضل وخاب سعيه في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولاسيما بملاحظة ما أشرنا إليه، ودللنا عليه..

6 ـ وتتأكد الحاجة إلى إظهار هذه المعاني: أن الذين جاؤا إلى محاربته «عليه السلام»، وقتله مع أبنائه وسائر من معه، كانوا في كنف عائشة، التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حذَّرها من أن تكون هي التي تحارب علياً «عليه السلام» ظالمة له، ومن أن تنبحها كلاب ماء الحوأب.. فجاؤا بخمسين رجلاً يشهدون لها زوراً: بأن هذا الماء ليس ماء الحوأب.

وقائدا هذه الحرب على الإمام ومن معه هما: طلحة والزبير، اللذان حاصرا عثمان، وانتهى الأمر بقتله، ثم عمدوا إلى علي «عليه السلام»، الذي حاول دفع الخطر عن عثمان، فبايعوه، ثم نكثوا بيعته، وجمعوا الجيوش لحربه، متهمين إياه بقتل عثمان، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر الزبير بأنه سوف يقاتل علياً ظالماً له أيضاً.

فكان لا بد من إعادة الأمور إلى نصابها لكي تتجلى بوضوح سمات وصفات، ومزايا الفريق الذي يلتزم جانب الحق والدين، والخير، والخلق الكريم، والإلتزام بالقيم نهجاً وموقفاً، ليرى الناس بصورة عينية حجم التجني والخداع، والزيف الذي يمارسه الناكثون، والمبطلون، والحاقدون على إمامهم، ودينهم، وبحق أمتهم.. ﴿**يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾(1).

فليس هذا الذي أظهره «عليه السلام»، ناشئاً عن الضعف في الحق والدين، وأهل الدين، بل هو محض للحكمة والنصيحة، والإتزان، والصبر على تحمل المكاره.. وحب الهداية والصلاح للناس، والترفع عن الدنيا، وشهواتها، والزهد بحطامها..

والذين ينأون بأنفسهم عن الحق وأهله، إنما يضعون أنفسهم في موقع الظالم، والمعادي، والآثم، وإنما يفعلون ذلك، حباً منهم بالدنيا، وانخداعاً بعرضها الزائل، وضعف نفس أمام المغريات والشهوات، وسقوط همة عن طلب معالي الأمور، وزهداً منهم بالحق والهدى، وبالشجاعة والنبل، والكرامة،

(1) الآية 9 من سورة البقرة.

والشهامة.

الإمام الحسن × قائد عتيد:

تقول الروايات: إن راية الجيش في حرب الجمل كانت بيد محمد ابن الحنفية.

ويقال: إن الإمام الحسن «عليه السلام» كان في حرب الجمل على الميسرة ـ وهم مضر البصرة، ومضر الكوفة ـ وقال أبو عبيدة: «ويقال على الميمنة الحسن، وعلى الميسرة الحسين بن علي»(1).

وهكذا قال الشيخ المفيد، والقاضي النعمان، لكنهما قالا: جعل الحسن في الميمنة، وجعل الحسين في الميسرة.. وزاد قوله: ووقف (يعني علي «عليه السلام») خلف الراية على بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»(2).

ونقول:

القادة في حرب الجمل:

كل حرب تحتاج إلى قادة أكفاء يديرونها بالإستناد إلى الشجاعة، والحزم، والخبرة، والإخلاص، وحسن التدبير، وضبط الأمور.

وقد ذكرت الروايات: أن علياً «عليه السلام» عيَّن أكثر من قائد كتيبة وفيلق.. فإلى جانب الأشتر سعيد بن قيس، وإلى جانب عمار شريح بن هاني، ومحمد

---

(1) تاريخ خليفة بن خياط ص138 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص187 وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص235 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص170.

(2) دعائم الإسلام ج1 ص393 والجمل للمفيد ص348 وراجع: جواهر الكلام ج21 ص327 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب للريشهري ج5 ص230.

بن أبي بكر، ومعه حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ومعه جندب بن زهير، وأبو قتادة الأنصاري(1).

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد عين ثلاثة قادة في غزوة مؤتة: جعفر بن أبي طالب، ثم يزيد بن حارثة، ثم عبد الله بن رواحة.

فيكون أحد القادة هو القائد الفعلي، وغيره يكون البديل عنه، لو حدث أي حادث.. وربما احتاج إليه للتدبير والتشاور أيضاً.

يلاحظ ما يلي:

1 ـ أن قائد جيش أهل الحق، والمستهدف بالحرب: هو أقدس الخلق، وأعلمهم، وأفضلهم، وهو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأخوه، وزوج البتول، وأبو السبطين الحسن والحسين «عليه وعليهم السلام».. ومعه النخب الإيمانية، وأرقى النماذج التي صنعها الإسلام وهذَّبها، وغذاها بالعلم والمعرفة، وحباها بالحكمة والإتزان، والوعي، والعقل، وزودها بالمعارف، وبلَّغها درجات الرضا واليقين، وعمر قلوبها بالتقوى، والدين، وأسبغ عليها سمة الصلاح، ورفدها بالفضائل والكرامات، وفيهم من ملئ إيماناً إلى مشاشه.

2 ـ قلنا: إن على رأس هذا الجيش الأئمة المعصومون والمطهرون، فعليٌّ هو القائد والرائد، وللحسنين قيادة ميمنة الجيش وميسرته..

ومن المعلوم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أعلن إمامة

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص339 وبحار الأنوار ج32 ص172 عنه، وأنساب الأشراف ترجمة علي (بتحقيق المحمودي) ج2 ص239.

الحسنين «عليهما السلام»، ومعنى هذا: أن لا يتأمر عليهما أحد من سائر الناس، إلا إذا كان نبياً، أو إماماً معصوماً.

ولو أنه «عليه السلام» أمَّر عليهما أحداً سواه، لرأينا خصوم شيعة أهل البيت يعلنون هذا الأمر، ويسعون لإبطال ما يقولونه، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمِّر أحداً على علي «عليه السلام» لأنه إمام معصوم.. ولا يؤمَّر على الإمام إلا المعصوم..

3 ـ وحين تنطلق الحرب، فإن عتاة المحاربين وأبطالهم، المشهود لهم بالفروسية والشجاعة يقصدون بحملاتهم قادة الجيش الآخر، ويبذلون كل جهدهم للوصول إلى المعروفين بالشجاعة منهم، لأن من يقتل أحداً من هؤلاء يكتسب من الشهرة والمكانة، ما يرضي غروره، وطموحه، ويتعزز موقعه بين أقرانه، وينال المراتب، وربما نال الجوائز والهبات الكبيرة والخطيرة.

فموقع القيادة للكتائب والفيالق يكون أثناء الحرب مستهدفاً من قبل الأبطال الأشدَّاء بصورة خطرة، لأن قتل القائد يسقط إرادة الحرب لدى الجند الذين هم تحت إمرته، بل هو يؤثر على معنويات أفراد الجيش كله، كما أنه يرفع من معنويات الأعداء، ويزدادون رغبة بإلحاق المزيد من الأذى والخسائر بمن جاء ليقاتلهم.

4 ـ وهذا يعطي: أن اختيار القادة الكبار يجب أن يتم بعناية فائقة، وأنه لا بد من التأكد من توفّر المواصفات المطلوب توفرها في من يتصدى لهذا الأمر المهم، والبالغ الحساسية، ومنها صفات: الحنكة، والخبرة، والشجاعة، والسياسة، وحسن التدبير، والحذر، والتحرز، والبأس، والنجدة، وما إلى ذلك.

5 ـ وبذلك يعرف: أن تولية علي «عليه السلام» ولديه ميسرة وميمنة الجيش، تدل على اجتماع الصفات المشار إليها آنفاً فيهما بأعلى مراتبها، ولولا علمه بأنهما جديران بهذه المهمات لما أقدم على ذلك.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعلهما وديعته عنده «عليه السلام»، ثم جعلهما أبوهما أمير المؤمنين «عليه السلام» وديعتيه لدى الأمة(1).

ولا شك في وجوب حفظ الودائع، فكيف إذا كانت الوديعة هي الحسنان اللذان لم يكن أحد على وجه الأرض أفضل منهما، سوى أبيهما «عليه السلام»؟!

كما أن الأمة صارت بذلك مسؤولة عن حفظهما.. فهل فعلت ذلك؟!

أو أنها خذلتهما، ومالت إلى معاوية وولده يزيد، وبني أمية.. فاستشهدا صابرين محتسبين مظلومين.. هذا بالسم، وذاك بالسيف؟!

الراية لابن الحنفية، لماذا؟!

وقالوا: دفع علي «عليه السلام» إلى ابنه محمد راية رسول الله «صلى الله

---

(1) بحار الأنوار ج10 ص117 ـ 121 وج40 ص202 وراجع ج4 ص97 و 32 والأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص422 ـ 425 و (ط أخرى) ص280 والتوحيد للصدوق ص304 ـ 308 وراجع ص109 وإرشاد القلوب ج2 ص374 ـ 376 وغاية المرام ج5 ص240 ـ 242 ونور البراهين للجزائري ج2 ص144 ـ 156 وشجرة طوبى ج1 ص188 ـ 190 وروضة الواعظين ص118 ومستدرك الوسائل ج11 ص101 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج2 ص135 وقضاء أمير المؤمنين «عليه السلام» للتستري ص89 ـ 91 والإختصاص (ط دار المفيد) ص235 ـ 238 وفي الإحتجاج ج1 ص609 ـ 612 وراجع ص493 و (ط دار النعمان) ص384.

عليه وآله» السوداء، وتعرف بـ«العقاب»، وقال لحسن وحسين «عليهما السلام»: إنما دفعت الراية إلى أخيكما، وتركتكما لمكانكما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

ونقول:

1 ـ نحن على يقين من أن الحسن والحسين كانا يعلمان سبب تخصيص أخيهما محمد بالراية، ولا اعتراض منهما على ذلك، لأنهما يعلمان: أن ذلك هو الحق والصواب الذي لا بد منه، ولا محيص عنه.. وقد صدر من إمام مطهر معصوم، لا يحابي ولا يخطئ، ولا يتهاون فيما هو حق وصواب..

2 ـ وهما يعلمان: أنه كان يجب أن يبيِّن للناس سبب إعطاء الراية لأخيهما دونهما، لكي لا يتوهم الناس في حقهما ما لا واقع له..

وقد بيَّن «عليه السلام»: أن أمر الراية يختلف عن قيادة قسم كبير من الجيش يعد بالألوف، أو بعشرات الألوف، لأن حمل الراية يحتاج إلى الشجاعة وشدة المراس، وتوطين النفس على المكاره، لأن للراية رمزيتها في الجيش، ولها أثر عظيم على تماسكه وثباته، فلأجل ذلك يحاول العدو أن يسقطها بقتل حاملها، فإن لم يتمكن من إسقاطها، فإنه يحاول أن يميلها ليظهر عدم ثباتها.. فإن ذلك يربك الجيش الذي هو صاحب تلك الراية.

كما أن سقوطها أو إمالتها، وظهور الإرتباك في ثباتها واستقرارها يطمع العدو، ويؤكد إصراره على مضاعفة جهده لكسر المقاومة التي يجدها عندها أو حولها..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص111 وأعيان الشيعة ج1 ص457.

كما أن الأجواء التي تحيط بالراية وحاملها تتسم بالصخب والعنف، والعشوائية، وتتابع الهجمات من كل حدب وصوب.. وبذلك يعلم: أن منطقة الراية لا تخضع للنظام، بل هي موضع صدام وزحام.

ولأجل ذلك نلاحظ تأكيد أمير المؤمنين على جيشه: بأن لا يميلوا رايتهم، وأن يجعلوها في أيدي شجعانهم، وأن يكتنفوها من كل جهة حتى لا يصل الأعداء إليها، فقد قال «عليه السلام» لجيشه: «ورايتكم فلا تميلوها واجعلوها في أيدي شجعانكم»(1).

أما قادة الميمنة، والميسرة، والقلب، والجناحين، فمهمتهم هي التدبير والتخطيط، وسد الثغرات، وإيجاد الإحتياطات، وضبط الأمور، وحفظ انتظامها، وتحقيق الإنسجام، والتصدي الحازم، وحفظ المراكز..

فتحتاج إلى الحكمة والبصيرة والخبرة، والشجاعة، والشخصية الحازمة، والمؤثرة والقوية.

وهذا هو موقع الحسنين «عليهما السلام» في الحرب، وهو اللائق بشأنهما، والمتوقع منهما.. ولأجل ذلك قال علي «عليه السلام» لهما: «إنما دفعت الراية

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) الخطبة رقم 124 ج2 ص2 وصفين للمنقري ص235 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص60 و 96 و (الإسلامية) ج11 ص44 و 71 والكافي ج5 ص39 والفتوح ج3 ص73 وبحار الأنوار ج33 ص455 وج32 ص563 و 367 وج97 ص40 والإرشاد للمفيد ج1 ص266 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص123 و 127 وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج7 ص10 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص3 .

إلى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..».

وبذلك يكون «عليه السلام» قد اختار لهما ما يليق بمقامهما، ليحفظ لهما موقعهما واحترامهما.. وحيث لا يواجههما إلا الرؤساء والشجعان، ولا يجرؤ على الدنو منهما رعاع الناس، ولا يدنيهما من موقع فيه خطورة بالغة.. وهذا هو الموقع الأنسب بهما.

أما موقع أخيهما، فيبادر إليه الطامح والطامع، والشريف والوضيع، وقد يكون للكثرة دورها في القلب..

وهذا موقع فيه خطورة بالغة أيضاً.. وهذا الموقع هو الأنسب بأخيهما.

أين النجم من الشمس والقمر؟!:

قال المعتزلي: لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة، وحمل علي «عليه السلام» بالراية، فضعضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية، وقال: امح الأولى بالأخرى، وهذه الأنصار معك.

وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين، في جمع من الأنصار، كثير منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة، أزال بها القوم عن مواقفهم، وأبلى بلاء حسناً.

فقال خزيمة بن ثابت لعلي «عليه السلام»: أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر لما خفناه عليه، وإن كنت أردت ان تعلمه الطعان، فطالما علمته الرجال.

وقالت الأنصار: يا أمير المؤمنين، لولا ما جعل الله تعالى للحسن والحسين «عليهما السلام» لما قدمنا على محمد أحداً من العرب.

فقال علي «عليه السلام»: أين النجم من الشمس والقمر؟!

أما إنه قد أغنى وأبلى، وله فضله، ولا ينقص فضل صاحبيه عليه، وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، إنا والله لا نجعله كالحسن والحسين، ولا نظلمهما له، ولا نظلمه ـ لفضلهما عليه ـ حقه.

فقال علي «عليه السلام»: أين يقع ابني من ابني بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال خزيمة بن ثابت فيه:

محمد ما في عودك اليوم وصمة ... ولا كنت في الحرب الضروس معردا

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله ... علي، وسماك النبي محمدا

فلو كان حقاً من أبيك خليفة ... لكنت، ولكن ذاك ما لا يرى بدا

وأنت بحمد الله أطول غالب ... لساناً، وأنداها بما ملكت يدا

وأقربها من كل خير تريده ... قريش وأوفاها بما قال موعدا

وأطعنهم صدر الكمي برمحه ... وأكساهم للهام عضباً مهندا

سوى أخويك السيدين، كلاهما ... إمام الورى والداعيان إلى الهدى

أبى الله أن يعطى عدوك مقعداً ... من الأرض أو في الأوج مرقى ومصعدا[1]

ونقول:

لا نريد أن نتعرض لجميع الأمور التي أشير إليها في النص المتقدم، فقد

(1) شرح نهج البلاغة ج1 ص245 و 246.

ذكرنا طرفاً من ذلك في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج32 في فصل «على الأسنة»..

ونكتفي هنا بالأمور التالية:

الجمل أصعب من صفين:

إن حرب الجمل كانت هي الأشد وطأة على وجدان الناس من حرب صفين، لأن بغي معاوية وحقانية ومظلومية علي «عليه السلام» كانت في حرب صفين ظاهرة للعيان، فلا عذر لأحد في مبايعة معاوية، إلا شدة التعلق بالدنيا، وقلة الدين، وانعدام الإنصاف.

ولكن الأمر في حرب الجمل لا يقتصر على ذلك..

وهناك نصوص كثيرة تدل على أن علياً «عليه السلام» كان يريد حسم حرب الجمل بصورة سريعة، يكون النصر فيها مشهوداً وظاهراً، لأن حرب الجمل كانت هي الأصعب والأشد ضرراً على الإسلام وأهله، لأن إطالتها تفسح المجال أمام أهل الأهواء لإشاعة أباطيلهم، وأضاليلهم، وترهاتهم، وشبهاتهم، وهذا يشكل خطراً على دين الناس وعلى اعتقاداتهم.

وذلك لأن معاوية كان من الطلقاء، ولم يكن أمره خافياً على كثير من الناس، ولكن الأمر بالنسبة لحرب الجمل لم يكن كذلك، وذلك لما يلي:

1 ـ إن أهل الدين والتقوى والورع كان أكثرهم في جيش علي «عليه السلام»، فأية شبهة لا يعرفون المخرج منها، قد توجب لدى الكثيرين منهم حالة تردد في الإقدام على الحرب، وتلكؤ عن مباشرتها، بفعالية وجدية مؤثرة.

2 ـ كان قادة أهل الجمل، وأصحاب المصالح والنفوذ منهم ـ بالرغم

من أنهم هم الذين قتلوا عثمان بن عفان ـ يزعمون للناس: أن علياً «عليه السلام» قد مالأ على قتل عثمان..

وقد يستوقف هذا الزعم الكثيرين من جيش علي، وغيرهم ممن لا يعرفون حقيقة ما جرى.. لاسيما إذا سمعوا ذلك من أناس لهم شهرة بين الناس، خصوصاً إذا كانوا من الصحابة، أو لهم صلة بالنبي «صلى الله عليه وآله» قريبة كانت أو بعيدة.. كما سنرى.

3 ـ إن على رأس ذلك الجيش الذي جاء لحرب أمير المؤمنين «عليه السلام» بنت الخليفة الأول أبي بكر والمدللة، المعظمة عند الخليفة الثاني.

وزوجة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي المرأة الطموحة والجريئة، وهي بالرغم من أنها حكمت وأعلنت كفر عثمان، وأمرت بقتله، وحرضت عليه، فإنها بسبب بغضها لعلي وأهل بيته قلبت ظهر المجن، واتهمت علياً بما هو منه بريء.. وقد جاءت على رأس هذا الجيش لحربه «عليه السلام» وقتل أبنائه، ومن تقدر عليه من شيعته وأنصاره وأوليائه.

وهذا من شأنه: أن يثير الوساوس لدى الكثيرين، ويجعلهم يترددون في الدخول في هذه الحرب.

4 ـ وعلى رأس هذا الجيش رجلان معروفان بين الصحابة، هما طلحة والزبير.. بل إن أحدهما، وهو الزبير هو ابن صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما أنه كان إلى وقت قريب من مؤيدي علي «عليه السلام» ومن مبايعيه، ثم انقلب انقلابه عليه، وقاد الجيوش لحربه وقتله، وهذا أيضاً قد يثير لدى

الجاهلين، قلاقل وبلابل، وشكوكاً يصعب عليهم التخلص منها.

5 ـ إن رفض علي «عليه السلام» العمل بسياسات عمر في المال، وفي تفضيل العرب وقريش على غيرهم، واستبعاده من الولايات والمناصب من عرف بعدم الكفاءة، أو بالخيانة، وعدم الإلتزام بأحكام الشرع والدين.. بالإضافة إلى شدته «عليه السلام» في ذات الله، وفي تطبيق شرعه إن ذلك كله وسواه قد أسخط الكثيرين، وهوَّن عليهم مفارقته، ونكث بيعته، وأوهمهم أن لهذا النكث أسباباً وجيهة ومعقولة، أو هو على الأقل يخفف من قبحه وبشاعته في أعينهم.

الحزم والحسم:

ولعل ذلك يوضح لنا سبب رغبة علي في حسم الأمر بسرعة في حرب الجمل، لأن موجبات التأثير على بعض الجهلة والقاصرين في عقائدهم كانت متوفرة، ولذلك أمر ولده محمداً: أن يُقدم بالراية حتى يركزها في عين الجمل، وقال: ولا تقفن دونه.

ولأجل تحصين الناس من الوقوع في الخطل والخلل زحف «عليه السلام» نحو الجمل في كتيبته الخضراء المؤلفة من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد. وكثير من الناس يعرفون: أن حسناً وحسيناً أيضاً إمامان بنص رسول الله، وهما معصومان بنص آية التطهير، وهما وديعة رسول الله عند علي، ويجب عليه حفظ الوديعة.

فلو لم يكن الأمر في غاية الخطورة والأهمية، فإن علياً لا يعرِّض ولديه هذين لهذا الخطر العظيم، ومن شأن هذه الملاحظة، إذا التفت الناس إليها: أن تقنع

الكثيرين بصحة موقف علي، وتعرف الناس بمدى الظلم له، والتجني عليه.

كما أن وضع الراية في عين الجمل، وهي راية رسول الله المسماة بالعقاب، فيه تحد كبير لعائشة، راكبة الجمل، وإحراج وتذكير لها بما قاله لها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ركوبها الجمل الأدبب، حيث تنبحها كلاب ماء الحوأب، في مسيرها لحرب علي «عليه السلام».

وسوف يتذكر ذلك الذين سمعوا هذا الحديث، أو روي لهم..

وهذا من شأنه أن يسقط هالة القداسة التي أحاطت نفسها بها، وسيعرف الناس: أن الزوجية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لا تمنحها الثقة، ولا القداسة، وكذلك الحال بالنسبة للصحبة، فإنها لا تمنع من الوقوع في المخالفات الصغيرة والكبيرة، مثل نكث البيعة، والخروج لحرب الإمام المنصوص عليه من الله ورسوله، وقتله، مع أبنائه، وأصحابه.

ذو الشهادتين وإمامة الحسنين:

وقد تقدم: أن ذا الشهادتين، خزيمة بن ثابت «رحمه الله»، قد وصف الحسنين «عليهما السلام» بإنهما إماما الورى، والداعيان إلى الهدى، فقد قال:

سوى أخويك السيّدين، كلاهما إمام الورى والداعيان إلى الهدى

وهذا يعطي: أن معنى الإمامة كان واضحاً بدرجة كبيرة عند بعض الصحابة الأخيار، وخزيمة بن ثابت منهم، مما يعني: أن المقصرين في هذا الأمر لا عذر لهم.

لا يقاس ابن علي × بابني بنت النبي ’:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» قد شبَّه محمد ابن الحنفية بالنجم، والحسنين

«عليهما السلام» بالشمس والقمر، وقال: أين يقع ابني من ابنَي بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ونود أن نشير هنا: إلى أن خزيمة بن ثابت، والأنصار، وربما كل من رأى جهاد محمد ابن الحنفية قد فوجئ بما رأى من بأسه، وإقدامه، وثباته «رحمه الله»، مع أنهم يعلمون: أنه كأخويه لم يجرب حرباً، ولا مارس قتالاً تحتشد فيه ألوف الفرسان، وفيهم المتمرسون الأشداء.

والناس يكوِّنون انطباعاتهم عن الكرم والشجاعة، والأخلاق، وغير ذلك مما يشاهدونه منهم من أفعال، وقد يقايسون بين الأشخاص، ويفضلون بعضهم على بعض بالإستناد إلى هذه المشاهدات.

ولكن لأمير المؤمنين عليّ نظرة أخرى هي الأصوب والأصح، والأنسب بواقع الحال، فهو يعلم: أن الله تعالى لا يختار للإمامة إلا أفضل الخلق في الميزات، والصفات، والسمات، فالإمام هو الأشجع والأكرم، والأعلم والأتقى، والأكثر حكمة، وصرامة وحزماً، وأمضى عزماً، والأعرف بأسرار الحياة، وما يصلح ويفسد المخلوقات.

على أن هناك صفات وسمات، ومنها: الشجاعة، والمعرفة بفنون القتال، والقدرة على توظيفها العملي تبقى كامنة، في ضمير الغيب، محجوبة عن الناس إلا إذا فرضت الحاجة إظهار طرف منها.

فعدم إظهار الحسنين «عليهما السلام» لهذه الميزات، إنما كان لعدم وجود ما يقتضي الإظهار التام لها، لا لأنها غير موجودة.

ولأجل ذلك نرى: أن أمير المؤمنين لم يكتف بإخبار الناس عن امتياز الحسن

والحسين «عليهما السلام» على أخيهما.. بل وضع لهم مسافة حسيَّة كبيرة، وهي المسافة بين النجم، وبين الشمس والقمر.

فيبدو من ظاهر النص تراجع الأنصار جزئياً عن نظرتهم الأولى، فاعترفوا بأنهم لا يضعون محمد ابن الحنفية في مصاف الحسن والحسين «عليهما السلام».. ولكنهم أصروا على موقفهم من فروسيته، وثبات محمد ابن الحنفية.

ولكن علياً «عليه السلام» أعاد تأكيد ما ذكره أولاً، وأرفقه بما يشبه الدليل على ما يقول، لأن الحسن والحسين «عليهما السلام»، كما أنهما ابنا علي «عليه السلام»، فإنهما ابنا بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والتي رباها «صلى الله عليه وآله»، وغذَّاها بعلمه، ومنحها أخلاقه، وأفادت من تقواه، وورَّثها ميزاته وصفائه، فكانت المرأة المطهرة المعصومة التي أصبحت سيدة نساء العالمين، وكانت روح النبي التي بين جنبيه، وأم أبيها، وصار ما يغضبها يغضبه، وما يرضيها يرضيه.

وقد تربى الحسن والحسين وتكونت شخصيتهما، وخصائصهما من خلالها، ومن خلال أبيهما، وجدهما «صلى الله عليه وآله»، فلا وجود لوراثات غير مرغوب فيها، أو عادات غير ملائمة.

في حين أن محمد ابن أمير المؤمنين قد استفاد من أبيه الإمام المطهر المعصوم، ولم يكن له أم كفاطمة، ولا جد كرسول الله «صلى الله عليه وآله». ولعل هذا يفسر لنا قول علي «عليه السلام» لولده محمد في حرب الجمل بالذات: «أدركك عرق من أمك»[1].. ليدل على أن سلسلة الإمامة والنبوة لا يمكن أن تورِّث

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص243 و 244 وقاموس الرجال للتستري ج9

خصلة سيئة كالبخل، والجبن، والتردد.. لأن الخصال السيئة لا وجود لها في الأنبياء، مهما امتدت سلسلتهم في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة.

وإدراك العرق من الأم قد يكون على شكل حالة فكرية، مستولدة من العقل العملي.

وهذا يعني: أن علياً لم يرد بكلمته هذه، الإنتقاص من مقام ابنه محمد، وأمه.. بل يريد بيان الفرق بين شجرة النبوة، والإمامة، وغيرها.. ليُعلم ـ من ثم ـ جانب من فضل وامتياز الحسنين «عليهما السلام»، حتى لو كان علي «عليه السلام» أباً لهم جميعاً.. فإن ذلك لا يمنع، من امتياز الحسنين على أخيهما.

راية الرسول في الجمل، لا في صفين:

محمد بن همام، قال: حدثنا أحمد بن مابنداذ، قال: حدثنا أحمد بن هلال، عن محمد بن أبي عمير، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، قال:

قال أبو عبد الله «عليه السلام»: لما التقى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأهل البصرة نشر الراية، راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتزلزلت أقدامهم، فما اصفرت الشمس حتى قالوا: آمنا يا ابن أبي طالب.

فعند ذلك قال:

1 ـ لا تقتلوا الأسرى.

ص245 عنه، وبحار الأنوار ج42 ص98 و مروج الذهب ومعادن الجوهر ج2 ص366 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص32 وراجع: شجرة طوبى ج2 ص321 والجمل لابن شدقم ص141.

2 ـ ولا تجهزوا على الجرحى.

3 ـ ولا تتبعوا مولِّياً.

4 ـ ومن ألقى سلاحه، فهو آمن.

5 ـ ومن أغلق بابه فهو آمن.

ولما كان يوم صفين سألوه نشر الراية، فأبى عليهم، فتحملوا عليه بالحسن والحسين «عليهما السلام»، وعمار بن ياسر.

فقال للحسن: يا بني، إن للقوم مدة يبلغونها، وإن هذه راية لا ينشرها بعدي إلا القائم «عليه السلام»(1).

لماذا الزلزال؟!:

قد يتساءل المرء عن سبب تزلزل الأرض تحت أقدام البغاة؟! هل كان هذا من الآثار الوضعية لنشر الراية المباركة؟! فإن كان كذلك، وكان نشرها يأتي بالنصر، فلماذا لم ينشرها في صفين، بالرغم من إلحاحهم عليه، وتوسيطهم الحسن والحسين «عليهما السلام»، وعماراً لديه «عليه السلام»؟!

ونجيب بما يلي:

إن للأمور المادية المحسوسة تأثيراً على النفوس، يتجاوز تأثير الأقوال، والمواعظ المجردة، مهما كانت قوية وبليغة..

---

(1) الغيبة للنعماني (الطبعة الثالثة) ص208 و (نشر أنوار الهدى سنة 1422هـ) ص319 وبحار الأنوار ج32 ص210 وج52 ص367 عنه، ومستدرك الوسائل ج11 ص53 والنجم الثاقب ج1 ص316 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص97.

ونشر راية الرسول فيه تأكيد على حقيقة أن علياً «عليه السلام»، وأهل البيت هم الورثة، والأوصياء والأولياء، الذين لديهم مواريث الأنبياء، وعندهم كتبهم، وتجب طاعتهم، والقبول منهم، والأخذ عنهم.

وهذا يحتِّم على الناس أن يعيدوا النظر في حساباتهم ومواقفهم تجاههم.

فراية الرسول بمثابة الآية للناس، التي تنبه الغافل، وترشد الجاهل، وهي راية رحمة، ورفق، وعفو.. لأنها تؤدي إلى حسم الأمر معهم، برفق وأناة، والإكتفاء بالتعامل معهم بالقوة إلى الحد الذي يعيدهم إلى دائرة الطاعة.

وذلك لأنها تجعلهم أمام خيارين لا ثالث لهما، وهما: خيار الرضا بالحق، وترك العناد، وهذا هو غاية المنى.

وخيار الجحود، والإصرار على الباطل، والإستكبار، الذي لا دواء له إلا كسر شوكتهم، وتحطيم استكبارهم، وتتبير علوهم، وبوار عزهم.. فإن كانوا لا فئة لهم يعتمدون عليها، ويعودون إليها، فإنه يتعامل معهم بعد كسر شوكتهم بالمن والكفّ، والرفق، والرحمة، وكان هذا هو خيار أصحاب الجمل الذين جمعوا كل قواهم، وكان ذلك هو مصيرهم.. فبعد أن أكلتهم السيوف، واصطلمتهم الحتوف، وتفرق جمعهم، كف عنهم، وآمنهم، ولم يقسم من أموالهم إلا ما حواه العسكر..

أما في صفين، فلم يكن محاربو علي «عليه السلام» أهلاً للرفق، والرحمة، أو يستحقون الإغماض والعفو، فقد كان لأصحاب معاوية في الشام فئة يعتمدون عليها، ويرجعون إليها، بعد تفرقهم، ليعودوا إلى الحرب من جديد.

ولأجل ذلك، لم يكن من المصلحة الجهر بالنهي عن اتِّباع المدبر، وعن

قتل الأسير، وعن الإجهاز على الجريح، للإبقاء على حالة الرهبة في قلوبهم من حصول شيء من ذلك لهم.. وإن كانت لا توجد رغبة لدى علي «عليه السلام» فيه، كما أظهرته الوقائع، فكان لا بد من إظهار الحزم والصلابة، والشدة.. إذ لا مجال لحسم الأمر معهم، لأن لهم مدة يبلغونها، كما أوضحناه.

وببيان آخر نقول:

إن قوة أصحاب الجمل كانت في أقصى درجاتها، وأفضل حالاتها، لاسيما مع وجود عائشة وجملها على رأس الجيش، وهي زوجة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبنت أبي بكر، والمعزَّزة عند عمر، ومعها الزبير ابن عمة الرسول «صلى الله عليه وآله»، الذي كان مع علي «عليه السلام»، ثم انقلب عليه، بالإضافة إلى طلحة، ومروان، وسواهم..

وقد تذرعوا بقتل عثمان، واتهموا به، أو بالتحريض عليه، أبرأ الناس منه، وهو علي «عليه السلام».. وكان كثير من الناس ينخدعون بشائعاتهم، ويصدقونهم في ادِّعائهم.. ولاسيما من لم يحضروا أحداث قتله في المدينة.. فمسَّت الحاجة إلى هزة وجدانية قوية لها صلة بالغيب الذي هو خاص بالأنبياء والأوصياء.

أما معاوية، فبغيه وظلمه كان أوضح وأصرح، ولا يحتاج إلى الإستفادة من الغيب، مع ملاحظة: أن الإستفادة من الغيب إنما كان في إثارة الوجدان، وإقامة الحجة.. وتبقى الأمور في المراحل التالية مرهونة بالعمل، وبذل الجهد والجهاد.

وساطة الحسن والحسين:

ويواجهنا سؤال هنا يقول: إذا كان الأمر كذلك.. فلماذا رضي الحسن

والحسين «عليهما السلام» بالتوسط لدى أبيهما بأن ينشر الراية في صفين؟!

ونجيب:

بأنهما وإن كانا يعلمان بهذا الأمر، لكن حالة الناس ومطالباتهم أظهرت الحاجة إلى أن يأتي التوضيح من صاحب القرار، وأن يسمعه الناس منه.. حتى لا يتعلل أحد بأن رأي الحسنين قد يخالف ما يراه أبوهم.

كما أن من المهم: أن يرى الناس عملياً إلى أي مدى يلتزم علي «عليه السلام» بشرع الله، حتى إنه لا يستجيب لأي طلب يوجب الإخلال في الحكم الشرعي، حتى لو كان الطالب هو أعز الخلق عليه، وأكرمهم عند الله، وأقربهم إليه، كالحسنين «عليهما السلام»، وكذلك عمار بن ياسر.

فظهر: أن وساطة الحسنين لا تعني عدم معرفتهما بالحقيقة التي بينها أبوهما «عليه وعليهما السلام»..

بل المطلوب: هو حسم الأمر على لسان علي «عليه السلام»، حتى لا يبقى مجال للزعم: بأن الحسنين «عليهما السلام» قد قالا ما رأياه من عند أنفسهما، ولعل أباهما يوافقهما فيما قالاه.

فإن هذا الذي جرى يشبه قوله تعالى لعيسى «عليه السلام»: **﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾**[1].

وهذه هي الطريقة التي انتهجها الحسنان «عليهما السلام» حين طلبا من

---

(1) الآية 116 من سورة المائدة.

والدهما الإستجابة لطلب الناس نشر راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صفين.

ملاحظة: إن توسيط الناس الحسنين «عليهما السلام» وعمار بن ياسر لدى علي «عليه السلام» لينشر الراية، إنما هو لأنهم لمسوا بركاتها في حرب الجمل، فأرادوا أن يروا مثلها في صفين أيضاً.

راية لا ينشرها إلا القائم #:

وقد أخبر «عليه السلام» هنا عن أمر غيبي آخر، لا يعرف بالرأي والإجتهاد، وهو: أن راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينشرها بعد علي «عليه السلام» إلا الإمام القائم، وهو الإمام الثاني عشر «عليه وعليهم السلام».

وها نحن نستطيع أن نتيقن صدق هذا الخبر، فعلاً، فإن هذه الراية لم ترفع بعد علي «عليه السلام» إلى يومنا هذا، ونحن في عهد الإمام القائم بالذات.. مما يعني: أن بالإمكان الجزم بصدق مضمون هذا الخبر، لأجل أن مقومات صدقه كلها قد تحققت.

آمنا يا ابن أبي طالب:

وقولهم: «آمِنا» هو بكسر الميم، أي أعطنا الأمان، ومن البعيد أن تكون «آمَنا» بالفتح، لأنهم لا يقرون على أنفسهم بعدم الإيمان.

ولكن هنا سؤال يقول: إن هذه الكلمة تدل على استسلامهم، مع أن النصوص تدل على هزيمتهم.

ونجيب:

بأن الهزيمة حين تقع على معظم الجيش، قد تبادر جماعة منه.. وربما كانت من كبرائهم وأعيانهم الذين يعرفون أن علياً سوف يلاحقهم ليعاقبهم ـ تبادر ـ إلى طلب الأمان.. حين لا تجد لها مفراً ولا ملاذاً، فلما طُلب منه «عليه السلام» ذلك قال: لا تقتلوا الأسرى، ولا تجهزوا على الجرحى، ولا تتبعوا مولياً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن الخ..

ملاحظة: ومن المعلوم: أن المحارب لإمامه ونبيه إذا استسلم حين رؤية البأس، فإنه لا يستحق العفو، ولكن علياً «عليه السلام» عمل فيهم ـ كما تقدم ـ بسنة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أهل مكة، أي بالكف والمن، فنجوا، لا لاستحقاقهم النجاة، بل كرماً ورفقاً، ورحمة من علي «عليه السلام»، لأنه نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» في كل حالاته، وكان الرسول، كما قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(1).

وكذلك علي وأهل البيت «عليهم السلام».. فكأن أهل مكة ـ على حد تعبير بعض الإخوة الأكارم ـ طلقاء النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل البصرة طلقاء علي «عليه السلام».

الهدف قتل علي وولديه ٨:

وقالوا:

«خرج عوف بن قطن الضبي، وهو ينادى: ليس لعثمان ثأر إلا علي بن أبي طالب وولده، فأخذ خطام الجمل، وقال:

---

(1) الآية 4 من سورة القلم.

يـا أم، يـا أم، خـلا مني الـوطن لا أبتغـي القـبر ولا أبغـي الكفـن
من هاهنا محشر عـوف بـن قطـن إن فاتنـا اليـوم عـلي فـالغبن
أو فاتنـا ابنـاه حسـين وحسـن إذن أَمُـت بطـول هـمٍ وحـزن

ثم تقدم، فضرب بسيفه حتى قتل»(1).

وقال ابن شهرآشوب: قتله محمد ابن الحنفية(2).

ونلاحظ:

ألف: شِدة حقد هذا الرجل على علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فقد بلغ إلى حد أنه صار يفضل الموت قتلاً، لأن علياً والحسن والحسين «عليهم السلام» إن نجوا من الموت، فسوف يموت ذلك الضبيّ من الهم والحزن الطويل.

فما هذا البغض من هذا الرجل لهؤلاء الصفوة الطاهرة؟! وأي ذنب اقترفوه سواء بالنسبة إليه، أو بالنسبة لغيره؟!

ب: يلاحظ: أن هذا الضبي لم يذكر في رجزه محمد بن علي (ابن الحنفية) مع أنه صاحب راية جيش علي «عليه السلام».

ج: ومن الطريف هنا: أن يكون محمد ابن الحنفية هو الذي قتل هذا الرجل بالذات.

د: ولو صرفنا النظر عن موقفهم من علي «عليه السلام» معتبرين: أن

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص254 ـ 256.
(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص159 ـ 160 و (ط المكتبة الحيدرية ـ سنة 1376هـ) ج2 ص342 ـ 344 وبحار الأنوار ج32 ص180.

الشائعات قد أثرت على الناس وضللتهم، وأن نفوس الكثيرين لم تصف لمن قتل آباءهم وإخوانهم دفاعاً عن دين الله، في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكن ليت شعري أي ثأر لهؤلاء الناس عند الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهما لم يشاركا في حرب، ولم تكن لهما مع أحد أية مشكلة في عهد الرسول وبعده؟!

بل هم يروون لنا: أن الحسن والحسين قد حاولا نصر عثمان، لكن عثمان رفض ذلك..

وما الذي شفع لأخيهما محمد بن علي (ابن الحنفية) «رحمه الله» حتى نسيه هؤلاء الحاقدون؟!.

الحسن يطعن الجمل في حرب الجمل:

قالوا: «ودعا أمير المؤمنين محمد ابن الحنفية يوم الجمل، فأعطاه رمحه وقال له: اقصد بهذا الرمح قصد الجمل.

فذهب فمنعوه بنو ضبة، فلما رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده وقصد الجمل، وطعنه برمحه، ورجع إلى والده، وعلى رمحه أثر الدم.

فتمعَّر وجه محمد من ذلك.

فقال أمير المؤمنين: لا تأنف، فإنه ابن النبي، وأنت ابن علي»[1].

ونقول:

تستوقفنا هنا أمور، نذكر منها ما يلي:

(1) مناقب آل أبي طالب ج4 ص21 والعوالم ج16 ص129 وبحار الأنوار ج43 ص345.

1 ـ إن علياً «عليه السلام» لم يقل لولده: اذهب واطعن الجمل برمحك، بل أعطاه رمحه الذي يعرفه، ويميزه الناس عن غيره، ليأتيه بالعلامة التي تثبت أنه فعل ما طلب منه بصورة يقينية، ويمكن للناس أن يتلمَّسوا وجوه إثباتها بالتأكد من الرمح الذي هو الشاهد الذي يصدقه الناس، فلم يعد الإعتماد على مجرد الإخبار عن الفعل بالقول، بل تطور حتى صار إخباراً عن الفعل بآثاره.

ولو أنه «عليه السلام» أوكل اختيار وسيلة الطعن إلى ولده، فقد يمكن إثارة الشبهة حول صحة ما أخبر به، وليس لديه شاهد يحمل أثر الفعل بصورة عينية ويقينية..

2 ـ إن هذا الذي ذكرناه آنفاً هو الذي دعا الإمام الحسن «عليه السلام» ليأخذ نفس هذا الرمح من يد أخيه محمد «رحمه الله»، ويبادر إلى تنفيذ أمر أبيه.

3 ـ كما أن هذا هو الذي دعا الإمام الحسن «عليه السلام» للإتيان بأثر الدم على نفس ذلك الرمح.

4 ـ وحيث إن رجوع محمد دون أن يصل إلى الجمل ليطعنه بالرمح قد أعطى انطباعاً سيئاً، عن فريق أهل الحق، وأنه قد ضعف أحد فرسانهم المعدودين عن اختراق تحصينات فريق الباطل، الأمر الذي يستتبع شعوراً مقيتاً بالفشل والخيبة لدى أهل الحق..

كما أنه يوهم أهل الباطل بقوة موقفهم، وسلامة وحسن تدبيرهم، وتعاظم قوتهم ومنعتهم.. وهذا يمنحهم مزيداً من الجرأة، والثقة.. وهذا خلل واضح، يحتاج إلى ترميم وإصلاح.. وهذا الخلل يحتِّم على كل قادر أن يبادر إلى إصلاحه، من دون حاجة إلى الاستئذان حتى من علي «عليه السلام».

ولذلك لم يستأذن أباه في فعله هذا، ولا عاتبه أبوه على عدم الإستئذان.

5 ـ إن جمل عائشة قد أصبح في حرب الجمل رمزاً للباطل وأهله، ومحوراً تتحلق حوله الآمال، وتحوطه الهمم برغائبها، وتحميه الرجال بقواضبها. وابتدعت له القداسات، حتى أصبحوا يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمونه، ويقولون: بعر جمل أمّنا ريحه ريح المسك[1].

فكان لا بد من كسر هذا الصنم، وفضح هذه الأكذوبة، ودحر هذه الأحدوثة، وهتك ستر التمويه والخداع الذي كان السبب في إزهاق ألوف الأرواح، وفي إثارة الفتن.. وحيث ذرَّ قرن الشيطان، وتمرد الباطل وأهله على أفضل الأئمة الهداة، ورمز بقاء الكائنات، وأفضل المخلوقات، أسد الله الغالب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام».

6 ـ وقد تدارك أمير المؤمنين ما جرى لابنه محمد، بقوله له: إن الحسن ابن النبي، ومحمد ابن علي..

وما أروعها من كلمة عبرت عن الحقيقة كل الحقيقة، دون مواربة، أو انتقاص، وأعطت كل ذي حق حقه، وعالجت الموقف، وأعادت الأمور إلى نصابها.

ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

ألف: عن علي «عليه السلام»: إن ابن النبي «صلى الله عليه وآله»: لا

---

(1) تاريخ الامم والملوك (ط الأعلمي) ج3 ص530 والكامل في التاريخ ج3 ص247 وإمتاع الأسماع ج13 ص245 والفتوح لابن أعثم ج2 ص481 ونهاية الأرب ج20 ص72 والغدير ج9 ص370 والنص والإجتهاد ص448.

يكون إلا نبياً[1]. ويمكن أن يقال: إن الحسن «عليه السلام» هو ابن رسول الله، لكنه ليس نبياً، بل هو إمام بنص النبي، لأنه لا نبي بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والظاهر: أن هذا الأمر ـ أعني لزوم كون ابن النبي نبياً لو عاش بعده ـ مختص بنبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» تكريماً وتشريفاً له.. ولذا لم يكن أبناء يعقوب من الأنبياء، كما أظهرته أفعالهم بأخيهم يوسف، وما تسببوا به من أذى لأبيهم يعقوب «عليه السلام».

وحيث إن النبي والإمام لا يُقدم على أمر ويتراجع عنه، بل عليه أن يذهب فيه إلى نهاياته.. فإنه هو السبب ما فعله الإمام الحسن «عليه السلام»، حين أخذ الرمح من أخيه، لم يرجع حتى طعن الجمل.

ب: أما ابن الحنفية، فهو ابن علي «عليه السلام»، وعلي إمام وحجة، ولا يجب أن يكون جميع أبنائه أئمة، فكان فيهم الإمام، وقد يكون في أبنائه غير إمام، ومن الأئمة من كان له ولد واحد، وكان هذا الولد إماماً.

ومن المعلوم: أن ابن الإمام إذا لم ينل درجة الإمامة، إنما يطلب منه أن يكون كسائر المؤمنين، ولا تكون له أحكام الإمامة وواجباتها.. فإذا طلب منه أمر، فإنه يتعامل معه بحسب الوسع والطاقة.. إلا إذا كان المطلوب منه هو إنجاز الفعل، ولو بقيمة استشهاده، كما هو الحال في ذلك الذي حمل المصحف في حرب الجمل ليعرضه على جيش عائشة، وقد أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه مقتول، فرضي بذلك، ونال درجة الشهادة.

---

(1) راجع على سبيل المثال: شرح نهج البلاغة ج20 ص298.

ولكن علياً «عليه السلام» لم يخبر محمد ابن الحنفية: بأن عليه أن يمتثل الأمر على كل حال، بل فهم أنه كسائر الأوامر التي توجه إليه وإلى غيره، مشروط في مقام الإمتثال بمراعاة الوِسع والطاقة، دون بلوغ إسلام النفس للموت.

وبذلك يتضح الفرق بين ابن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وبين ابن علي «عليه السلام».

7 ـ ولعل من أسباب إقدام أمير المؤمنين «عليه السلام» على دفع أولاده، والحسنان «عليهما السلام» منهم أفضل الخلق وأكرمهم على الله، ومحمد ابن الحنفية هو الآخر، من أحب الخلق إلى أبيه، لعلمه، وفضله، وشجاعته، واستقامته، ـ لعل السبب ـ هو أنه يريد أن يفهم العدو والولي: أنه «عليه السلام» ماضٍ في هذا الأمر، مهما كلفه ذلك من تضحيات، لأن القضية قضية دين الله، وهداية، ومسؤولية إلهية، وواجب رباني، ترخص الأرواح، ويهون من أجله كل صعب.. وهو لا يريد أن يجعل أرواح الناس، ودمائهم فداءً لأغراض ومنافع شخصية..

وهذه المعاني من شأنها أن تهزم العدو في روحه، وفي آماله، وقراره، فإن هؤلاء لا يساومون، ولا يتراجعون في أي من الظروف، والأحوال.. كما أنها تربط على قلب الولي، وترسخ لديه اليقين بأنه على حق، وبأنه لا يتعرض لاستغلال، أو استغفال.. وليس في الأمر غموض، أو ارتجال.

8 ـ وأما تمعُّر وتقبُّض وجه ابن الحنفية، فربما ظن أنه قد قصَّر في المهمة التي كلف بها، فجاء التوضيح من أبيه، ليطمئنه إلى سلامة منطقه.

الفصل الثالث

نهايات حرب الجمل..

هل ندم علي × على مسيره لحرب الجمل؟!:

قال ابن عبد البر: «روينا عن محمد بن حاطب، قال: لما فرغنا من قتال يوم الجمل قام علي بن أبي طالب، والحسن بن علي، وعمار بن ياسر، وصعصعة بن صوحان، والأشتر، ومحمد بن أبي بكر يطوفون في القتلى، فأبصر الحسن بن علي قتيلاً مكبوباً على وجهه، فأكبه على قفاه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. هذا فرع قريش والله.

فقال له أبوه: ومن هو يا بني؟!

فقال: محمد بن طلحة.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.. إن كان ما علمته لشاباً صالحاً.

ثم قعد كئيباً حزيناً.

فقال له الحسن: يا أبت، قد كنت أنهاك عن هذا المسير، فغلبك على رأيك فلان وفلان.

قال: قد كان ذلك يا بني. فوددت أنِّي مت قبل هذا بعشرين سنة»[1].

---

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص352 و (ط دار الجيل) ج3 ص1373 والمجموع للنووي ج19 ص202 والغدير ج9 ص307 والمستدرك

وفي نص آخر: «وكان هواه ـ فيما ذكروا ـ مع علي بن أبي طالب «رضي الله عنه».. وكان علي قد نهى عن قتله في ذلك اليوم، وقال: إياكم وصاحب البرنس.

وروي: أن علياً «عليه السلام» مرَّ به وهو قتيل يوم الجمل، فقال: هذا السجاد ورب الكعبة، هذا الذي قتله برّه بأبيه ـ يعني: أن أباه أكرهه على الخروج ـ في ذلك اليوم»(1).

السجاد العابد:

1 ـ أظهرت الروايات المشار إليها: أن محمد بن طلحة كان صالحاً، وعابداً، وباراً بأبيه، ومیالاً إلى علي «عليه السلام»، وقد قتله أصحاب علي، رغم أن علياً أوصى بأن يتحاشوه ولا يقتلوه..

فهل الغرض هو إظهار صلاح وتقوى أصحاب عائشة، بينما يكون أصحاب علي مجرمين وقتلة حتى للعبَّاد والصالحين؟!

بل إن أصحاب علي «عليه السلام» لا يطيعون أمر علي في العفو عن الميالين إليه.

2 ـ كيف يكون محمد هذا.. عابداً وصالحاً، وكان هواه في علي «عليه السلام»، وهو الذي يقول: إن دم عثمان ثلاثة أثلاث:

للحاكم ج3 ص103 و 104 وأسد الغابة ج4 ص322.

(1) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج3 ص351 و (ط دار الجيل) ج3 ص1372 والمجموع للنووي ج19 ص201 وعمدة القاري ج19 ص148 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص342.

ثلث على صاحبة الهودج، يعني عائشة.

وثلث على صاحب الجمل الأحمر، يعني: أباه طلحة.

وثلث على علي بن أبي طالب(1).

ولم يجعل للزبير نصيباً في هذا الأمر.

مع أن علياً «عليه السلام» كان أبرأ الناس من دم عثمان، كما بيناه في أكثر من موضع.

وإذا كان محمد بن طلحة غاضباً لقتل عثمان، فكيف يأتي مع قتلته لحرب علي الذي كان هو ـ يعني محمد بن طلحة ـ يميل إليه؟!

3 ـ هل يسوِّغ له بره بأبيه نكث بيعة إمامه، وقيادة الجيوش لحربه، والسعي لقتله؟!

4 ـ وهل من يرتكب هذه الكبائر يكون سجَّاداً، أو تقياً، وعابداً؟!

5 ـ وهل كان هذا القائد للرجالة في جيش عائشة غبياً إلى حد أنه لا يعرف أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أي أن برّه بأبيه لا يسوغ له معصية ربه.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص176 و (ط أخرى) ج4 ص465 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج3 ص482 و 483 والكامل في التاريخ ج2 ص318 والنص والإجتهاد ص438 و 439 وراجع: تاريخ المدينة ج4 ص1173 والإمامة والسياسة ج1 ص84 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج5 ص212 و 213 والفتنة ووقعة الجمل للضبي ص125 و 126 وقاموس الرجال ج8 ص223 و (ط أخرى) ج9 ص342 وعن بهج الصباغة ج6 ص122 وج4 ص689 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص467 و 468.

ما جرى بين الحسن وأبيه ‘:

إن ما زعمت الرواية المذكورة: أنه جرى بين الإمام الحسن وأبيه «عليهما السلام» هو غير صحيح..

أولاً: لأن الإمام الحسن يعلم: أن أصحاب الجمل قد قتلوا ست مئة من شيعة علي في البصرة، وارتكبوا جرائم وعظائم في حق السبابجة، وحراس بيت المال، وحراس عثمان بن حنيف، وفي حق المصلين في المسجد، ولم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» ليرضى بغير معاقبة المجرمين، ولا بد أن يلتمس من والده أن يخرج من المدينة لملاحقة هؤلاء القتلة أينما كانوا لكف شرهم، وعقوبة من أجرم منهم.

ثانياً: إن الإمام الحسن لا يخطِّئ والده الذي يعلم: أن الله تعالى حكم بطهارته من كل رجس ونقص.. كما أن والده لا يمكن أن يقرّ له بالخطأ، مع علمه بعدم صدوره لأنهما لو فعلا ذلك، لكان ذلك رداً لآية التطهير..

ثالثاً: دعوى: أن علياً «عليه السلام» قد خضع لرأي فلان وفلان.. مما يعني: أنه لم يكن ذلك الإنسان الحازم والحاسم.. بل كان الناس يغيِّرون آراءه حسب ميولهم وأهوائهم..

ومن كان ضعيفاً إلى هذا الحد، لا يصلح للحكم، لأن الحكم لا يكون بيده، بل بيد أصحاب الآراء وأهل الأهواء.

رابعاً: إن الرأي الذي كان يعرض عليه، إن كان قد خضع له دون أن يقتنع به، فهو رجل ضعيف، وإن كان قد وجد أن الرأي المعروض هو الصواب، وأن رأيه كان خطأ، فأخذ برأيهم، ثم تبين له خطؤه، ولم يكن قد أدرك أنه خطأ،

فذلك يعني: أنه قاصر عن إدراك الخطأ، والتمييز بينه وبين الصواب.

خامساً: إن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يتمنى الموت قبل ذلك الوقت بعشرين سنة، بل هو يسعد لأن الله وفقه طيلة هذه المدة للقيام بواجبه في نصرة الدين، والدفاع عن الحق وأهله، وأحبط ما كان يسعى إليه المبطلون من طمس دين محمد «صلى الله عليه وآله».

سادساً: أضاف بعض الإخوة هنا قوله: أين الحسن «عليه السلام» وغيره عن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ستقاتل الناكثين؟!

لأبعثن إليك بما تعلمين:

ولما وضعت حرب الجمل أوزارها، وجاءها ابن عباس وكلمها امتنعت عائشة من العودة إلى بيتها في المدينة، فأقبل علي «عليه السلام» إلى منزل عائشة وجرى له معها كلام ذكرناه في كتاب: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج34.

قال ابن أعثم: «ثم قام علي فخرج من عندها.

قال: فلما كان من الغد بعث إليها ابنه الحسن، فجاء الحسن، فقال لها: يقول لك أمير المؤمنين: «أما والذي خلق [لعل الصحيح: فلق] الحبة، وبرأ النسمة! لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين»[1].

قال: وعائشة في وقتها ذلك قد ضفرت قرنها الأيمن، وهي تريد أن

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص339 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484 وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74.

تضفر الأيسر.. فلما قال لها ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحِّلوني.

فقالت لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين، جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك، ثم خرج من عندك وهو مغضب.. ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك، وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع.

فقالت عائشة: إنما أقلقني، لأنه ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمن أحب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلينظر إلى هذا الغلام.

وبعداً فقد بعث إلي أبوه بما قد علمتاً ولا بد من الرحيل.

فقالت لها المرأة: سألتك بالله وبمحمد «صلى الله عليه وآله» إلا أخبرتني بماذا بعث إليك علي «رضي الله عنه»؟!(1).

[زاد ابن شهرآشوب قوله: قالت: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» جعل طلاق نسائه بيد علي، فمن طلقها في الدنيا بانت منه في الآخرة](1).

وفي رواية فرات بن إبراهيم لما جرى بين عائشة وعلي «عليه السلام»: أن علياً «عليه السلام» لما عاد إلى معسكره «قام إليه ناس من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، منهم: أبو أيوب الأنصاري، وقيس بن سعد، وعمار بن ياسر، وزيد بن حارثة، وأبو ليلى.

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص339 و 340 و (ط دار الأضواء) ج2 ص484.

(1) مناقب آل أبي طالب ج2 ص134 و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج1 ص397 وبحار الأنوار ج38 ص74 و 75.

فقال: ألا أخبركم بسبعة [هم] من أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى؟!

قال أبو أيوب: بلى والله، فأخبرنا يا أمير المؤمنين، فإنك كنت تشهد ونغيب.

قال: فإن أفضل الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من بني عبد المطلب، لا ينكر فضلهم إلا كافر، ولا يجحد إلا جاحد.

قال عمار بن ياسر «رضي الله عنه»: ما اسمهم يا أمير المؤمنين فلنعرفنهم؟!

قال: إن أفضل الناس يوم يجمع الله الخلق [و] الرسل محمد، وإن من أفضل الرسل محمداً «عليهم الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل كل أمة بعد نبيها وصي نبيها حتى يدركه نبي، وإن أفضل الأوصياء وصي محمد «عليهما الصلاة والسلام».

ثم إن أفضل الناس بعد الأوصياء، الشهداء.. وإن أفضل الشهداء حمزة وجعفر بن أبي طالب، ذا جناحين يطير بهما مع الملائكة، لم يحل بحليته أحد من الآدميين في الجنة شيء شرفه الله به.

والسبطان الحسنان سيدا شباب أهل الجنة.

والمهدي يجعله الله من أحب (شاء) منا أهل البيت.

ثم قال: أبشروا ـ ثلاثاً ـ ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا**﴾[1]»[2].

---

(1) الآيتان 69 و 70 من سورة النساء.

(2) تفسير فرات الكوفي ص111 ـ 113 وبحار الأنوار ج32 ص272 ـ 274 عنه،

ونقول:

لا نريد أن نتوقف كثيراً عند هذه النصوص، ونكتفي بما يلي:

زيد بن حارثة:

ليس المقصود بزيد بن حارثة والد أسامة، فإن زيداً هذا قد استشهد في غزوة مؤتة، فلعل المراد به: زيد بن حارثة بن جارية بن مجمع بن العطاف الأنصاري الأويسي، الذي استشهد مع علي «عليه السلام» في صفين.

لماذا الإمام الحسن × دون سواه؟!:

بالنسبة لإرسال علي «عليه السلام» الإمام الحسن إلى عائشة، مع أنه كان يمكنه أن يكلمها عن أمر طلاقها بنفسه، نقول:

1 ـ إنه «عليه السلام» لم يكن يريد أن يشهر هذا الأمر، ولأجل ذلك نرى أنه اختار ولده الإمام الحسن «عليه السلام» لإبلاغها هذه الرسالة، لأنه أوثق الناس عنده، وأخصهم لديه، وأحرص الناس على كتمان هذا الأمر.

2 ـ ويشهد لذلك: أن العبارة التي أمره أن يبلغها إياها ليست صريحة في هذا الأمر، فلو حاول أحد أن يسترق السمع، أو أن يستدرجها للتصريح بنص الرسالة له، فإنها تبقى رسالة مبهمة، لا يمكن معرفة حقيقة مضمونها إلا بتعمد وقصد منها هي شخصياً للشرح والبيان، أو من مرسل الرسالة نفسه.

3 ـ وقد يشهد لذلك: أن علياً «عليه السلام» حين عاد إلى موضعه لم يذكر للناس شيئاً عما دار بينه وبين عائشة، بل هو لم يذكر لهم: أن رجالاً من جنود

وراجع: دعائم الإسلام ج1 ص394.

وقادة جيش عائشة، بما فيهم مروان وابن الزبير موجودون في ذلك البيت عندها..

4 ـ ويشهد لذلك أيضاً: أن أصبغ بن نباتة الذي كان مع علي حين كلَّم عائشة يقول: إنه لم يكن يسمع شيئاً مما كان يقوله علي لعائشة، بل كان يسمع كلامها فقط(1).

5 ـ وقد أدركت عائشة من اختيار الإمام الحسن لإبلاغها هذا الأمر، ومن الصيغة المختارة بعناية من الإمام «عليه السلام» أنه جادٌّ فيما يقول..

6 ـ إنها تعلم أن كل رأس مالها في حياتها يتلخص بهذا الإنتساب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد أثَّرت المفاجأة على عائشة إلى حد فقدت معه القدرة على ضبط تصرفاتها.. حتى إن جوابها لتلك المرأة التي حملتها على إفشاء هذا السر، ليس فيه أي أثر للتعقل والتبصر، فقد بررت ارتباكها وجزعها الشديد، وقلقها الظاهر بما لا يوجب شيئاً من ذلك، حيث زعمت أنها قلقت، وجزعت، وارتبكت، لأن الحسن «عليه السلام» هو ابن بنت رسول الله..

فهل هذا يوجب قلقاً وجزعاً وارتباكاً؟! أو يوجب طمأنينة، وسكينة وأنساً، ورضى وانشراحاً؟!

7 ـ ثم ألحقت قولها هذا بعبارة تقول: «..بعث إلي أبوه بما قد علمت»، فإن كل الناس إذا أبلغهم الرسول مضمون ما جاء لأجله، فإن السامع يعلم بذلك المضمون!! فعبارتها هذه على حد قول القائل:

(1) تفسير فرات الكوفي ص111 ـ 113 وبحار الأنوار ج32 ص272 ـ 274 عنه.

كأننـــا والمــــاء مــــن حولنــــا قــــوم جلــــوس حــــولهم مــــاء

8 ـ ثم جاء قولها: «ولا بد من الرحيل» أكثر هجنة، وأشد غرابة وتنافراً مع الجملتين السابقتين عليه، لأنهما لا تنتجان لزوم الرحيل، بعد أن كانت قد رفضته بشدة وإصرار، فما عدا مما بدا.

فكان من الطبيعي أن تزداد تلك المرأة حرصاً على معرفة الحقيقة، فأحرجتها بالقسم عليها، مستغلة تشويش فكرها، وشدة جزعها وقلقها، فأقرت لها بالمضمون الحقيقي لرسالة علي «عليه السلام».

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج34 فصل: علي «عليه السلام» يهدد عائشة بالطلاق.. فيمكن الرجوع إليه.

هل الحسن × غلام؟!:

وقد وصفت تلك المرأة التي قررت عائشة الإمام الحسن «عليه السلام» بـ «الغلام»، مع أن عمره حينئذ كان أكثر من ثلاثين سنة.

وقد أشرنا في موضع آخر من هذا الكتاب: إلى أن الغلام يطلق على من كان يافعاً، ومراهقاً للبلوغ، ويطلق أيضاً على الكهل.

وهذا التعبير قد صدر من عائشة نفسها ما يشبهه حين استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، فإنها ظنت أنهم سوف يدفنونه عند رسول الله، فجاءت على بغلة، وهي تنادي: «نحُّوا ولدكم عن بيتي، ولا تدخلوا بيتي من لا أحب»(1).

---

(1) راجع: الإرشاد للمفيد ج2 ص18 والخرائج والجرائح ج1 ص242 والمستجاد

فقد عبَّرت عنه «عليه السلام» بكلمة «ولدكم»، مع أنه إمامهم، وشيخهم، وكبيرهم، وسيدهم، فهل قصدت بكلامها هذا الحطّ من شأنه «عليه السلام»؟!

لماذا بالمراسلة؟!:

وقد يدور بخلد البعض سؤال عن السبب في أن علياً «عليه السلام» لم يبلغها بهذا الأمر حين لقيها في اليوم الأول، وصبر إلى اليوم الثاني، فأرسل إليها ولده الإمام الحسن «عليه السلام».

ويمكن أن يجاب:

بأنه «عليه السلام» ربما رأى أنها حين لقيها في اليوم الأول كانت على درجة كبيرة من القلق والهيجان، والخوف من مآل أمرها، وأمر الذين خبأتهم في حجرات تلك الدار الواسعة..

فربما دعاها غيظها، وقلقها إلى اللجاج والعناد في كل ما يعرضه عليها، ومقابلته بالرفض، الذي يوجب اللجوء إلى معالجة أخرى، قد لا تكون ملائمة في ذلك الوقت..

فصبر «عليه السلام» إلى اليوم التالي، لتخف درجة التوتر لديها، ولاسيما بعد أن عرفها بكلامه أنه يعرف الذين خبأتهم عائشة، ويعرف أماكنهم، وأنه ليس بصدد قتلهم فعلاً.

من الإرشاد (المجموعة) ص149 وبحار الأنوار ج44 ص153 و 154 و 157 والأنوار البهية ص92 والدرجات الرفيعة ص125 وقاموس الرجال ج12 ص300 وأعيان الشيعة ج1 ص576 والجمل للمفيد ص234 وكشف الغمة ج2 ص209 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص204 وراجع: روضة الواعظين ص168.

فظهر: أنه «عليه السلام» تعامل معها بكرم أخلاق، صوناً لمقام الرسول «صلى الله عليه وآله»، ومن موقع الرفق والكفّ، والعفو، والمن على أعدائه، بالرغم من كل ما فعلوه، وما اقترفوه.

أفضل الخلق سبعة:

أما بالنسبة للحديث الذي حدث به علي «عليه السلام» الناس بعد عودته إلى المعسكر، عن أفضل الخلق يوم القيامة، ففيه أمور عديدة تستوقف الباحث، ونذكر منها:

ألف: أنه «عليه السلام» لم يذكر لهم شيئاً عما دار بينه وبين عائشة.

ب: لم يذكر لهم أن قادة البغاة عليه موجودون في بيت تحت نظر عائشة.

ج: إنه «عليه السلام» طرح موضوعاً آخر ـ قد يعتبره البعض ـ أنه لا صلة له بحرب الجمل.

د: إنه «عليه السلام» مهَّد لموضوعه هذا بعرضه عليهم أن يخبرهم بسبعة هم من أفضل الخلق يوم القيامة.. ربما ليثير اهتمامهم بمعرفة أمر يجهلونه، وليعطوه سمعهم وبصرهم كله، ولأن في هذا العرض بعض الإيحاء: بأن يكون من بينهم من له نصيب في هذا الأمر.. إذا فهم من كلامه «عليه السلام»: أنه يريد بالسبعة هو سبعة أنواع من الناس، مثل: الصابرين، والمجاهدين، ونحو ذلك من عناوين.. فهو على حد قوله «عليه السلام»: لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاثة: الآكل زاده وحده، والراكب في الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده[1]. أما إن كان المراد سبعة أشخاص على الحقيقة، فلا

---

(1) الخصال للصدوق ص93 ومن لا يحضره الفقيه ج2 ص277 ووسائل الشيعة

إيحاء فيه.. إذ ينحصر الأمر بالمعصومين، ومن هم على شاكلتهم.

هـ: لو أنه «عليه السلام» استعاض عن ذلك بموعظة لهم، أو بخطبة سياسية أو بحديث عن خططه المستقبلية، أو غير ذلك.. فقد لا تجد لديهم حرصاً على الإصغاء، كالذي يشعرون بالحاجة لمعرفته بعد هذا العرض المغري لهم، لاسيما مع احتمال أن يكون لهم نصيب فيه.

و: إن السبعة الذين ذكرهم «عليه السلام» كلهم من بني عبد المطلب، وقد استشهد منهم ثلاثة هم: النبي «صلى الله عليه وآله» وحمزة وجعفر «عليهما السلام».

وثلاثة لا يزالون أحياء، وهم: علي، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، وهؤلاء هم الذين شُنَّت حرب الجمل لأجل قتلهم، مع أن الحديث الذي رواه علي «عليه السلام» يقول: إن من ينكر فضل هؤلاء الثلاثة يكون كافراً وجاحداً، فما بالك بمن يريد قتلهم، ويجمع الجيوش، ويباشر الحرب من أجل ذلك؟!

والسابع، وهو الإمام الثاني عشر «عليه السلام»، لم يكن قد ولد بعد، لأنه ولد سنة 255هـ..

ز: إن ما أخبرهم به «عليه السلام» كان من الغيب الذي لا سبيل إليه

(آل البيت) ج5 ص333 وج11 ص410 وج24 ص416 و (الإسلامية) ج3 ص582 وج8 ص300 وج16 ص528 ومستدرك الوسائل ج3 ص462 وج8 ص209 وج16 ص315 ومكارم الأخلاق للطبرسي ص259 وبحار الأنوار ج63 ص347 وج71 ص21 وج73 ص187 و 227 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص521 وج4 ص180 وج9 ص260.

إلا بالأخذ من مصدر الوحي.. وهذا ما أدركه أبو أيوب لتوِّه، حيث عرف أنه «عليه السلام» يريد أن يحدثهم بما سمعه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد ظهر ذلك حين تبين أن الخبر يرتبط بيوم القيامة، وبالمهدي الذي لم يكن قد ولد، ولا يمكن معرفة هذه الأمور إلا بالنقل عمن هو متصل بمصدر الغيب.

ح: إن هذا الخبر كان ضرورياً لهم لأكثر من سبب..

فأولاً: إنه «عليه السلام» يريد أن يعالج الآثار السلبية للحرب، فإن الإنغماس في أجوائها يؤثر على ضعفاء النفوس سلباً، فربما زاد قلوبهم قسوة، وقلل من حرمة الناس بنظر المقاتلين، وربما أيقظ في قلوبهم معاني الثأر والإنتقام، وربما أحدث لهم النصر غروراً، وشعوراً بالإستعلاء، وبالقوة الذاتية.. حين ينسبون الأمور إلى قدراتهم الذاتية، وذكائهم، وحسن تدبيرهم، وما إلى ذلك.

ثانياً: كان لا بد من تأكيد ارتباطهم بإمامهم من موقع القلب والروح والغيب، والتسليم لمعنى الإمامة، والرضا بحكم الله.. وأن تكون علاقةً لأجل الآخرة، لا لتحصيل المكاسب في الدنيا، بالإضافة إلى تأثيره في انتعاش الروح، وهيمنة القيم، والأخلاق والمبادئ.

ط: إنه يريد أن يحصنهم من كارثة هائلة يمكن أن تحلَّ بهم، وهي: أن تفقد المعايير الإنسانية والإيمانية معناها ومغزاها، بعد أن تفقد وضوحها، وتأثيرها، وتختلط وتشتبه مع ما ينافيها ويجافيها.

وذلك كما لو صار الناس المقاتلون المنتصرون يضعون أنفسهم في مصاف خيار أهل الأرض، وأئمة الدين، بحيث لا يرون لهم امتيازاً عليهم، إلا ببعض المعارف التي لديهم، مما حصلوا عليه من قبل من سبقهم، أو عاش معهم من

نبي أو إمام.

بل قد يرى البعض منهم: أنه يمتاز حتى على إمامه في بعض الشؤون والأحوال، ويتعامل معه تعامل من يريد أن يفرض عليه آراءه وتصوراته، وقراراته، وفهمه للأمور.

ي: وحيث إنه ربما كان لطول العِشرة أثر في الإعتياد على الشخص الآخر، حتى لو كان نبياً، أو إماماً، كما أن الإنغماس في حب الدنيا يزيد من التباين والإختلاف بين الشخص وبين إمامه وقدوته، المعصوم، الذي طهَّر نفسه وروحه من حب الدنيا.. فإن هذا يمثل خطراً هائلاً حذَّر الله تعالى منه: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾(1).

وهكذا يكون الحال بين الأشخاص الذين يتفاوتون في معارفهم، وأخلاقهم، ودرجات الخشية لله وفي غير ذلك من أمور.. فإن ذلك سينتهي إلى التباين حتى في فهم الأمور، وظهور الإختلافات، والتباينات، التي قد تصل إلى حد كبير وخطير..

ولأجل ذلك دق «عليه السلام» ناقوس الخطر للناس بعد هذا النصر العظيم، وحذَّرهم من أن وقوعهم في هذا المأزق سيؤدي بهم إلى الكفر والهلاك حين يصل إلى حد سقوط الحرمات، وإلى حد إنكار فضل ذوي الفضل.

ك: ويلاحظ: أنه «عليه السلام» ذكر اثنين من السبعة ليس لهم صفة نبوة أو إمامة توجب لهم العصمة، وهما حمزة وجعفر، ربما ليدل على أن بإمكان البشر جميعاً بلوغ هذه المراتب، ولا يختص ذلك بالمعصوم.

---

(1) الآية 63 من سورة النور.

الشفاعة لمروان:

وبعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها، وهُزم الناكثون، كان مروان في حيص بيص خوفاً من أن يجازيه علي «عليه السلام» بأفعاله، وقد روى الشريف الرضي «رحمه الله» وغيره: أن الحسنين «عليهما السلام» تشفعا بمروان، وقالا لأبيهما: يبايعك مروان يا أمير المؤمنين.

فقال: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟!

لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبَّته.

أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه.

وهو أبو الأكبش الأربعة.

وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر»(1).

قال المعتزلي: وروي هذا الخبر من طرق كثيرة(2).

ونقول:

لم يصرح النص: بأن شفاعة الحسنين «عليهما السلام» بمروان كانت بطلب من مروان، أو من بعض محبيه، مع أن الإمام قد آمن الناس بعد وقوع

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص123 و 124 الخطبة رقم 73 وتذكرة الخواص ص390 وبحار الأنوار ج32 ص234 و 235 و 355 وشجرة طوبى ج1 ص130 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص146 وإعلام الورى ج1 ص340 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص36.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص146 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص36.

الهزيمة على جيش عائشة بإطلاقه نداءً فيهم: من ألقى سلاحه فهو آمن..

ولكن لمروان حسابات أخرى..

فأولاً: لعل مروان تخوَّف من أن يقول علي «عليه السلام»: إن النداء الذي أطلقه إنما هو لمن ألقى سلاحه، استجابة لهذه الدعوة، ورغبة في عدم القتال، وندماً على ما مضى..

أما من ألقى سلاحه عجزاً ويأساً من جدواه، ولكي يجد الفرصة لجمع الجيوش من جديد، فلعلَّه غير مشمول بهذا النداء.. وهذا أكثر ما ينطبق على القادة الطامعين والطامحين..

ثانياً: لعل هذا النداء لا يشمل قادة الجيش، ولعله لا يشمل من علم أنه ارتكب جريمة قتل مسلم.. كما أن من الممكن أن يكون علي «عليه السلام» يريد معاقبة مروان على أفاعيله وتعدياته على الناس، وعلى بني هاشم أيام عثمان، التي بلغت حدَّاً لا يطاق، ولعل هذه التعديات والجرائم، والسعي لتجييش الناس على علي، وقيادة الجيوش لحربه قد جعلت مروان من أبرز مصاديق المفسد في الأرض، الذي أمر الله بقتله لأجل إفساده.. ولعل.. ولعل..

فكان مروان يبحث عن وسيلة تمنحه الطمأنينة إلى أنه آمن من سيف علي في جميع الوجوه والأحوال..

الحسنان يعرفان ويشفعان:

إن الحسنين «عليهما السلام» كانا أعرف الناس بمنطلقات أبيهما «عليه السلام» في مواقفه، وفي أحكامه، وفي كل ما يقول ويفعل.. ولكنهما لم يكونا مخولين بالإفصاح عن شيء من ذلك بدون إذنه، فإن هذا هو ما تفرضه مصلحة

الأمة، والحق والدين..

ولأجل ذلك لم يخبرا عن قرار أمير المؤمنين «عليه السلام» في حق مروان، وأضرابه، لأن المصلحة تقضي بأن يسمع الناس ذلك من أمير المؤمنين «عليه السلام» مباشرة.

وهذا يؤكد لزوم تمركز القرار، وضبط الحركة في اتجاه واحد، لأنه إذا كان لكل أحد الحق في أن يقول ويقرر، ويفعل، بحكم ما له من موقع، فإن الحكام على الناس، إذا لم يكونوا أئمة معصومين، لا يقدرون على ضبط الأمور وحفظها من ظهور الفجوات، والسقطات، والإختلافات، والتباينات في فهم وطرح القضايا، وفي إدارة الأمور..

وهذا يؤسس للإختلافات، والتنافسات الشيطانية، والصراعات على السلطة والنفوذ، وبعد ذلك لا بد أن نقول: على الحكم، وعلى العدل، والإنضباط، ومصالح العباد، ومستقبل الناس وعلى السلام الإجتماعي، والأخلاقي، والسياسي، وغير ذلك ـ على ذلك كله ـ السلام.

علي × فضح نوايا مروان:

1 ـ إن رغبة مروان في تجديد بيعته لعلي «عليه السلام»، ربما كان سببها: أن يطمئن علياً إليه، ثم هو ينصرف للعمل في السر إلى حياكة المؤامرات ضد علي الغافل عنه بزعمه.

2 ـ لكن كلام علي «عليه السلام»، وإن كان قد تضمن ما يفيد: أنه «عليه السلام» ليس بصدد إنزال العقوبة بمروان، ولكنه آثر الإكتفاء في أمانه له بما تضمنه النداء العام، الذي يجعل مروان كغيره من سائر الناس..

وهذا قد ضيع الفرصة على مروان، وأفشل تدبيره، فاضطر إلى الهرب إلى الشام حين سنحت له الفرصة.

3 ـ ومما رسَّخ قناعة مروان بفشله الذريع في خطته: إعلان علي «عليه السلام»: أن مروان لن يفي بعهده وبيعته، لأنه من أهل النكث والغدر..

ثم أكد «عليه السلام» ذلك: بأن يد مروان يد يهودية، لا تكون إلا غادرة، فالغدر الذي حصل لم يكن عابراً، فرضته ضرورات، أو أمور عارضة، ولكنه طبيعة ثابتة وراسخة ومتمكنة في كيانه، وهو مبدأ بنى عليه آماله، ومستقبله، مما يعني: أنه ليس لديه كوابح لجماحه، لأن شخصيته تفقد هذه الكوابح التي تتمثل بالإيمان وبالقيم، والأخلاق، والشعور الإيماني بالله تعالى، والحرج الإجتماعي، الذي ينشأ عن الحياء، وحفظ ماء الوجه، وحالة الإباء، وكرم الأخلاق، فإنك لا تكاد تلمس وجود ذرة من ذلك كله في شخصية هذا الرجل..

وهذا ما أشار إليه علي «عليه السلام» بقوله: لنكث بسبته، أو سوأته. بل هو يملك العناصر المغذية، لحالة الختل والغدر، والنكث، كالطمع، وحب الدنيا، والعصبيات الظالمة، والأحقاد، وحب الجاه والمقام، وغير ذلك.

4 ـ ثم إنه «عليه السلام» قد قزّم آمال وطموحات مروان، وصغَّرها، وحقَّرها، بدرجة مهينة ومنفرة حين قال «عليه السلام»: أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه..

ونلاحظ: إنه «عليه السلام» ذكر ذلك على سبيل الإخبار الغيبي الذي يضع مروان نفسه أمام خيارين:

أحدهما: خيار شيطاني بمتابعة حربه للحق وأهله..

الثاني: طريق رحماني يفرض عليه التخلي عن ذلك، والتحوّل إلى توبة نصوح تودي به إلى العمل على إصلاح نفسه، وجميع ما أفسده.

ولأنه قد صاحب هذا الخبر الغيبي المزيد من التحقير، والإهانة، والإزدراء لهذه الطموحات، ونتائجها، ومآلاتها.

فمن الطبيعي أن يؤثر ذلك على من يبلغه هذا البيان، ويضع أمامه مزيداً من التساؤلات عن صحة وسلامة عقل من يلجأ إلى خيارات كهذه.

كما أن هذا الإخبار من دلائل إمامته «عليه السلام»، فمحاربوه ظالمون له، وباغون عليه في كل حال.

وهو يعطي: أنه «عليه السلام» لا يعتمد في حكومته على القوة العسكرية والمادية، والإعلامية، بمختلف أنواعها، ولا يتخذ سبيل فرض الهيمنة، وفرض السلطة، ولو بطرق غير مشروعة، بل هو يعتمد على التواصل مع وجدان الناس وعقولهم، وقلوبهم، ومشاعرهم.. ويثير كوامن الخير، ويحرك عنصر الإيمان فيهم.

5 ـ ثم أتبع ذلك بالإخبار عن أمر غيبي آخر، حيث ذكر أربعة من أبناء مروان يحكمون الناس بعد مضي عشرات السنين من ذلك الوقت، ملمحاً إلى أنهم سيكونون طغاة جبارين..

وأضاف خبراً غيبياً آخر أيضاً، يهمّ الناس كل الناس الوقوف عليه، والتعامل معه بجدية، وصلابة، وحزم، لأنه يعنيهم في مستقبلهم، ومستقبل أحفادهم، ويلامس حياتهم ومصائرهم ووجودهم بالصميم حيث قال: «وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر».

ويفترض أن يُحدِث مثل هذا الخبر زلزالاً في عمق وجدان الناس، وأن يتناقلوه، ويتذكروه، وأن يتعاملوا معه بما يستحقه، لتخفيف وقعه، وتجنب الكثير من آثاره، ويمكن أن يتمثل هذا الحذر بضبط النفس عن الإندفاع في تقوية وتأييد مخططات مروان ومن يدور في فلكه أو يشد على يده.. وكذلك الحال بالنسبة لأبنائه الأربعة..

وهذه الأخبار هي من مظاهر الرفق بالأمة، كما أن من شأنها ضبط حركتها، والعمل على صيانتها من الرزايا والبلايا، والأزمات التي تواجهها، إذ كثيراً ما يسهم الناس أنفسهم في جر البلاء إلى أنفسهم.

الفصل الرابع

بين حربين..

خطبة الجمعة:

عن محمد بن سيرين، قال: سمعت غير واحد من مشيخة أهل البصرة يقولون: لما فرغ علي بن أبي طالب «عليه السلام» من الجمل، عرض له مرض، وحَضَرتِ الجمعة، فتأخر عنها.

وقال لابنه الحسن «عليه السلام»: انطلق يا بني فاجمع بالناس.

فأقبل الحسن «عليه السلام» إلى المسجد، فلما استقل على المنبر، حمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وصلى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقال: أيها الناس، إن الله اختارنا بالنبوة، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه.

وأيم الله لا يُنقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا تنقَّصه الله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ثم جمع بالناس.

وبلغ أباه كلامه، فلما انصرف إلى أبيه «عليه السلام» نظر إليه، فما ملك عبرته أن سالت على خديه، ثم استدناه إليه فقبل بين عينيه، وقال: بأبي أنت وأمي، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[1].

---

(1) راجع: الأمالي للطوسي (ط دار الثقافة) ج1 ص82 و 83 و 104 ومناقب آل أبي

ونقول:

يلاحظ هنا:

ألف: إن خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» مختصرة وقصيرة إلى حد لافت للنظر، ولاسيما لأهل زماننا هذا. وهي تؤكد معنى: أن خير الكلام ما قل ودل. ولعلها جارية أيضاً على قاعدة: صلِّ بصلاة أضعفهم..

ويؤكد هذه المعاني: أن الكلام القليل تحفظه الذاكرة لدى الكثيرين، ويفسح المجال للتفكير في معانيه.

ب: إنه اقتصر على بيان أمر اعتقادي، من حيث ارتباطه بالناس، من جهات محددة، وهي:

أولاً: إن المطلوب: هو معرفة الإمام بصورة دقيقة وعميقة، وليس المقصود مجرد معرفة اسمه، ورؤية شخصه، ومعرفة بلده وموضع سكناه.. بل معرفة تجلي خصوصيات الإمامة فيه، وبلوغه مقاماتها، ومعرفة علمه وتقواه، وعصمته، وحالاته مع الله، وسياساته، وأخلاقه، وسلوكياته.

ثانياً: إن هذه المعرفة هي التي تجعل بالإمكان معرفة حقه، وآفاقه، وحدوده، ويجعل لدى العارف الدافع لأداء ذلك الحق، من الطاعة له، والأخذ منه، ونصرته، وغير ذلك..

طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص178 وبحار الأنوار ج32 ص228 و 229 وج43 ص355 وبشارة المصطفى للطبري ص402 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص331 والمحتضر للحلي ص150 وراجع: كنز الدقائق (تفسير) ج2 ص66 والدر النظيم ص509.

ثالثاً: لزوم معرفة حق أهل البيت «عليهم السلام»، لأن ذلك هو الذي يمنح القدرة على أداء ذلك الحق.

رابعاً: إن الجهل بحقهم يؤدي إلى الإنتقاص منه، وهذا سيواجه بالعقوبة الإلهية، القائمة على أساس المقابلة بالمثل.

خامساً: إن هذا العقاب لا يقتصر على عاجل الدنيا، بل هو سيتكرر في النشأتين، فيعاقب بتنقص الله تعالى له في الدنيا.. ثم يعاقب بتنقص الله تعالى له في آجل الآخرة.

وهذا إخبار عن أمر لا يعلم بغير النقل عن مصدر الوحي، وهو يدخل في باب الإخبار بالغيب الذي يمكن التحقق من صدقه في الدنيا أيضاً، وإن في عصر الظهور.

ج: إن أمر أهل البيت «عليهم السلام» لا يشبه أمر غيرهم، فإنهم إذا كانت عليهم دولة بأن انتصر عليهم الظالمون فإن هذا لا يدوم، لأن العاقبة ستكون لأهل البيت «عليهم السلام»، لأنهم هم المتقون.

وهذا هو وعد الله لهم ـ والله لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ـ بخروج صاحب الزمان في آخر الزمان، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً..

وهذا يعطي: أن هذا من السنن الإلهية المرعية من الله تعالى، والتي لا يعقلها إلا العالمون.

وهذا إخبار غيبي آخر هنا، يمكن التحقق من صدقه في الدنيا أيضاً، ولذلك قال «عليه السلام»:

«ولتعلمن نبأه بعد حين».. أي حين تحقق ذلك بالفعل بظهور الإمام

الحجة «عجل الله تعالى فرجه الشريف».

د: بقي أن نشير إلى شدة سرور الإمام علي «عليه السلام» من هذه الخطبة الجليلة للإمام الحسن «عليه السلام»، حتى إنه ما ملك عبرته، فسالت دموعه على خديه.. فإن ذلك يدل على أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد وضع إصبعه على القضية المحورية، وهي قضية الإمامة والقيادة الحقيقية، التي يقوم عليها البناء الإسلامي الشامخ الذي لا بد من حفظه وصيانته بكل الوسائل، ويكون التفريط فيه من أسباب السقوط والتلاشي للدين، وللحق، ولكيان الأمة.

كما أن هذا الفرح الشديد بأقوال الإمام الحسن يجعل منها في فهم الناس الأولياء والأعداء، بمثابة الأقوال لعلي نفسه، فلا مجال بعد لادعاء أن الإمام الحسن قد عبَّر عن فهمه للأمور، وربما كان أبوه مخالفاً له في ذلك، ولو جزئياً.

طاعة الأئمة والإصطفاء:

إن ما يُلزِم الأمة بطاعة وتوليِّ النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، ليس هو مجرد البيعة لهم، بل ذلك واجب على كل حال، سواء أكانت هناك بيعة، أم لم تكن.. وقد أشار إلى ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» حيث قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

لأن سبب وجوب التولي والطاعة هو الإصطفاء الإلهي للخيرة الأبرار الأطهار من مخلوقاته الذين فوَّض إليهم هداية الناس، وتربيتهم، وقيادتهم، لتحقيق الأهداف الإلهية المتمثلة بإيصال الموجودات إلى كمالاتها في الدنيا والآخرة.

فلا أثـر في هـذا الإصطفاء للهوى، والعشوائية، والنفعية، أو العصبية

للقبيلة، أو البلد، أو غير ذلك.. بل هو اصطفاء يستند إلى معايير ضوابط منسجمة مع حقائق التكوين، وأهدافه..

وهذا الإصطفاء للصفوة الأطهار هو الذي يختزن العمل على بلورة معنى النبوة في حركة الواقع، ويجسد سر الإختيار الإلهي لانطلاقة الوحي، من خلال هؤلاء المصطفين، لتحقيق الأهداف الإلهية لإعمار الكون، لتصبح الحاكمية والطاعة لمن اصطفاهم الله طاعة لله، مفروضة على جميع المخلوقات.. ومحققة للإنسجام بين جميع الكائنات.

وهذا هو مضمون قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

أما المناوئون لهم، فلا عاقبة لهم، لا في عاجل الدنيا ولا في آجل الآخرة.

وما تقدم يعطي حتمية انحصار مرجعية الناس بهؤلاء المصطفين، من حيث تجلي الإرادة والوحي الإلهي في أقوالهم وأفعالهم.. وبذلك يتحقق الإنسجام التام بين المخلوقات، وتتوحد المعارف، وتستثار دفائن العقول، بعيداً عن نزوات الأهواء، وتشتت الآراء.. وهذا هو ضمانة البقاء في خط التنامي والتسامي.. وبدون ذلك، فإن البديل هو التيه، وبوار معنى السعادة بافتراس الطواغيت لمقوماتها ومناشئها.

عتاب المتخلفين:

وروى نصر، عن سيف قال: حدثني إسماعيل بن أبي عميرة، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود: أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على علي بن

---

(1) الآية 128 من سورة الأعراف.

أبي طالب «عليه السلام» بعد رجعته من البصرة، فعاتبه، وعذله، وقال له:

«ارتبت، وتربصت، وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم ـ فيما أظن ـ إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك؟! وما زهَّدك في نصرهم؟!

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردَّن الأمور على أعقابها، ولا تؤنبني بما مضى منها، واستبق مودتي يخلص (تخلص) لك نصيحتي.. وقد بقيت أمور تعرف فيها وليَّك من عدوك. فسكت عنه.

وجلس سليمان قليلاً، ثم نهض فخرج إلى الحسن بن علي وهو قاعد في المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين، وما لقيت منه من التبكيت والتوبيخ؟!

فقال له الحسن: إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته.

فقال: إنه بقيت أمور سيستوسق [تقصَّف] فيها القنا، وينتضى [تتثلَّم] فيها السيوف، ويُحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصيحتي.

فقال له الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بالظنين»[1].

ونقول:

وقفات مع النص المتقدم:

إن هذا العتاب لسليمان بن صرد يدل على أنه لم يحضر الجمل مع علي

---

(1) صفين للمنقري ص6 و 7 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج2 ص349 و 350 و (ط دار الأضواء) ج2 ص492 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص105.

«عليه السلام»، فقول الخدري: إنه شهد مع علي مشاهده كلها لا يصح[1].

كما أن هذا لا يبقي مجالاً لقول بعض الأجلاء: إنه لم يقف على ما يدل على تخلف سلمان عن حرب الجمل[2]..

ويلاحظ: أن سليمان بن صرد لم يقدم عذراً على تخلفه عن أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل، ولو كان عذراً صورياً، وغير ذي معنى. وبقي سؤال علي «عليه السلام» إياه عن سبب قعوده عنه بلا جواب.

2 ـ إن هذا العتاب قد تضمن أموراً أخرى، ذات مغزى عميق ودقيق، ولم يكن المطلوب منها الحصول على أجوبة..

ومن هذه الأمور:

ألف: قد يمكن القول: بأن سبب عدم تقديم ابن صرد عذراً: هو أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أظهر أنه واقف على عذره، وقد واجهه به بصراحة، حيث قال له: «ارتبت، وتربصت، وراوغت».

أي أن تخلف سليمان كان نتيجة الأمور التالية:

أولها: أنه ارتاب في مشروعية حرب الجمل، فلم يميز بين المحق والمبطل، والباغي من المبغي عليه.. وهذا خلل عقائدي خطير.

ولعل سبب ذلك: تأثره بشائعات الأعداء عن إسهام علي في قتل عثمان،

(1) تنقيح المقال ج2 ص63 وأسد الغابة ج2 ص351 وأعيان الشيعة ج7 ص299 وراجع: الجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري) ص52.

(2) تنقيح المقال ج2 ص63.

وربما كان السبب هو انبهاره ببعض قادة الفريق المناوئ لعلي «عليه السلام»، وخصوصاً عائشة التي هي أم المؤمنين، وبنت أبي بكر.. حيث لم يمكنه اتخاذ قرار محاربة الجيش الذي كانت على رأسه.

الثاني: إنه أراد الإنتظار والصبر، والتربص إلى أن تتبلور الأمور في المجال العملي، وظهور الغالب من المغلوب ليكون مع الغالب.. وهذه وصولية وانتهازية، وسقوط لا يرضاه الله لعبده المؤمن، وهي من طاعة الهوى المؤدي إلى الهلاك.

الثالث: إنه حين كان لا بد له من الإقدام بعزم وحزم، راوغ، والتمس لنفسه المهارب والمسارب. ومن المعلوم: أن المراوغة في الأمور المصيرية خيانة لا مجال للسكوت عنها، بل لا بد من العتاب والحساب عليها، إن لم يكن في الدنيا، ففي الآخرة.

الرابع: إنه كان زاهداً في نصرة أهل بيت نبيه.. فاختار الأيسر له والأحب إلى قلبه.. وهذا يدل على أن الأولويات عنده غير واضحة.

ب: إن علياً «عليه السلام» بقوله لابن صرد: كنت أوثق الناس في نفسي لم يكن مخدوعاً بابن صرد، ولا واثقاً بمن ليس أهلاً للوثوق.. ليكون ذلك منافياً لعلمه وعصمته «عليه السلام»، لأن العصمة إنما تعني العمل بمقتضى التكليف، والإمام مكلف بالعمل وفق ظواهر الأمور، لا وفق علم الإمامة والشاهدية..

وقد كانت ظواهر ابن صرد لا تشي بشيء يمكن أن يخل بالثقة بنظر الناس.. وبذلك يصبح تكليف علي «عليه السلام» هو العمل وفق هذه الظواهر، لا وفق العلم الخاص بمقامه كإمام وشاهد على الخلق. الذي يكشف له الحقائق.

ج: قول علي لابن صرد: «فما قعد بك عن أهل بيت نبيك، وما زهَّدك في نصرهم»؟! إنما هو ليزيح الغشاوة عن عينيه، ويقيم الحجة عليه: بأن حرب هؤلاء القوم لعلي «عليه السلام»، ليس لأنه هو المشكلة لهم ـ كشخص ـ بل لأنهم يريدون القضاء على أهل بيت النبوة، بما لهم من نهج، وبما يحملون من ميزات وخصوصيات تحرجهم، وتخرجهم عن طورهم، وتحدّ من حركتهم، وتشل قدرتهم على نيل رغائبهم في هذه الدنيا بالمدى الذي يحلمون به..

وحيث إن الرمز الأكبر لهذا النهج، وعميد أهل هذا البيت هو علي «عليه السلام»، فيرون أن إزالته تحقق لهم أغراضهم، وتسهل لهم ما هو عسير عليهم.

د: لقد لفت نظرنا: استعظام ابن صرد تأنيب علي «عليه السلام» له على هذا الخطأ الفادح الذي ارتكبه، وكأنه لا يرى قعوده عن نصرة دينه، وإمامه، ومن له بيعة في عنقه، وقعوده عن نصرة أهل بيت نبيه ـ لا يراه ـ أمراً عظيماً.. لاسيما وأنه رئيس يقتدي به جماعات من الناس، من قومه، ومن غيرهم، مع أن موقفه هذا يدعوهم إلى خذلان إمامهم، وتمكين عدوهم منه.

هـ: والأنكى من ذلك: أن ابن صرد يلوِّح بالتهديد باستبدال المودة بالعداوة.. وكأنه لا يرى مانعاً من أن يعالج خطأ فادحاً بخطأ أفدح منه، وأن يستبدل النصح بالخيانة، والإخلاص والمودة بالغش، والبيعة لإمامه بنكثها، والنصرة له بالحرب عليه.

و: إن ابن صرد يجعل الأماني والأحلام ثمناً للوقائع والحقائق الراهنة، حين يحيل على أمور يحتمل هو حدوثها في المستقبل، قد يحتاج فيها علي إلى أمثاله.. مع أنها قد لا تحدث أصلاً.

ولو صح ما تنبَّأ به ابن صرد، فمن الذي يضمن لعلي، ولغيره أن لا يعاوده الريب والتربص، ويعود إلى المراوغة؟!

ز: كيف كان ابن صرد يتوقع أن لا يتهم في نصيحته، مع أنه «عليه السلام» إنما يعاتبه على عمل خطير ارتكبه، يقوِّض احتمالات كونه من الناصحين، ويقتلعها من جذورها؟!

فهل هناك من غش أكبر من القعود عن نصرة إمام له في عنقه بيعة صحيحة، مع تضافر النصوص من النبي «صلى الله عليه وآله» على أنه «عليه السلام» مع الحق والحق معه.. وعلى أن أعداءه ظالمون له، باغون عليه؟!

ح: إن الريب الذي عرض لابن صرد، فانتهى به إلى هذا الواقع السيئ، لا يمكن الاطِّلاع عليه، وإجراء الكلام فيه على سبيل القطع، إلا بطريقين:

أحدهما: أن يكون المرتاب قد أقرَّ به لغيره، فبلغ ذلك علياً «عليه السلام». وليس ثمة من شيء يدل على ذلك.

الثاني: أنه «عليه السلام» قد علم ذلك بعلم الإمامة، فواجهه به ليعيد إليه توازنه الإعتقادي بالإمامة، أو ليقيم الحجة عليه..

وهذا هو ما يؤيد ظاهر الأمر..

نقول هذا، مع علمنا: بأن هناك خيارات أخرى، كان يمكن معرفتها بوسائل أخرى عادية، كعروض مرض، أو سفر أبعده، أو نحو ذلك.. إلا أن كان «عليه السلام» قد تكلم بلهجة السائل، لا المخبر..

ما بعد الريب والتربص:

وقد تكرر التخلف عن الواجب، والخلف بالوعد من سليمان بن صرد، فإنه كان ممن كتب إلى الإمام الحسين «عليه السلام» من الكوفة بالقدوم إليها،

لينصره، ويكون معه.. فلما قدمها ترك القتال معه[1].

فلا يصح قول بعضهم: إن تخلفه كان بسبب حبس ابن زياد له[2].

ولكننا مع كل ما تقدم نقول:

إنه عاد فطلب بثأر الحسين «عليه السلام» واستشهد في هذا السبيل، فالرجاء من الله العزيز الحكيم، والغفور الرحيم: أن يتقبل منه، ويغفر له، ويحشره مع الصالحين والشهداء.. إنه ولي قدير..

علي يمنع والحسنان يعطيان:

ورووا: أن أسامة بن زيد أرسل مولاه حرملة من المدينة إلى الكوفة إلى علي «عليه السلام» يسأله شيئاً من المال، وقال له: إنه سيسألك الآن، فيقول: ما خلَّف صاحبك؟!

فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره (أي لم يكن من رأيه القتال).

فلم يعطني شيئاً.

فذهبت إلى حسن وحسين وابن جعفر، فأوقروا لي راحلتي[1].

---

(1) أسد الغابة ج2 ص351 ترجمة سليمان بن صرد، وتنقيح المقال ج2 ص63 عنه، وتهذيب الكمال ج11 ص454 و 455.

(2) تنقيح المقال ج2 ص63 والملهوف لابن طاووس ص153 ومستدركات علم رجال الحديث ج4 ص137.

(1) راجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج8 ص99 وعمدة القاري ج24 ص208

وقال العسقلاني: «لعله سأله شيئاً من مال الله، فلم يرَ أن يعطيه لتخلفه عن القتال معه، وأعطاه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر .. وكأنهم لما علموا أن علياً لم يعطه شيئاً عوضوه من أموالهم من ثياب ونحوها، قدر ما تحمله راحلته التي هو راكبها»(1).

ونقول:

بعد أن بويع أمير المؤمنين، وكان طلحة والزبير من السباقين لبيعته «عليه السلام»، على أمل أن يجدوا عنده المزيد من الحظوة والمكانة، والإثرة، ونفوذ الكلمة.. فتكون لهما، ولكل من يحبون العطاءات، والإمتيازات، والولايات، والأموال، والإقطاعات.. فوجدا أنه «عليه السلام» لا يحيد قيد شعرة عن نهج وتوجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحكم والسياسة، والسلوك، والموقف، وكل شيء..

وقد ذكرنا في هذا الكتاب، وفي كتابنا: «الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»: أنه أرجع الناس في عطاءات بيت المال إلى ما كان على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مصرحاً لهم: بأنه لم يجد لبني إسماعيل فضلاً على بني إسحاق»(1).

والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص71 وتاريخ مدينة دمشق ج8 ص82 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص63 وذخائر العقبى ص137.

(1) فتح الباري ج13 ص58 و 59 وراجع: أعيان الشيعة ج1 ص580.

(1) راجع: الغارات للثقفي ج1 ص70 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص141 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص349 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص183

فثارت ثائرة طلحة والزبير ومن هم على شاكلتهما من طلاب الدنيا، من العرب وقريش، وأعلنوا الإعتراض والطعن عليه، ونكثوا بيعته، وجمعوا الجيوش لحربه.

وطالبه طلحة والزبير بولاية البصرة لأحدهما، والكوفة للآخر فرفض ذلك[1]، فتوجهوا بجيوشهم إلى البصرة في العراق، وفعلوا الأفاعيل.

فتوجه أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى العراق، ومعه الحسنان «عليهما السلام».. لكفِّ شرهما، فكانت حرب الجمل.

المتخلفون عن علي ×:

وقد تخلف عن أمير المؤمنين «عليه السلام» جماعة، فمنعهم «عليه السلام» من العطاء وقد كتب إلى واليه بالمدينة: «لا تعطين سعداً ولا ابن عمر من الفيء شيئاً، فأما أسامة بن زيد، فإني قد عذرته في اليمين التي كانت عليه»[1].

والكافي ج8 ص69 وحياة الصحابة ج2 ص112 عن البيهقي، وبحار الأنوار ج32 ص134 وج41 ص137 والغدير ج8 ص240 وبهج الصباغة ج12 ص197ـ 207 عن بعض من تقدم، وعن مصادر أخرى. وفي هامش الغارات عن: وسائل الشيعة (ط أمير بهادر) ج2 ص431 وعن ثامن بحار الأنوار ص739 وراجع: المجموع للنووي ج19 ص385 ونيل الأوطار ج8 ص235 وشرح أصول الكافي ج11 ص424 وحلية الأبرار ج2 ص358 وجامع أحاديث الشيعة ج19 ص336 ونهج السعادة ج1 ص198 وكنز العمال ج6 ص611.

(1) بحار الأنوار ج32 ص24 و 25 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص576 و (ط دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه) ج11 ص17.

(1) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص197 و 198 ورجال ابن داود ص48 والتحرير الطاووسي ص74 ومستدرك الوسائل ج16 ص79 ومستدرك سفينة

فقد ذكر المفيد «رحمه الله»: أن أسامة زعم أنه عاهد الله تعالى أن لا يقاتل مسلماً، وذلك لأنه أهوى برمحه إلى رجل (يهودي، كما في بعض الروايات) في عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: لا إله إلا الله، فشجره بالرمح فقتله.

فبلغ النّبيّ «صلى الله عليه وآله» خبره، فقال: يا أسامة، أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلَّا الله؟!

فقال: يا رسول الله، إنّما قالها تعوّذاً.

فقال: «ألا أشفقت عن قتله»، ألا شققت عن قلبه؟![1]. وهو تصحيف ظاهر.

وبعدما تقدم نقول:

أولاً: يبدو لنا: أن أسامة لم يلتفت إلى حقيقة: أن الجهاد من العبادات الراجحة، أو الواجبة، التي لا ينعقد النذر، ولا يصح عهد الله تعالى على تركها، حيث يشترط في متعلق النذر والعهد: أن لا يكون متعلقه مستحباً، أو واجباً.

البحار ج1 ص136 ونقد الرجال للتفرشي ج2 ص304 والدرجات الرفيعة ص445.

(1) الجمل للمفيد ص45 و 46 وراجع: بحار الأنوار ج21 ص11 وج22 ص93 وتفسير القمي ج1 ص148 وكنز الدقائق (تفسير) ج3 ص509 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص535 وراجع: شعب الإيمان للبيهقي ج4 ص338 و 339 ومسند أحمد ج4 ص439 وتفسير ابن أبي حاتم ج12 ص466 وأحكام القرآن للجصاص ج2 ص309 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص322 والإحكام لابن حزم ج6 ص812 والمغازي للواقدي ج2 ص725 وتاريخ جرجان ص472 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج5 ص238 وإمتاع الأسماع ج1 ص329 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص435.

ثانياً: كما أنه «رحمه الله»، لم يكن ملتفتاً: إلى أن نذر هذا الأمر.. لو صح ومارسه أكثر الناس، لأنتج تلاشي هذا الدين، وذهب عز المسلمين، وتسلط الأشرار والمفسدون على البلاد والعباد، واستأصلوا شأفة أهل الايمان، وضاعت جهود الأنبياء، والأولياء، والأخيار، وذهبت تضحيات الشهداء، وجهود العلماء سدى.

ثالثاً: إنه «رحمه الله» قد لا يكون ملتفتاً إلى أن مَن نص القرآن والنبي على إمامته وعلى أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، يكون أمره بفعل شيء مبطلاً لما تعلق به من نذر أو عهد، أو يمين، فكيف إذا كان في نفسه مستحباً أو واجباً أيضاً، كالجهاد دفاعاً عن الإمام المنصوب من قبل الله ورسوله، ومنعاً للأشرار من هتك الحرمات، واستباحة المحرمات؟!

رابعاً: لقد غاب عن بال أسامة: أن مال بيت المال، لا يعطى للناس جزافاً، بل يعطى لمن جاهد عليه، لا لمن قعد عن نصرة الإمام والدين والحق.. وقد روي عن عروة بن الزبير: ان أسامة كتب إلى علي «عليه السلام» أن يبعث إليه بعطائه، فكتب إليه علي «عليه السلام»: إن هذا المال لمن جاهد عليه، ولكن لي مالاً في المدينة فأصب منه ما شئت[1].

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص102 والغارات للثقفي (ط الأولى) ج2 ص577 وبحار الأنوار ج28 ص153 وج94 ص58 وج100 ص58 وج21 ص65 ونهج السعادة ج4 ص127 وميزان الحكمة ج4 ص2996 والدرجات الرفيعة ص445 وتاريخ المدينة ج3 ص1139 ومستدرك الوسائل ج11 ص97 وتكملة الرجال ج1 ص174.

خامساً: إن أسامة هو الذي عاهد الله تعالى على أن لا يقاتل مسلماً.. فأوقع نفسه في المحذور، فعليه أن يبحث هو عن مخرج لنفسه..

أما الخليفة، فيجب عليه أن يجري أحكام الله، ويدعو الناس إلى الجهاد، فمن استجاب له يعطيه، ومن امتنع لأي سبب كان، فإنه يكون هو الذي حرم نفسه، وسوء فعل شخص بإيقاعه نفسه في المحذور لا يحتم على شخص آخر أن يخالف أحكام الله، ويتصرف في أموال الناس، بما لا يرضاه الله..

من أجل ذلك نقول:

إن العقل والحكمة كانت تقتضي: أن يبحث أسامة عن حل للمعضلة التي هو فيها، لا أن يتخذ القرار بالإعتزال.. ولو أنه عرض قضيته على علي «عليه السلام»، وطلب منه أن يهديه إلى الحل، لوجد عنده بغيته، فإنه باب مدينة علم الرسول «صلى الله عليه وآله».. وهو مع الحق والقرآن، والحق والقرآن معه.

سادساً: لو جاز هذا العهد، أو النذر، لحمل معه معنى الإلغاء للآيات التي توجب قتال البغاة، كما في آيات سورة الحجرات.. ولم يبق لقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية» أثر.. لاسيما إذا شاع وذاع، وعكف الناس على النذر والعهد بصورة عملية، لم تكد تجد مَن يحارب البغاة، ويدفع شرهم عن الإمام والإمامة والإسلام.

سابعاً: لست أدري كيف، وما هو موقف أسامة من قوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾؟![1].

---

(1) الآية 59 من سورة النساء.

ثامناً: لا أدري إن كان عهد أسامة هذا قد بدَّل الحق، وجعله باطلاً، ولم يعد لقول النبي «صلى الله عليه وآله»: «علي مع الحق والحق مع علي»[1]، معنى، لأن عهد أسامة أوجب حرمة نصرة الحق.

وهل عهد أسامة أخرج علياً عن أن يكون مع القرآن، ليصبح «عليه السلام» ضد القرآن؟!

وإذا صح هذا، فكيف سيكون مآل ومصير آية التطهير أيضاً؟!

تاسعاً: إن أسامة إن كان يعتقد بإمامة غير علي ـ كمعاوية مثلاً ـ فلا كلام لنا معه، لأنه يصبح محارباً، فضلاً عن كونه ناكثاً للبيعة.

وإن كان يرى: أن علياً «عليه السلام» هو الإمام، فالإمامة تفرض طاعة أوامر الإمام، وجهاد عدوه.. فعدم طاعة أمر إمامه، وعدم إعلانه الحرب عليه تثير لدينا احتمال أن يكون هدفه هو تجنب مخاصمة عدوه أيضاً، مع الإستفادة الشخصية من حكومة علي عليه فيما يرتبط بالأموال وغيرها من الإمتيازات.

عاشراً: قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر أسامة أن لا يقاتل مسلماً، فإنما هو تفرد في روايته[1].

حادي عشر: لو سألنا أسامة: عن أنه إذا هاجمه عدو له يظهر الإسلام يريد قتله، هل يقاتله أسامة؟! وماذا يفعل في صورة توقف دفعه عن نفسه على

---

(1) الفصول المختارة للشيخ المفيد ص97 وبحار الأنوار ج10 ص431 و432 وج38 ص357 و 358.

(1) الجمل للمفيد ص45.

قتله؟!

أم أنه يتركه وشأنه، ليفعل به ما يشاء، استناداً إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره أن لا يقاتل مسلماً؟!

وعلى هذا نقول:

إن نهي النبي «صلى الله عليه وآله» عن قتال المسلم، إنما يريد به المسلم غير المحارب، وغير الخارج على إمامه، الذي أمره الله تعالى بطاعته، ونصرته، فكيف إذا كان قد بايعه أيضاً، وقد جاء لحربه ناكثاً لبيعته؟!

سماحة وطاعة:

وقد رأينا:

أولاً: أن علياً «عليه السلام» في نفس الوقت الذي منع أسامة من عطائه، لأن هذا المال لمن جاهد عليه، قد أرفق هذا المنع بقوله: «ولكن لي مالاً بالمدينة فأصب منه ما شئت».

ثانياً: ذكرت الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها: أن الحسنين «عليهما السلام» وابن جعفر «رحمه الله» أرسلوا إلى أسامة مالاً وقد أوقروا له راحلته بما تيسَّر من المتاع والثياب، والأرزاق التي توفرت لديهم.

وهذه المبادرة من الحسنين وابن جعفر تثلج صدر علي «عليه السلام»، لأنها منسجمة مع أخلاقه وقيمه، بدليل أن علياً نفسه، قد فوَّض لأسامة أن يأخذ من ماله بالمدينة ما يشاء..

وهذا كرم وتفضل وسماحة منهم، فهم قد التزموا بحفظ مال بيت المال لمستحقيه، وبذلوا أموالهم حتى لمن قعد عن نصرتهم، ولم يقم بفروض البيعة

التي كان قد أعطاها، والتزم هو وألزمه الله بالوفاء بها.. متعللاً بفهم خاطئ لما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» له، حين ألقى أحدهم إليه السلم، فلم يقبله منه، وقتله.. زاعماً أنه إنما أسلم متعوذاً، وقد أنزل الله تعالى فيه: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا**﴾[1].

وإنما عَذَره «عليه السلام» في هذه اليمين التي كانت عليه[2]، لأنه لم يلتفت ـ فيما يظهر ـ إلى الحكم الشرعي حسبما بيناه.

أسامة رجع إلى الحق:

وقد روي عن أبي جعفر أنه قال: ألا أخبركم بأهل الوقوف؟!

قلنا: بلى.

قال: أسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر مات منكوثاً[1].

ولعل الصحيح: ماتا ناكثين.

علي يستشير ولديه!!:

قالوا: إن علياً «عليه السلام» قد ولَّى قيس بن سعد بلاد مصر بعد قتل عثمان والبيعة له «عليه السلام»، وقد كتب له العهد عليها في اوائل شهر صفر.. فسار إليها، ثم عاد إليه فحضر حرب الجمل، ثم رجع إلى أن عزله بمحمد بن أبي بكر في غرة شهر رمضان المبارك.

---

(1) الآية 94 من سورة النساء.

(2) راجع: رجال الكشي ص39.

(1) المصدر السابق.

وقد ثقل أمر قيس في مصر على معاوية.. وخاف أن يقبل علي إلى الشام بأهل العراق، ويقبل قيس بأهل مصر، وفي ذلك هزيمته وبواره، فجرت بينه وبين قيس مراسلات.. ظهر فيها عجز معاوية عن مجاراته..

ثم أشاع معاوية في أهل الشام: أن قيساً قد بايعه، وقرأ عليهم كتاباً مكذوباً على لسان قيس في ذلك.

فبعثت عيون علي بذلك إليه «عليه السلام».

فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره، وتعجب له، ودعا بابنيه: الحسن والحسين، وابنه محمداً .. ودعا عبد الله بن جعفر، فأعلمهم بذلك، وقال: ما رأيكم؟!

فقال عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، اعزل قيس بن سعد عن مصر.

فقال لهم: إني والله ما أصدق هذا عن قيس.

فقال له عبد الله بن جعفر: اعزله يا أمير المؤمنين، فوالله إن كان ما قد قيل حقاً لا يعتزلك إن عزلته.

قال: وإنهم لكذلك إذ أتاهم كتاب من قيس بن سعد فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فإني أخبر أمير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ أن قبلي رجالاً معتزلين سألوني أن أكف عنهم، وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس، فنرى ويرون. وقد رأيت أن أكف عنهم، وألا أعجل، وأن أتألفهم فيما بين ذلك، لعل الله أن يقبل بقلوبهم، ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله.. والسلام.

فقال له عبد الله بن جعفر: ما أخوفني يا أمير المؤمنين أن يكون هذا مما

اتهم عليه، إنك إن أطعته في تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة، وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها، ولكن مره بقتالهم.

فكتب إليه علي «عليه السلام»:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد.. فسر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون، وإلا فناجزهم.. والسلام.

فلما أتى قيس بن سعد الكتاب، فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى أمير المؤمنين:

أما بعد يا أمير المؤمنين، فالعجب لك تأمرني بقتال قوم كافين عنك، ولم يمدوا إليك يداً للفتنة، ولا أرصدوا لها، فأطعني يا أمير المؤمنين وكف عنهم، فإن الرأي تركهم يا أمير المؤمنين.. والسلام.

فلما أتاه هذا الكتاب قال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين، ابعث محمد بن أبي بكر إلى مصر يكفك أمرها، واعزل قيساً، فوالله لبلغني أن قيساً يقول: إن سلطاناً لا يتم إلا بقتل مسلمة بن مُخَلَّد لسلطان سوء، والله ما أحب أن لي سلطان الشام مع سلطان مصر، وأني قتلت ابن مخلد.

وكان عبد الله بن جعفر أخاً لمحمد بن أبي بكر لأمه، وكان يحب أن يكون له إمرة وسلطان[1].

(1) الغارات للثقفي ج1 ص214 ـ 219 وراجع: الدرجات الرفيعة ص338 ـ 340 وأعيان الشيعة ج8 ص454 وبحار الأنوار ج33 ص536 ـ 539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص60 ـ 63 وراجع: أنساب الأشراف ص390 ـ 392 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص554 ـ 555.

ونقول:

1 ـ تحدثنا في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج35 عن قيس، وما جرى له مع معاوية.. وما بثه معاوية من شائعات ودسائس أثار بها أجواء موبوءة ضد قيس بن سعد، عند أهل العراق، مستعيناً ببعض مرضى القلوب من رؤساء القبائل في العراق، كالأشعث بن قيس وغيره..

فمن أحب الوقوف على بعض ما جرى، فليراجع ذلك الكتاب، لاسيما فصل، نصب العمال، وعزل قيس.

2 ـ إننا سوف نقتصر في كلامنا هنا على موضوع سؤال علي «عليه السلام» أبناءه الثلاثة، «عليهم السلام»، وعبد الله بن جعفر «رحمه الله» عن رأيهم فيما أشاعه معاوية عن قيس، فنشير إلى ما يلي من أمور:

ألف: رأينا أنه «عليه السلام» دعا بأبنائه الثلاثة، وعبد الله بن جعفر ليسألهم عن رأيهم، ولم يدع غيرهم كعمار بن ياسر، أو ذي الشهادتين، أو الأشتر مثلاً.. فلماذا اقتصر على خصوص هؤلاء الذين هم من أمسّ الناس به رحماً.. دون غيرهم؟!

ب: فلماذا اقتصر على دعوة الشباب؟! إن هؤلاء كانوا في عنفوان شبابهم، وحول علي «عليه السلام» من الرؤساء والشيوخ من ذوي التجربة، والرأي والعقل والإخلاص له الكثيرون.

ج: إن التاريخ لم يذكر لنا شيئاً قاله الإمامان الحسن والحسين «عليهما السلام» وأخوهما محمد، حتى ليبدو لنا أنهم قد بقوا ملتزمين الصمت، إذ من البعيد أن يكون أي من هؤلاء الثلاثة قد قال شيئاً، ولم يشر إليه الرواة ولو بكلمة.

والشخص الوحيد الذي أبدى رأيه بجرأة، وأصر عليه، هو: عبد الله بن جعفر. وبقي يذكِّر برأيه هذا ويستدل عليه، موجهاً كلامه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» في أكثر من فرصة سنحت له بعد هذه الجلسة أيضاً!!

فهل كان ابن جعفر منزعجاً من قيس؟!

أو كان له معه خصومة، وله منه موقف؟! أم أن الأمر لم يكن بهذه الصورة، ولم يبلغ إلى هذا الحد؟!

هـ: هل كان أمير المؤمنين يحتاج إلى رأي أحد؟! مع أنه قاطع في أمر قيس، فهو يقسم أنه لا يصدق ذلك عن قيس.

3 ـ وربما أمكن الجواب عن ذلك على النحو التالي:

أولاً: إن عزل ونصب العامل هو من شؤون الإمام، فهو الذي يتولاها، ولا يشرك أحداً معه فيها، ولو أشرك أحداً من سائر الناس في هذا الأمر الذي يكثر التشوق له، والتنافس فيه، والتحاسد عليه، فإن الأمور سوف تتعرض للإختلال، وللتشويش، ولربما تنجرّ إلى المزيد من التباعد والتباغض، والكيد بين الناس.

ولو أن علياً «عليه السلام» اختار لهذا الأمر أتقى الناس، فإن ذلك لا يدفع المحذور المتمثل في توثب غير الأتقياء أيضاً لهذه المشورة، ويدفعهم ذلك إلى إثارة المشاكل والبلبة لكي يصلوا إلى ما يريدون.

فاقتصاره «عليه السلام» على طلب إبداء الرأي من الأبناء، أو من ابن الأخ، وعدم إدخال غيرهم في ذلك يؤكد ما أشرنا إليه.

ثانياً: إن طلبه «عليه السلام» من هؤلاء الأربعة إبداء رأيهم، لا يعني

أنه بحاجة إليه، فهناك اعتبارات أخرى قد تفرض على الإمام أن يبادر إلى ذلك..

وربما كان من هذه الاعتبارات: أن تكون مناسبة لاستخراج دخيلة ابن جعفر على الخصوص، ويكون حضور أبنائه لأجل تبرير استحضار ابن جعفر، الذي سرعان ما بادر إلى إبداء رأيه الذي بقي مصراً عليه، والذي ينطلق من رغبته في أن تكون لأخيه لأمه (أسماء بنت عميس) محمد بن أبي بكر إمرة وسلطان[1].

ربما لأجل علاقة الأخوة بينهما من جهة، ولأجل أن كونه ابن أبي بكر قد يمنحه درجة من التأثير، والنجاح في ضبط الأمور في مصر، ولغير ذلك من اعتبارات.

ثالثاً: إننا في مجمل الأحوال نقول:

إن قيساً كان من المخلصين الأوفياء لأمير المؤمنين «عليه السلام»، والذي فرض على أمير المؤمنين عزله هو موقف أهل الكوفة، فقد ذكروا: أن معاوية وعمرو بن العاص قالا: إنَّا لا نطيق مكر قيس، ولكن نمكر به عند علي، فبعثا بكتابه الأول إلى علي «عليه السلام»، فلما قرأه قال أهل الكوفة: غدر والله قيس، فاعزله.

---

(1) الغارات للثقفي ج1 ص214 ـ 219 وراجع: الدرجات الرفيعة ص338 ـ 340 وأعيان الشيعة ج8 ص454 وبحار الأنوار ج33 ص536 ـ 539 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج 6 ص60 ـ 63 وراجع: أنساب الأشراف ص390 ـ 392 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج3 ص554 ـ 555.

فقال علي «عليه السلام»: «ويحكم، أنا أعلم بقيس، إنه والله ما غدر، ولكنها إحدى فعلاته».

قالوا: «فإنَّا لا نرضى حتى تعزله».

فعزله، وبعث مكانه محمد بن أبي بكر.

والمراد بكتاب قيس الأول: الكتاب المبهم الذي أرسله قيس إلى معاوية لكي يطاوله فيه، ويصرفه عن بعض ما كان قد عزم عليه.

الأنوار الخمسة:

سأل أحدهم الإمام علياً «عليه السلام» في رحبة الكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بالمكان الذي أنزلك الله، وأبوك معذب في النار؟!

فقال له: مه، فض الله فاك!! والذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم! أبي معذب في النار، وابنه قسيم الجنة والنار؟!

ثم قال: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلق إلا خمسة أنوار: نور محمد، ونوري، ونور فاطمة، ونور الحسن والحسين، ومن ولدته من الأئمة، لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بألفي عام[1].

---

(1) الأمالي للطوسي ص305 و 702 والمحاسن ص4 حديث2 والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص95 و 96 و (ط دار سيد الشهداء ـ قم) ص74 وبحار الأنوار ج35 ص69 و 110 والإحتجاج ج1 ص546 و (ط دار النعمان) ج1

ونقول:

في هذا النص أمور عديدة نلمح إليها بإيجاز شديد، هي:

1 ـ إن هذا الرجل قد ضمَّن سؤاله أمراً مكذوباً، أريد منه النيل من أبي طالب «عليه السلام».. وقد أورده بطريقة توهم أنه حقيقة مسلمة لا ريب فيها، وهو: أن أبا طالب يعذَّب في النار.

مع أنه لا مبرر لذكر أبي طالب «عليه السلام» في سؤال كهذا.. فإنه لا ربط بين مقام شخص وعظمته في العلم وفي الدين، وفي الفضائل، وفي السياسة والسيادة، وبين موقع أبيه، أو أخيه، أو ابنه في الآخرة، فإن مكان الشخص في الآخرة مرهون بعمله.. وليس مرهوناً بمقام أي من أقاربه..

فهذه الصياغة للسؤال تشي: بأن المطلوب هو استفزاز علي «عليه السلام». وتكريس الفرية على أبي طالب «عليه السلام»، والحط من مقام أمير المؤمنين

ص340 وكنز الفوائد ج1 ص183 و (ط2 سنة 1369 هـ ش) ص80 وكشف الغمة ج2 ص83 و (ط دار الأضواء) ج2 ص42 والغدير ج7 ص387 وبشارة المصطفى ص202 و (ط مركز النشر الإسلامي) ص312 وماءة منقبة لابن شاذان ص153 وخاتمة المستدرك ج5 ص20 ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص174 وكنز الفوائد ص80 والعقد النضيد والدر الفريد ص30 والصراط المستقيم ج1 ص336 والصافي (تفسير) ج4 ص97 والدرجات الرفيعة ص50 والبرهان (تفسير) ج3 ص231 و (ط مؤسسة البعثة) ج4 ص192 وكنز الدقائق (تفسير) ج9 ص517 وتأويل الآيات ج1 ص396 ـ 397 وغاية المرام ج1 ص163 وج2 ص293 والدرجات الرفيعة ص50 وإيمان أبي طالب للشيخ الأميني ص78.

«عليه السلام» في نظر الناس.

وربما كان ذلك الشخص مدسوساً من قبل بعض أعداء علي «عليه السلام».

فكان لا بد من مواجهة ذلك الرجل بحزم وشدة، ليرتدع هو ومن وراءه، وكل من تسول له نفسه إلقاء الشبهات والأضاليل، والعمل على تشويه الحقائق في نظر الناس، والسعي لإفساد عقائدهم، وإيجاد الحواجز بينهم وبين رموز الدين، وحماته، والمجاهدين، والمضحين في سبيله بكل غال ونفيس، ونزع صفة الأسوة والقدوة، من أمثال أبي طالب «عليه السلام».

ولأجل عظم الجرم الذي ارتكبه ذلك الرجل، قال له «عليه السلام»: مه، فض الله فاك.

2 ـ إنه «عليه السلام» قد أعلن أمرين:

أولهما: أن نور أبي طالب يطفئ أنوار الخلائق بما فيهم الأنبياء والمرسلون والأوصياء، والصديقون، والشهداء، باستثناء خمسة أنوار.

فدل بذلك على أنه «عليه السلام» أفضل من جميع الذين تطفأ أنوارهم.

وهذا ينافي ما تقدم من حديث السبعة الذين هم من أفضل الخلق، ولم يذكر أبو طالب فيه، لأن ذلك الحديث يقول في أوله: سبعة هم من أفضل الخلق الخ.. فهو يتحدث عن أشخاص هم جزء من جماعة تكون أفضل الخلق.. ولعل فيها الأنبياء والمرسلين، والأئمة الطاهرون.. ولعل فيها من هو أفضل من بعضها الآخر، ومن هو يطفئ نوره أنوار الخلائق كلهم، بما فيهم باقي الجماعة الذين هم من الأفضل..

وعدم ذكر الزهراء «عليها السلام» في حديث السبعة.. ربما كان لأنه إنما

يتحدث عن خصوص الرجال.

الثاني: إن هذه الأنوار الخمسة التي لا تطفأ هي لمن هم أيضاً أفضل من جميع الخلق.

وهذه الحقيقة تفرض على الخلق التعلق بهم، وأبو طالب معهم، وتلزمهم بأن يمحضوه الولاء، وللخمسة معه، وضرورة الإقتداء بهم، والإهتداء بهديهم.

3 ـ إن إطفاء نور الخلائق بنور أبي طالب إنما هو للتنويه بعظيم مقامه، وباسق فضله، الذي حاول أعداء الله ورسوله إطفاءه في الدنيا.. بشبهاتهم وأضاليلهم، وتبعهم على ذلك الجاهلون، والغافلون.

4 ـ وقد علل «عليه السلام» عدم إطفاء نور أبي طالب لأنوار الخمسة: بأن نوره «عليه السلام» من نورهم، فهو وإياهم حقيقة واحدة.. أي أن نوره صار بهذه المثابة، لأنه من نورنا، ونورنا له هذه الخصوصية، وهي: أنه يطفئ أنوار الخلائق..

5 ـ إذا كان نور أبي طالب يطفئ كل نور يوم القيامة ما عدا أنوار الخمسة، فأي حاجة له إلى شفاعة ابنه؟! فكيف إذا كان أبو طالب له من المنزلة ما لو شفع «عليه السلام» بالخلائق كلهم لشفَّعه الله تعالى فيهم؟!

6 ـ إذا كان ابن أبي طالب قسيم الجنة والنار يوم القيامة، ويستطيع أن يوصل أباه إلى الجنة، فلماذا لا يبادر إلى ذلك؟! إلا إذا فرض أنه ليس باراً بأبيه!! ومن كان مقصراً في أداء حق الأبوة، كيف يجعله الله قسيم الجنة والنار، وهو مقام لا يستحقه إلا صفوة الخلق المعصومون المطهرون؟!

عصمة الأئمة ^:

وقالوا:

أتت امرأةٌ محجَّ أميرَ المؤمنين «عليه السلام»، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني زنيت، فطهرني طهرك الله..

إلى أن تقول الرواية: فأمر أن يحفر لها حفيرة، ثم دفنها فيها.. ثم ركب بغلته، وأثبت رجله في غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبابتين في أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته:

«يا أيها الناس، إن الله تعالى عهد إلى رسوله «صلى الله عليه وآله» عهداً عهده محمد «صلى الله عليه وآله»: بأنه لا يقيم الحد من لله عليه حد.

قال: فانصرف الناس يومئذٍ كلهم ما خلا أمير المؤمنين، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، فأقام هؤلاء الثلاثة عليها الحد»[1].

ونقول:

1 ـ إن هذه الرواية صريحة في اختصاص العصمة عن الذنوب الكبيرة الموجبة للحد بهؤلاء الثلاثة، وهم علي والحسن والحسين «عليهم السلام».

وقد رأينا: أن جميع الذين حضروا هذا الحدث قد أقروا ـ بانصرافهم عن المشاركة في إجراء الحد على تلك المرأة ـ بارتكاب أمثال هذه الذنوب، رغم أن هذا الأمر عرَّضهم لإهانة، بل لفضيحة كبيرة.

---

(1) المحاسن للبرقي ج2 ص310 والكافي ج7 ص186 وتهذيب الأحكام ج10 ص9 وج6 ص337 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج28 ص103 و (الإسلامية) ج18 ص378 والمقتصر من شرح المختصر لابن فهد الحلي ص403 وبحار الأنوار ج40 ص290 وج76 ص45 ومرآة العقول ج23 ص282 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص32.

كما أننا لم نجد أحداً منهم اعترض، أو سجل تحفظاً على أي من الذين أجروا الحد على تلك المرأة، مع أن بعض من حضر قد يكون حريصاً، ولو على إثارة شبهة، مهما كان حجمها، حول عصمة وطهارة خصوص هؤلاء الصفوة.. ولعل تصريح القرآن الكريم الحاسم بطهارتهم «صلوات الله وسلامه عليهم» هو الذي عرفهم بأن هذه الفرية سوف تخرجهم من الدين جهاراً نهاراً، لما فيها من تكذيب للقرآن، وليس هذا من مصلحتهم.

2 ـ لعل هذا الإجراء الذي اتخذه علي «عليه السلام» بحصر من سيسمح له بالمشاركة في إقامة الحدّ على تلك المرأة في دائرة من ليس في جنبه حدّ يهدف إلى:

أولاً: التنويه بثبوت حقيقة العصمة والطهارة في الأئمة «صلوات الله وسلامه عليهم»، لأن ذلك يؤثر على طبيعة علاقة الناس بهم، وتعاملهم معهم، وعلى درجة الإخلاص، والرغبة في نصرتهم، والتفاني في الدفاع عن الدين وأهله بقيادتهم وتحت رايتهم.

ثانياً: هو تكريم لهذه المرأة التي يراد إجراء الحد عليها، وإبعاد نظرات الإزدراء والتحقير عنها، حيث بادرت إلى الإقرار طوعاً طالبة تطهيرها من ذنبها، بموت سيكون بوسيلة تجعله من أقسى الأنواع في آلامه الجسدية، وهو أيضاً يقترن بما هو أشد وأقسى على الروح والنفس من حيث مساسه، بمعنى العزة والشرف، والكرامة.. لكي تعود بعد هذا الإختبار القاسي والمرير طاهرة نقية كيوم ولدتها أمها، الأمر الذي يجعلها أهلاً لهذا التكريم، ومستحقة للعفو والرعاية من الرب الغفور الرحيم.

ثالثاً: حث الناس على تربية نفوسهم، وعدم الإنقياد إلى أهوائهم وشهواتهم،

وتعريف الناس بتقصيرهم في حق أنفسهم، وإن عدم اكتراثهم بإزالة آثار ذنوبهم يعرضهم لخطر كبير.

3 ـ يلاحظ: أن الإمام «عليه السلام» لم يسألها عن الطرف الآخر الذي ارتكب معها ذلك الذنب العظيم، فضلاً عن أن يبحث عنه، ويجري عليه ما يستحقه من عقوبة.. ربما لأن إقرارها لا يثبت ذلك عليه، ويكفي في دفع العقوبة إنكار هذا الأمر، فالسؤال عنه، واتخاذ أي إجراء في حقه، لا ينتج سوى التشهير به، وهتكه من دون حجة ودليل..

4 ـ إن ما ذكره علي «عليه السلام»، من أن الله تعالى عهد إلى رسوله «صلى الله عليه وآله»: أن لا يقيم الحدَّ من لله في جنبه حدٌّ، هو فيما يبدو من خصائص مقام النبوة والإمامة، ولا يتعداهم إلى غيرهم من القضاة والحكام. وإلا لأدَّى ذلك إلى تعطيل الحدود، وانفلات الأمور.. ولاسيما في زمن الغيبة للإمام الثاني عشر، التي أخبر النبي والأئمة «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» عنها مسبقاً.

ولعل سبب هذا العهد للأنبياء والأئمة «صلوات الله وسلامه عليهم»: هو حثُّ الناس على تطهير أنفسهم، وتحديد الهدف الأقصى للإنسان المسلم والمؤمن، في بذل الجهد في تربية نفسه، والإيحاء: بأن عليهم أن يبلغوا في سعيهم لرعاية أحكام الله هذا المستوى من الإنضباط والرقي، والسلامة من الذنوب.

كما أن من يكون في جنبه حدٌّ إذا شارك في إجراء الحدّ على غيره قد أدرك أنه ليس له أن يحتقر من يجري الحد عليه، بل عليه أن يعيش روح الندم والحسرة على نفسه بسبب ما فرط منه، وارتكبه من ذنوب.

قبل قرار الحرب:

وبعد حرب الجمل كانت هناك مكاتبات بين أمير المؤمنين «عليه السلام» وبين معاوية أظهرت أن معاوية مصمم على محاربة أمير المؤمنين «عليه السلام».

وكان للحسن والحسين «عليهما السلام» حضور، أو ذكر في تلك المراسلات بنحو أو بآخر..

ونذكر من ذلك ما يلي:

أبو الحسن، وأبو الحسين:

1 ـ قالوا: إن معاوية كتب إلى علي «عليه السلام» يتهدده ويتوعده بالحرب، فأجابه «عليه السلام» ـ حسب نص المفيد ـ بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد .. يا معاوية، فقد كذبت. أنا علي بن أبي طالب، وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدك، وخالك، وأبيك الخ ..»[1].

(والظاهر أن الصحيح: «وأخيك»، بدل أبيك، وقد صحف ذلك الناسخ، أو الراوي).

وحسب نص البستي ـ كتب إليه ـ:

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(1) الإختصاص ص138 وبحار الأنوار ج33 ص286 وشجرة طوبى ج1 ص105 ونهج السعادة للمحمودي ج4 ص80 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص225.

من عبد الله، وابن عبده علي بن أبي طالب، أخي رسول الله، وابن عمه، ووصيه، ومغسِّله، ومكفِّنه، وقاضي دينه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان..

أما بعد.. فإني أفنيت قومك يوم بدر، وقتلت عمك، وخالك، وجدك.. والسيف الذي قتلتهم به معي الخ ..»[1].

وحسب نص آخر لهذه الرسالة: «وأنا أبو الحسن والحسين، قاتل جدك، وخالك، وأبيك الخ..»[2].

سيد شباب أهل الجنة:

وجاء في الكتاب الذي أرسله «عليه السلام» إلى معاوية مع رسول معاوية إليه، أبي مسلم الخولاني ـ حسب النص الذي ذكره الشريف الرضي ـ ما يلي:

«ومنا النبي، ومنكم المكذب، ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيدا شباب أهل الجنة، ومنكم صبية النار الخ..»[3].

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص289 ح550 وشجرة طوبى ج1 ص105 ونهج السعادة للمحمودي ج4 ص82.

(2) الإختصاص ص138 وبحار الأنوار ج33 ص286.

(3) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص30 ـ 35 الكتاب رقم 28 وراجع: الإحتجاج ج1 ص417 ـ 425 ونهج السعادة ج4 ص19 وراجع: الفصول المختارة ج2 ص233 والعقد الفريد ج4 ص335 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي سنة 1416هـ) ج2 ص289 والفتوح لابن أعثم ج2 ص474 ـ 475 و (ط الأضواء) ج2 ص559 وبحار الأنوار ج33 ص57.

أنا أبو الحسن حقاً:

وفي رسالة له «عليه السلام» أرسلها إلى معاوية، في صفين يطلب فيها مبارزته يقول:

«..فإن كنت صادقاً فيما تنتظر [تسطر]، وتصدر، ويعينك عليه الأبتران، واصبر على مبارزتي، واعف الناس على (لعل الصحيح: عن، أو من) القتال، لتعلم أيُّنا الشاك الران (الرائن) على قلبه، المغطى على بصره.

فأنا أبو الحسن حقاً! قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوي. والسلام»(1).

الظاهر: أن المراد بالأبترين: عمرو بن العاص، وابنه.

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إفتخار علي بولديه:

إننا قد تكلمنا حول النصوص والرسائل المتقدمة في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، فلا حاجة إلى الإعادة هنا، فنحن نقتصر هنا على ما يلي:

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج2 ص434 و (ط دار الأضواء) ج2 ص536 وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص135 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص427 ونهج السعادة ج4 ص209.

1 ـ تضمنت هذه الروايات: اعتزاز علي «عليه السلام» بولديه الحسن والحسين «عليهما السلام».. فمن يفتخر به علي «عليه السلام»، لا يمكن الإحاطة بحقيقته، وعظمته، وما له من ميزات وصفات، وسمات، أو إدراك حدود ما له من كمالات.

وهذا يشير أيضاً إلى وجود تسالم بين مختلف الفئات على ميزاتهما، وغزارة علمهما، وعظيم فضلهما، وباسق مقامهما.

2 ـ إن هذا الإعتزاز بالحسن والحسين لا يقتصر على علي «عليه السلام»، بل هو ظاهر في العديد من المناسبات التي عبَّر فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا الإعتزاز بهما أيضاً.

3 ـ وقد رأينا: أن رواية البستي وصفتهما بالسبطين، وقالت: «وإلى سبطيه الحسن والحسين».

كما أننا نعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أسبغ عليهما وصف السبط في روايات كثيرة، ومناسبات عديدة، وهذا مقام عظيم لهما.

فإن الأسباط هم أولاد الأنبياء، وفي الروايات: أن الحسن والحسين سبطا هذه الأمة، والأئمة الطاهرون من آل محمد «صلى الله عليه وآله» هم الأسباط المرضيون ـ كما في رواية طارق.

ومن يريد أن يراجع المعجم المفهرس لبحار الأنوار ج13 مادة «سبط» يعرف أهمية وعظمة هذا التوصيف، ويدرك أنه من جلائل الأوصاف، وخفايا الألطاف.. ولهذا البحث مجال آخر.

4 ـ إن ما ذكره «عليه السلام» من أنه هو الذي قتل بسيفه في حرب

بدر عتبة جد معاوية، وشيبة عم معاوية، والوليد خال معاوية، وحنظلة أخا معاوية يدل على أن نسبة قتل بعض هؤلاء لغيره غير صحيحة ولا دقيقة.

الباب الثالث

إلى استشهاد علي ×..

الفصل الأول

إلى صفين..

بداية:

وحين اتخذ القرار بالمسير إلى صفين خطب علي الناس في الكوفة، وأخبرهم بقراره، وحرضهم على النفر للذود عن حياض الدين، والجهاد في سبيل الله.

ثم قام الحسن بن علي «عليه السلام» خطيباً، فقال: الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا يؤدى شكره، ولا يبلغه صفة ولا قول.

ونحن إنما غضبنا لله ولكم، فإنه منَّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه، وبلاءه، ونعماءه، قولاً يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يصدق الله فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيد من ربنا، قولا يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلا اشتد أمرهم، واستحكمت عقدتهم.. فاحتشِدوا في قتال عدوكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر.

ولا تخاذلوا، فإن الخذلان يقطع نياط القلوب، وإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة، لأنه لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة.

والصلح تأخذ منه ما رضيت [به]   والحرب يكفيك من أنفاسها جرع(1)

---

(1) راجع: وقعة صفين للمنقري ص114 و 115 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3

ونقول:

الحرب في كلمات الإمام الحسن ×:

قدَّم الإمام الحسن «عليه السلام» في خطبته بعد الثناء على الله بما هو أهله بياناً شافياً عن أهداف الحرب، وعن الأسلوب الأكثر فعالية فيها، وهو أسلوب الإقدام وتحويل العدو من مهاجم إلى مدافع مسلوب الرغبة في الإقدام، وذلك على النحو التالي:

أهداف الحرب:

فذكر «عليه السلام»:

1 ـ إن في الحرب أداءً لحق الله تعالى بالطاعة والإنقياد والتسليم، وعدم استئثار الإنسان بنفسه، فإنه استئثار بما لا يملك على الخالق والمالك الحقيقي، والدائم الفضل والإنعام..

وشكر ذلك كله إنما يكون بتوظيف هذه الأمانة، وتلك النعم فيما يريد مالكها، وتكريس النعم في حفظ أهداف المنعم. وأما الاستئثار بها عنه، وصرفها وفق الأهواء والشهوات، والموهومات، فهو تضييع لها، وعدوان عليها.

وشكر النعمة وأداء الحقوق إلى أهلها الحقيقيين من موجبات الرضا الإلهي، واستدراج ما هو أكمل وأعلى، وأثمن وأغلى من قِبَله تعالى.. المنعم المتفضل.

ص186 وبحار الأنوار ج32 ص405 و 406 وجمهرة خطب العرب ج1 ص326 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج27 ص139 عن كتاب الحسن والحسين سبطا رسول الله لمحمد رضا أمين (ط دار الكتب العلمية) ص152.

2 ـ إن مجاهدة الناس لمعاوية لا تعني: أنهم يدافعون عن علي وأهل بيته «عليهم السلام»، إذ ليس لعلي وأهل بيته عداوات شخصية مع أحد، ولا تعني أنهم يحاربون معاوية وغيره، لأجل منازعة في سلطان، أو لأجل الوصول إلى شيء من فضول الحطام، ولا لأجل مقام أو جاه، أو حب انتقام من أحد من الناس، بل ما دعاهم إلى اتخاذ قرار الحرب هو:

أولاً: ردع المعتدين على العزة الالهية، والساعين إلى تقويض وتضييع جهود الأنبياء والمرسلين، وتضحياتهم الهادفة لإيصال الخلق إلى كمالاتهم، وإلى السعادة الأبدية.

ثانياً: درء الخطر المحدق بالناس، الذين سيكون نصيبهم من تسلط أولئك الأشرار عليهم سلب دينهم وأخلاقهم، وكراماتهم، وقيمهم، لتكون نتيجة ذلك هي استعبادهم، واستلاب سعادتهم، وتقويض عزهم، وربما خسروا حتى حياتهم ومستقبلهم، ومستقبل أولادهم وذرياتهم، ليتحول من مستقبل كريم وشريف، وسعيد ليصبح مستقبل الذل والهوان، والبؤس والحرمان.

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله: «غضبنا لله ولكم».

لماذا أقدم على الأسنة؟!:

1 ـ إن شرح هذه الخطبة يحتاج إلى وقت وجهد، وقد لا نوفق للكشف عن أكثر ما يرمي إليه «عليه السلام».. ولذا نرى لزاماً علينا: أن نعلن عجزنا عن تحقيق ما نصبو إليه من ذلك، وأننا آثرنا الإقتصار على اليسير من ذلك، فنقول:

2 ـ إن من الكلمات التي شاعت وذاعت عن أمير المؤمنين «عليه السلام»

أنه أمر ولده محمداً في حرب الجمل أن يقدم على الأسنة.

وها نحن نسمع من الإمام الحسن «عليه السلام» قوله، وهو يحرض الناس في الكوفة على النفر للجهاد في صفين: «فإن الإقدام على الأسنة نجدة وعصمة الخ..».

وكلمة الإمام الحسن «عليه السلام» هذه تعطي: أن ما كان يظن من أن علياً «عليه السلام» قد أمر ولده محمداً في حرب الجمل: أن يقدم على الأسنة لم يأت على سبيل المبالغة بهدف تشجيعه، وإثارة الحماس لديه، فقد ظهر: أن مضمونه مقصود بذاته، ولا يقصد به تشجيع شخص بعينه وبصفته رمزاً للجيش لكونه حامل رايته، وليس لأجل أن ظهور ضعفه يجعل الناس يستسهلون التخاذل والإنكفاء. بل هناك أمران آخران أساسيان، يراد لهما: أن يحققا أهدافاً بعينها، وقد أشار إليهما الإمام الحسن بكلمته المذكورة آنفاً، وهما:

الأول: أن الإقدام على الأسنة، واقتحامها أسلوب قتالي يحتاج إليه المجاهدون في سبيل الله، لأن التفاني في القتال، ومواجهة الأسنة بالهجوم والإندفاع القوي يحوِّل الطرف الآخر من مهاجم إلى مدافع، يريد أن يبعد الخطر عن نفسه إلى أبعد من المدى الذي يصل إليه السنان، فإنه حين يرى هذا الإندفاع سيدخل في وهمه أن الخطر بلغ إليه أو كاد. فينشغل بإبعاد نفسه عن الخطر، ويخف ضغطه على الآخرين، من الذين يشتبك معهم، وإن كان قد ضيَّق الخناق عليهم، ويصبح بإمكانهم كسر الطوق، والنهوض للمواجهة بقوة أكثر، وحماسة أكبر.

فيكون الهجوم على الأسنة من المجاهدين من أنجح مفردات نجدة من يحتاجون إلى النجدة من إخوانه، وبعث الرجاء في قلوبهم، ومنحهم فرصة استعادة زمام المبادرة، فالنجدة هي من سمات المجاهدين في سبيل الله، التي

تحقق لهم ما يعجز عنه غيرهم.

الثاني: إن الإقدام على الأسنة يربك العدو، ويصرف همه إلى حفظ نفسه، باحثاً لها عن المسارب والمهارب، ويقلّل من اهتمامه بالبحث عن فرصة أو أن يحدث ثغرة ينفذ منها إلى من يقاتله، لأن الرغبة في الهجوم قد سلبت منه.

وهذا هو معنى العصمة والإمتناع، لأن هذا الإقدام قد جعل المجاهد ومن هم في حوزته، ويتحركون بحركته أكثر أمناً، ولا تختص العصمة والإمتناع بمن أقدم على الأسنة.

وقد أشار الإمام الحسن «عليه السلام» إلى أن سبب حصول هذين الأمرين، أمور ثلاثة، هي التالية:

1 ـ لأنه «لم يمتنع قوم قط إلا رفع الله عنهم العلة»، فإن إزاحتها وتسهيل السبيل إلى الغايات أمر مطلوب، والإزاحة إنما تحصل بهذا الإقدام.

2 ـ «وكفاهم جوائح الذلة»، أي أن ذلك يوجب ردعاً تلقائياً للعدو، ويقعده عن التفكير في الإقدام على ما هو أشرّ وأضر، وأخطر، لأن هذا الخطر لو حصل، فإنه سيجلب المآسي، وسيهتك الحرمات، وقد يجلب المهانة والإذلال، ويزيد من وطأة المصائب والرزايا.

3 ـ «وهداهم إلى معالم الملة»، لأن هذا الإقدام هو الذي يعطي المؤمنين الأمن والسلامة، ليجدوا الفرصة للتعرف على دينهم، وسلوك سبيل الهداية والرشاد، والتفكير في مستقبلهم، وتطبيق الشريعة، التي تأتي بالنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة.

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» في الشعر الذي أورده:

والصلح تأخذ منه ما رضيت [به] والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

قبر يهوذا.. لا قبر هود:

قال المنقري:

روى نصر، عن عمر بن سعد، حدثني سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي «عليه السلام» قال:

قال علي «عليه السلام»: ما يقول الناس في هذا القبر، وفي النخيلة قبر عظيم يدفن اليهود موتاهم حوله؟!

فقال الحسن بن علي «عليه السلام»: يقولون: هذا قبر هود النبي «صلى الله عليه وعلى نبينا وآله»، لما أن عصاه قومه جاء فمات ها هنا.

قال «عليه السلام»: كذبوا، لأنا أعلم به منهم، هذا قبر يهودا بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، بِكْر يعقوب.

ثم قال «عليه السلام»: هاهنا أحد من مهرة؟!

قال: فأتي بشيخ كبير.

فقال «عليه السلام»: أين منزلك؟!

قال: على شاطئ البحر.

قال «عليه السلام»: أين من الجبل الأحمر؟!

قال: [أنا] قريب منه.

قال «عليه السلام»: فما يقول قومك فيه؟!

قال: يقولون: قبر ساحر.

قال «عليه السلام»: كذبوا، ذاك قبر هود، وهذا قبر يهودا بن يعقوب

بِكْره. (أي الابن البكر ليعقوب).

[ثم قال «عليه السلام»]: يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً على غرة الشمس، يدخلون الجنة بغير حساب(1).

ونقول:

هكذا صحح الخطأ الشائع:

قد تبدو هذه الحادثة غير ذات مدلول بالنسبة لحياة الإمام الحسن «عليه السلام»، فلماذا تذكر في سيرة حياته؟! ولكننا ذكرناها هنا للفت النظر إلى خصوصية فيها، ربما تفيدنا في بعض الحالات في حياتنا، فلاحظ النقاط التالية:

1 ـ تضمنت هذه الحادثة مشاركة بين علي «عليه السلام» وبين ولده في استحداث حالة معينة تمهد لإصلاح خطأ شايع..

وذلك لأن المطلوب لعلي وأهل البيت «عليهم السلام» هو هداية الناس، وإصلاح أمورهم، وتحصينهم من أي خلل، أو خطل، في قول، أو في عمل، وانتظام حياتهم بالتوجيهات، والدلالات..

وحيث إن الهدايات والدلالات، والبيانات القولية لا يكتب لها البقاء في الذاكرة، في كثير من الأحيان، بل تضيع وتخفت، ثم تتلاشى في أعماق ذلك الركام الهائل من مثيلاتها، وتعتمد البيانات عادة على حاسة السمع، وتحتاج إلى حفظ، وتعاهد، لتمكن المراجعة إليها عند الحاجة.. فإن الحافظ قد ينسى أيضاً.

ولأن الحفظ قد يعسر على الكثيرين، ولأن المحفوظات في الذاكرة قد

---

(1) صفين للمنقري ص126 و 127 ومستدرك الوسائل ج10 ص224 و 225 وبحار الأنوار ج32 ص416 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج3 ص195 و 196.

يختلط بعضها ببعض، وتتعرض لكثير من الأخطار.. فقد اعتمدت طريقة الكتابة كأسلوب لهذا الحفظ..

وحيث إن المعرفة بالكتابة تبقى محدودة، في جماعات من الناس. كما أن المعرفة بالقراءة كذلك.. وربما تضاعفت أعداد الجاهلين بهذه أو بتلك في البيئات والمجتمعات الناطقة باللغات الأخرى، غير اللغة التي وردت فيها تلك الهدايات، فقد احتاجت إلى النقل، والترجمة، وبذل جهود أخرى لفهم المعاني، وتجاوز مانع الإختلاف في اللغة، والثقافة.

وحيث إن ذلك كله لم يكن كافياً، فقد اعتمد الهداة طرائق أخرى لترشيد وتسهيل، ورفع مستوى القدرة على استحضار المعلومات وقت الحاجة، ونشير إلى طريقتين منها:

إحداهما: توخي استعمال العبارات القصيرة جداً، والإيجاز الشديد لبلوغ الوضوح الأكيد في العبارات التي تحمل المضمون أو المعلومة المطلوب حفظها. فلا تتجاوز بضع كلمات مفعمة بمسحات جمالية، ويستلذ بها الذوق، ويأنس بها الفكر، وتتلاءم مع الطبع السليم.

وربما تجلى ذلك في عبارتين متناسقتين في وقعهما، متقاربتين في بنائهما وتشكيل وتنوّع حروفهما، وذلك كله يسهل على الطالب الإحتفاظ بالنص في ذاكرته إلى مدى أبعد.

وبعد أن أعطته هذه الحالات والخصوصيات الفنيَّة والجمالية قدرة على أن يحجز لنفسه مكاناً خاصاً به. ومتميزاً في الذاكرة بعلامات فارقة، تستطيع أن تمثل خيوطاً يمكن الإستعانة بها على جذبها واستخراجها، وإحضارها من مواقعها إلى المشهد العملي، الذي تطلَّبها.

الثانية: أن يربطها بفعل وحركة عينية، حقيقية، مؤثرة أثراً عميقاً في الروح، والعقل والمشاعر، أو بما لها من فرادة في إيحاءات، أو لما فرضته من حركة، أو جهد، خارج دائرة التوقعات لمسار الأمور الطبيعي، أو لغير ذلك من أسباب.

ويمكن أن نذكر من أمثلة ذلك:

أولاً: ما جرى في نيشابور للإمام الرضا «عليه السلام» حين بلغ تلك المدينة في مسيره إلى مرو، حين فرض عليه المأمون القبول بولاية العهد، تحت وطأة التهديد بالقتل إن رفض ذلك.

فإنه حين أراد مغادرة نيشابور اجتمع إليه عشرات الألوف من الناس، فتعرض له أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما من طلبة العلم ما لا يحصى، وطلبوا منه: أن يريهم وجهه، فأقر عيون الخلائق بطلعته، والناس على طبقاتهم قيام كلهم.. وكانوا بين صارخ، وباك، وممزق ثوبه، ومتمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته، ومطول عنقه إلى مظلة المهد. وطلبوا أن يتحفهم بحديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

فأملى عليهم الحديث المعروف بحديث «سلسلة الذهب»، عن جبرئيل، عن الله: أنه يقول: «لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي».

فلما مرت الراحلة، أخرج رأسه مرة ثانية إلى الناس، وقال: «بشروطها، وأنا من شروطها».

فعُدّ أهل المحابر والدوى، فأنافوا على العشرين ألفاً[1]. هكذا وصف

---

(1) نقل هذه الرواية في مجلة مدينة العلم، السنة الأولى ص415 عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهي أيضاً في الصواعق المحرقة

المؤرخون هذا المشهد.

ويلاحظ: أن هذا الجمع الكبير قد ضم كثرة غير متوقعة من العارفين بالقراءة والكتابة، بحيث يعدون بعشرات الألوف.. ولا شك في أن الذين كانوا معهم، ولا يعرفون القراءة والكتابة، كانوا أضعاف الذين يعرفون.

ومحل الشاهد هنا: أن هذا التجمع الزاخر بالعاطفة الجياشة، والحماس والهيجان إلى حد أن فريقاً منهم كان يمزق ثوبه، أو يقبل حافر بغلة الإمام، وهناك من يبكي، ومن يصرخ، ومن يتمرغ بالتراب.. إن هذا التجمع الهائل كان حافلاً بالضجيج، وسيكون ضجيجاً عظيماً، ولم يستطع العلماء السيطرة عليه، وقد طالبوا الناس بالهدوء، فإن الأمر بلغ حدّاً فيه إيذاء حتى للإمام نفسه.

وقد كانت كلمات الإمام «عليه السلام» محدودة ومعدودة، ولعل أكثر ذلك الجمع لم يسمعها، أو سمع بعضها دون بعض.. وربما كان بعضهم منشغلاً مع من هم حوله، فيحاول إسكاتهم، أو يعبِّر لهم عن حالته وعن مشاعره.

ومن الطبيعي: أن راحلته «عليه السلام» حين تتحرك للمغادرة سوف تشد أنظار الناس إليها، والإمام غائب في داخل العمارية، وسيزيد هيجان

ص122 وحلية الأولياء 3 ص192 وعيون أخبار الرضا ج2 ص135 وأمالي الصدوق ص208، وينابيع المودة ص364 و 385 وقد ذكر قوله «عليه السلام»: وأنا من شروطها، في الموضع الثاني فقط. وبحار الأنوار ج49 ص123 و 126 و 127 والفصول المهمة لابن الصباغ ص240 ونور الأبصار ص141 ونقلها في مسند الإمام الرضا ج1 ص43 و 44 عن التوحيد، ومعاني الأخبار، وكشف الغمة ج3 ص98. وهي موجودة في مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ: أن بعض هؤلاء قد حذف قوله «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها» ولا يخفى السبب في ذلك.

الناس، ويعلو ضجيجهم في هذه اللحظة، فإذا رأوا الراحلة قد وقفت من جديد، وأخرج الإمام رأسه ليخاطبهم.. فإن الأصوات سوف تخرس، والأنفاس تحبس، فلا تسمع منهم بغمة، ولا يطيقون حفيف نسمة.

فإذا تكلم الإمام فيهم بجملة موجزة وصغيرة، فإن كل ذلك الجمع سوف يسمعها، ويتلقفها بكل جوارحه، ويتعامل معها كنفحة حياة تنعش وجوده، وتبهج قلبه.. وسوف يتأمل بكل كلمة وحرف فيها ليستخرج المقاصد، والمضامين التي أودعها الإمام فيها.

وحين يكتشف أن الكلمات التي تلقَّاها من الإمام لا يمكن فهمها إلا بالوقوف على الكلمات التي سبقتها، فسيبحث عنها ليجدها، وبعد ضم الكلام إلى بعضه البعض يتفرغ للتأمل في المضمون الذي أودعه الإمام فيهما معاً..

ثانياً: إن قصة قبر هود ويهودا هي المثال الآخر الذي يدخل في هذا السياق. فقد رأينا أن الإمام علياً «عليه السلام».. لم يبادر إلى إخبار الناس بقبر هود «عليه السلام»، وقبر يهودا بن يعقوب، بل سأل أولاً عما يقوله الناس في صاحب القبر الذي يدفن الناس موتاهم حوله في النخيلة.. فكان الإمام الحسن «عليه السلام» هو المجيب..

ولعله لم يكن بالقرب منه «عليه السلام» أحد من أهل النخيلة، أو أن المطلوب: هو أن يسمع الناس هذا الجواب من إمام مطهر معصوم لا يقول بغير علم، ولا يزيد ولا ينقص، ولا يخطئ، ويكون «عليه السلام» بجوابه هذا قد شارك أباه في إيجاد الدعامة التي قام عليها تصحيح هذا الخطأ الشائع، الذي قد يكون اليهود هم الذين أشاعوه، بهدف ترويج وتعظيم من يقدسونهم، ويعظمونهم، ولو بالخداع، والادِّعاء الباطل، ولا يهتمون بحفظ مقام الأنبياء

الحقيقيين، بل هم يزوِّرون تاريخ الأنبياء، وينسبون إلى الأنبياء ما هم منه براء.

وكان هذا الموقف لأمير المؤمنين «عليه السلام» وولده الإمام الحسن «عليه السلام» من أمر يخص اليهود، وقد خدعوا المسلمين به فيما يبدو، يحتاج إلى أن يحسم على يدي إمامين مطهرين معصومين، يعيدان الأمور إلى نصابها، وعلم الناس أن هذا القبر ليس قبر هود.. ويفترض أن يكونوا قد تناقلوا ذلك على أوسع نطاق، لأنه أمر يهم الأحياء، لحفظ المعنى الإيماني والإعتقادي لهم بالنسبة لموتاهم.

أما فيما يرتبط بموقع قبر هود، فإنه «عليه السلام» تعمد أن يدل عليه بطريقة غير عادية، حين ربط هذه الدلالة بحركة عملية راقبها الناس، وانتظروا نتيجتها، فلم يقل للناس: «أما قبر هود، فهو عند الجبل الأحمر»، بل طلب إحضار أي رجل من قبيلة مهرة، ولم يذكر السبب في طلبه هذا، وطبيعي: أن تذهب الأذهان في احتمالات ما يريد «عليه السلام» من هذا الرجل كل مذهب..

فجيئ برجل من مهرة إليه، وإذ به يسأله عن مكان سكناه، فأخبره أنه على شاطئ البحر، فسأله عن المسافة بينه وبين الجبل الأحمر، فأخبره أنه بالقرب منه.

وكل هذه الأسئلة لا بد أن تزيد من حيرة الناس.. وتضاعف شوقهم لمعرفة الهدف من الأسئلة التي طرحها عليه.

فجاءت النتيجة لتقول للناس: إن قبر هود هو في المكان حيث الجبل الأحمر.

وكانت هذه الحركة كافية لإثبات موقع مقام «هود» بالنسبة للإنسان المسلم.

وهي تصلح دليلاً وشاهداً على أنه «عليه السلام» عليم بالقبائل، ومساكنها، والمواقع والمواضع الجغرافية، وبمواقع قبور الأنبياء، وغير الأنبياء.. وإنما هو

علم من ذي علم.

الحسنان ' في مناشدات علي في صفين:

ذكر سليم بن قيس حديث إرسال معاوية أبا هريرة، وأبا الدرداء بكتاب إلى علي «عليه السلام» في صفين، ثم عادا إلى معاوية بجواب علي «عليه السلام»، وبما رأياه وسمعاه منه ومن غيره، ومن ذلك: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» صعد المنبر في عسكره، وجمع الناس، فناشدهم بفضائله، وبأمور كثيرة.

1 ـ منها: حديث عن النبي «صلى الله عليه وآله» يسمي فيه الأئمة بقوله بعد ذكر علي فيهم: أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحد بعد واحد.

القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض».

فقام اثنا عشر رجلاً من البدريين، فقالوا: نشهد أنَّا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت سواء.. لم تزد فيه، ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك.. وتابعهم على ذلك بقية السبعين(1).

2 ـ ثم ذكر لهم نزول آية التطهير فيه، وفي فاطمة، والحسن والحسين، وتسعة من ولده، فشهد له بذلك السبعون بدرياً جميعهم(1).

---

(1) الصحيح من سيرة الإمام علي ج39 ص161 و 162 عن كتاب سليم بن قيس ص748 ـ 776 و (تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ط1 سنة 1422هـ ق. 1380 هـ ش) ص297 ـ 300 وبحار الأنوار ج33 ص141 ـ 159 وينابيع المودة ج1 ص341 ـ 349 والولاية لابن عقدة ص198 ـ 202 وغاية المرام ج2 ص108 ـ 109 و 244 ـ 246 و 355 ـ 356 وج3 ص335 ـ 337.

(1) الصحيح من سيرة الإمام علي ج39 ص163.

3 ـ وأظهر لهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صرح بأسماء الأئمة الإثني عشر واحداً واحداً.. فشهد له البدريون بذلك أيضاً[1].

4 ـ وحين عاد أبو هريرة، وأبو الدرداء إلى معاوية، وأخبراه بما جرى، كتب إلى علي «عليه السلام» كتاباً آخر ضمنّه بعض ترهاته.

فأجابه «عليه السلام» بكتاب بيَّن فيه الكثير من الحقائق والدقائق، ومما جاء فيه قوله «عليه السلام»: «يا معاوية، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبرني أن أمته سيخضبون لحيتي من دم رأسي، وأنِّي مستشهد، وستلي الأمة من بعدي، وأنك ستقتل ابني الحسن غدراً بالسم، وأن ابنك يزيد «لعنه الله» سيقتل ابني الحسين، يلي ذلك منه ابن الزانية الخ..»[2].

ونقول:

لقد تحدثنا حول هذه النصوص، وغيرها في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج39 في فصل: «بحوث حول هذه الوساطة»، ونود أن نذكر هنا بعض ما يتعلق بخصوص الفقرات المتقدم ذكرها، فنقول:

1 ـ لا حاجة إلى التذكير: بأن هذه المناشدات التي تستدرج الشهادات من المعروفين من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله» تحيي ما كان يسعى بعض

---

(1) الصحيح من سيرة الإمام علي ج39 ص166.

(2) الصحيح من سيرة الإمام علي ج39 ص175 و176، وقد ذكرت هذه الفقرات الأربع كلها في كتاب سليم بن قيس ج2 ص748 ـ 776 و (طبعة أخرى) ص288 ـ 310 وبحار الأنوار ج33 ص141 ـ 159 عنه، وراجع ج89 ص196 وكتاب الغيبة للنعماني (ط 2) ص45 وراجع أيضاً: إثبات الهداة ج2 ص186 و 187.

الناس إلى إماتته، وترسِّخ ما يريدون محوه من حقائق لها مساس باعتقادات الناس وبحياتهم، ومستقبلهم، وتعطي المزيد من الوضوح، وترسخ اليقين بتلك الحقائق، وتقيم الحجة على المعاندين، وتضعف قدرتهم على التزييف والتحريف. وتصرف الشبهات، وتقوي العزائم، وتبعث الهمم على نصرة الحق وأهله..

2 ـ يلاحظ: أن التركيز في هذه المناشدات كان على معنى الإمامة وتحديد الأئمة، لأن هذه القضية هي الأخطر والأهم لضبط الأمور، وحفظ الحق، وسلامة المسار، وهي السبيل لتربية الأمة، وفق ما رسمه الله تعالى، من موقع العلم الصحيح، والعصمة والطهارة، والدفع باتجاه الكمالات، وفق الهدايات الإلهية، بعيداً عن تأثير الأهواء والشهوات والعصبيات.

3 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد نسب الحسن بوصف البنوة إلى نفسه، فقال: «أولهم ابني الحسن، ثم الحسين الخ..» وهذا يزعج معاوية وفريقه، لأن هذا المعنى يعطي للإمام الحسن أرجحية وأهلية ـ من حيث إنه ـ ابن رسول الله على جميع البشر.. فكيف إذا كان الطامحون لمقام الإمامة هم الأفاكون، والجاهلون والفاسقون، والقتلة المجرمون من أمثال يزيد، وغيره من أغصان الشجرة الملعونة في القرآن..

ويقابلهم أبناء الأنبياء الحكماء، العلماء الأتقياء المضحون، والصابرون، والمطهرون.

4 ـ لقد ركزت هذه المناشدة على الدلائل الحاسمة في موضوع الإمامة وحصرها بالأئمة الإثني عشر، في سلسلة متصلة معروفة بأسمائها، وسماتها، وأوصافها وحالاتها.

وظهور هذا الأمر وإشاعته يقصم ظهر الجبارين والطامعين، ويربك

حركتهم، ويقضّ مضاجعهم، ويفقدهم شرعيتهم التي يدعونها زوراً لأنفسهم، ويقوِّض حالة الأمن والثبات والاستقرار والطمأنينة والثقة لديهم: بأن تجري الأمور كما يحبون، وينالوا ما يشتهون.

5 ـ ويزيد في همهم وغمهم التأكيدات الكثيرة الواردة من مصدر الوحي بأن الإمامة في هؤلاء الإثني عشر باقية ومستمرة، وأن دورهم ومسؤولياتهم، وإمامتهم متواصلة، وستحفظ لهم مواقعهم في جميع الدهور والعصور، وإلى قيام الساعة مما يعني: أن قول القائل:

خلا لَكِ الجَوُّ فَبيضي وَاصفِري وَنَقِّـري مـا شِـئتِ أن تُنَقِّـري

لا موقع ولا مورد له بالنسبة لحكومة الطغاة والجبارين، فلا بد أن يبقى القلق مهيمناً، والوجل وترقب السقوط هو سيد الموقف بالنسبة إليهم إلى آخر الدهر.

6 ـ إذا كان هؤلاء الأشرار الطامعون بالحصول على بعض ما يأملون في أيام الأئمة الأحد عشر، من خلال محاصرة الأئمة وقهرهم،والإستيلاء على حقوقهم مع ما في ذلك من قلق وخوف من المفاجآت، فإن القلق لا بد أن يزداد في عصر الغيبة، حيث يتوقعون: أن يفاجئهم «عليه السلام» ظهوره في كل حين، فتكون الكارثة العظمى عليهم، والمصيبة الأشد وقعاً عليهم، لأن الإمام الثاني عشر الغائب هو الذي سيرث الأرض، ويملؤها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

7 ـ وعن إخبار علي «عليه السلام» معاوية: بأنه «عليه السلام» سوف يستشهد، وبأن معاوية سيلي الأمر بعده، وسيقتل الإمام الحسن «عليه السلام»،

وأن ولده يزيد يقتل الحسين «عليه السلام» نقول:

ألف: إن هذه الأخبار كانت متداولة، وقد رويت عن النبي بأنحاء مختلفة، فلم يكشف «عليه السلام» أمراً مستوراً..

ب: إن ذكر علي «عليه السلام» لهذه الأمور سيزيدها رسوخاً، وسيجعل لها ذيوعاً وشيوعاً في الناس، فتصبح أكثر مصداقية، ويميز الناس بها المحق من المبطل، والمعتدي من المعتدى عليه، وتقوم بذلك الحجة عليهم، ولا مجال لادِّعاء أن يكون ما ينقل لهم غير دقيق، أو غير صحيح.

ج: إن ذكره «عليه السلام» لهذه الأمور لمعاوية هو حجة على معاوية وفضيحة له عند الناس، لأنه لا يبقي له أي عذر أو تعلل فيما يقدم عليه، ويدعو الناس إليه، ويجعل تذرعه بالمعاذير صعباً، وغير ذي جدوى..

د: إن ذلك أيضاً يجعل إعانة الناس لمعاوية على باطله جحوداً للحق، ونصرة للباطل.. فليس لهم أن يلقوا بالتبعة على المقادير، أو أن ينسبوا ذلك إلى المشيئة الإلهية، لأنهم شاركوا المجرمين في جرائمهم عن سابق علم وتصميم.

وبذلك يعلم: أنه لا مجال بعد هذا لتوهم: أن جهر علي بهذه الأمور كان مجافياً للحكمة والسياسة.

الفصل الثاني

الحسنان ، قادة وذادة..

الحسنان على الميمنة:

قال ابن أعثم: «عبَّى علي بن أبي طالب «عليه السلام» أصحابه، فكان على خيل ميمنته الحسن والحسين، سبطا النبي «صلى الله عليه وآله»..»[1].

ونقول:

أولاً: إن معاوية وعمرو بن العاص، ومروان، وأضرابهم من أعداء أهل البيت كانوا حريصين جداً على التخلص من الحسن والحسين «عليهما السلام» بأي ثمن كان، لأنهم حتى لو تمكنوا من قتل علي «عليه السلام» ولو غدراً، فإن رصيد الحسن والحسين في الأمة، وحالهما من القداسة فيها لا مجال للمراء فيه، ولن يكون بمقدورهم منافستهما في ذلك، ولاسيما مع ما حفل به القرآن الكريم، وسنَّة النبي العظيم من التنويه بما لهما من علم، ومن مقام وفضل، لا يدانيهما فيه أحد من الأمة مهما سما مقامه، وارتفعت أعلامه، فكيف إذا كان من الشجرة الملعونة في القرآن؟!

ثانياً: إن جعل الحسنين «عليهما السلام» على خيل الميمنة يجعلهما أكثر تعرضاً للأخطار، لأنهما سيكونان هدفاً لمن يعدون أنفسهم أبطالاً، ويبحثون

---

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص31 و 32 و (ط دار الأضواء) ج3 ص24 وبحار الأنوار ج32 ص573 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص352.

عن الأوسمة والامتيازات والمقامات عند أسيادهم.. مع ملاحظة: أن قادة الخيل يكونون عادة أكثر حركة، وأسرع انتقالاً وتجوالاً في ميادين القتال.. وذلك يجعلهم في مواقع الاستهداف من فئات شتى.

ثالثاً: إن نجاح الحسنين في حفظ أنفسهما، والخروج سالمين من معركة بهذا الحجم، وبهذه الحدة والشدة والشراسة، والتي يقال: إن المقتولين فيها من جيش علي «عليه السلام» كانوا خمسة وعشرين ألفاً، وقتل من جيش معاوية سبعون ألفاً[1]. إن ذلك يدل على أن لدى الحسنين «عليهما السلام» قدرات ومهارات قتالية فريدة لا يمكن تجاهلها..

رابعاً: المروي عن أمير المؤمنين أنه قال: الشركة في الحكم تؤدي إلى الاضطراب.. وها هو علي نفسه يجعل قائدين لخيل الميمنة في عرض واحد، وآن واحد.. وإذ بهما يديران الحرب كأفضل ما تكون الإدارة، ولا يمكن أن تجد في عملهما أي ضعف، أو اختلال مهما كان صغيراً..

ولم نجد أي اختلاف بينهما في أي أمر مهما كان حجمه ونوعه، بل هو رأي

(1) راجع: أنساب الأشراف ص322 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص363 والصراط المستقيم ج3 ص120 وبحار الأنوار ج29 ص470 وج32 ص589 وشجرة طوبى ج2 ص325 وسير أعلام النبلاء ج3 ص142 والأعلام للزركلي ج4 ص295 ومعجم البلدان ج3 ص414 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص545 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج2 ص707 وعمدة القاري ج16 ص141 وفتح الباري ج13 ص75 وتاريخ مدينة دمشق ج43 ص482 وتهذيب الكمال ج21 ص226 والثقات لابن حبان ج2 ص291 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج3 ص10 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص44 و 60.

واحد، ونهج واحد في دقيق الأمور وجليلها، فلا تشعر بوجود قائدين، ولا تفاوت، ولو بمقدار شعرة، أو نظرة، أو غير ذلك..

وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على أن الناس الكاملين في صفاتهم، وميزاتهم، وفي عقولهم، ووعيهم، والمتخلقين بالأخلاق الحميدة، والمتوازنين في مشاعرهم، وانفعالاتهم، والملتزمين بفروض الطاعة والتقوى لله تعالى.. ـ إن هؤلاء ـ يصيرون بمثابة شخص واحد، تطبيقاً لما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»: من أنه شبَّه المسلمين في توادهم وتراحمهم بالجسد الواحد.. إن اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[1].

ولعله لأجل ذلك أيضاً، ورد عنهم «عليهم السلام»: أولنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد، وكلنا محمد[2].

ولأجل ذلك أيضاً، لا نجد أي تفاوت واختلاف بين الأئمة «عليهم السلام» في أي شيء، بالرغم من أنهم عاشوا في أزمنة ممتدة إلى مئات السنين، إلا إذا فرض اختلاف المستجدات اختلافاً في المعالجة، ونحوها.

خامساً: إن جعل الحسنين «عليهما السلام» على خيل الميمنة يعطي: أنه «عليه السلام» لم يؤمِّر عليهما أحداً.

وهذا هو المفترض في الأنبياء والأوصياء، فإن النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(1) صحيح مسلم ج 8 ص 20 ومسند أحمد بن حنبل ج 4 ص 270 وفي معناه غيره.

(2) الإختصاص للمفيد ص313 وخاتمة المستدرك ج1 ص126 والغيبة للنعماني ص87 والمحتضر ص277 وبحار الأنوار ج25 ص363 وج26 ص6 و 16 وج36 ص399 ومشارق أنوار اليقين ص255.

لم يؤمِّر أحداً على علي «عليه السلام» ولا على ابنيه، كما أنه لم يؤمَّر أحدٌ على علي والحسنين بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الحرص المتبادل بين الأب وأبنائه:

روى المنقري عن عمر بن سعد، عن مالك بن أعين، عن زيد بن وهب، قال: مر علي «عليه السلام» يومئذ ـ يعني يوم صفين ـ ومعه بنوه [الحسن والحسين ومحمد] نحو الميسرة، [ومعه ربيعة وحدها]، وإني لأرى النبل بين عاتقه ومنكبيه، وما من بنيه أحد إلا يقيه بنفسه.

فكان كل ولد منهم يتقدم على أبيه، ليحول بين أبيه وبين أهل الشام، لكي لا يروه، أو لكي يقع نبلهم فيه هو دون أبيه.

فكان علي «عليه السلام» إذا فعل ولده ذلك أخذ بيده، وجره إلى الخلف، ورده عن هذا الفعل..

فهذا كان حال أبنائه، وحاله مع أبنائه.. فيكره علي «عليه السلام» ذلك، فيتقدم عليه، فيحول بينه وبين أهل الشام، ويأخذ بيده إذا فعل ذلك، فيلقيه بين يديه، أو من ورائه (غير مكترث به) (1).

فبصر به أحمر ـ مولى أبي سفيان، أو عثمان، أو بعض بني أمية ـ فقال علي: ورب الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك، أو تقتلني!

فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي «عليه السلام»، فاختلفا ضربتين، فقتله مولى بني أمية، وخالط علياً «عليه السلام» ليضربه بالسيف، فانتهزه

---

(1) الظاهر: أن الضمير يرجع للنبل الذي كان يقع على عاتقة ومنكبيه.

علي «عليه السلام»، فتقع يده في جيب درعه، فجذبه ثم حمله على عاتقه، فكأني أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علي «عليه السلام»، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضده.

وشد ابنا علي «عليه السلام» عليه: الحسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما [حتى برد]، فكأني أنظر إلى علي «عليه السلام» قائماً وشبلاه يضربان الرجل.

حتى إذا أتيا عليه أقبلا إلى أبيهما، والحسن معه قائم، قال: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟!

قال: كفياني يا أمير المؤمنين(1).

ونقول:

أولاً: يظهر النص المتقدم أن علياً «عليه السلام» لم يكن يكتفي بإصدار الأوامر، وتحديد المهمات، بل كان يمارس الإشراف المباشر على سير الأمور، ويتفقد المواقع بنفسه، ولا يكتفي بما ينقله القادة إليه.

ثانياً: إنه يتفقد الوحدات بصورة ظاهرة ومعلنة، وبمرأى ومسمع من جيش العدو، ويجعل مسيره ومعه أعز الناس عليه، وأعظمهم قدراً عند الله يسيرون جميعاً في الخطوط الأمامية، وحيث تصل إليهم رمايات العدو في استهدافاتهم المباشرة له ولهم، ولا يسلك الطرق الآمنة التي يصعب على العدو مراقبتها،

---

(1) صفين للمنقري ص249 وبحار الأنوار ج32 ص469 ونهج السعادة ج2 ص203 و 204 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص198 والدرجات الرفيعة ص421 و 422 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص18 ـ 21 و (ط الأعلمي) ج4 ص12 و 13 والكامل في التاريخ ج3 ص298 و 299.

أو الوصول إليها، ولا تبلغها سهام رماته.

ثالثاً: إن اصطحابه «عليه السلام» أبناءه الثلاثة في هذه العملية الخطيرة جداً، يدل على أنهم «عليهم السلام» لا يهمهم في حربهم للبغاة أنفسهم، بل الذي يهمهم هو الحق والدين الذي يدافعون عنه.. فليست الحرب إذن، دفاعاً عن مصالحهم الشخصية، أو لأي غرض دنيوي آخر، بل هم يدافعون عن القيم، وعن الدين، وعن الأمة، وعن الحق.

رابعاً: إن النبل الذي كان الأعداء يرشقون به علياً «عليه السلام» كان يستقر على عاتقه ومنكبيه «عليه السلام».. وكان أبناؤه الثلاثة يحاولون وقايته منه بأجسادهم، وهذا غاية البر بالوالد، والتفاني في سبيله، ويدل على مزيد حبهم له، وتعلقهم به.

كما أن ذلك الوالد الذي كان يكره ذلك منهم، ويحب أن يصل إليه النبل دونهم، كان يبادلهم حبهم له بمثله، أو بما هو أشد منه.

فكان الأبناء يحاولون سبق الأب ليحولوا بأجسادهم بينه وبين النبل، وكان هو «عليه السلام» يجذبهم ليكونوا خلفه، ويحول بينهم وبين تلك النبال بجسده الشريف.

إنها صورة رائعة للوفاء والعرفان، والتضحية رسمها لنا المعصومون المطهرون، الذين يعرفون ما يريده الله، وينفذونه بأمانة ودقة، كما أن كل واحد منهم يعرف قيمة الآخر في نفسه، وعند الله تبارك وتعالى.

خامساً: إنه «عليه السلام» بأخذه السهام التي كانت تنحط على عاتقه ومنكبيه، يكون قد أفهم العدو أنه غير مكترث بها، بل هو يستخف بها وبمن

أرسلها، فعلى ذلك العدو أن ييأس، ويتحسر على بوار سعيه، ويبوء بالخيبة والخسران.

كما أن ذلك قد دلّ الولي والصديق أيضاً على معنى الشجاعة والثبات، والقوة، والتصميم، والعزم، والإستعداد للتضحية بالنفس أولاً، وبالأبناء ثانياً، بالرغم من أنهم أفضل مَن خلقه الله، وأحب من خلقه الله إليه تبارك وتعالى، ما دام أن ذلك في نصرة الحق والدين، والدفاع عن المستضعفين والمؤمنين.

سادساً: إن سعي الحسنين وأخيهما «عليهم السلام والرحمة والرضوان» إلى حفظ أبيهم من نبال الأعداء، تكليف شرعي وعقلي، يحتِّم عليهما حفظ الإمام، كما يجب عليهما حفظ النبي «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه كان يجب على أبيهما «عليه السلام» حفظ الحسن والحسين «عليهما السلام» لنفس السبب، فهما إمامان يحفظ الدين والحق والأمة وكل شيء بحفظهما، وتكون سلامة الحياة بجميع مجالاتها وحالاتها بسلامتهما.. ولا يقتصر هذا على زمانهما، بل هو يوغل في عمق الأزمان المتلاحقة، وتستقيم به مسيرة الأكوان، وإلى يوم القيامة.

فليست القضية مجرد عاطفة جياشة، وعلاقة بذي رحم، بل هي أعمق وأسمى من ذلك.

وهذا درس عملي للناس كل الناس فيما يجب عليهم تجاه إمامهم وقائدهم، المطهر المعصوم، المنصوب من الله تعالى لحفظ الدين وأهله، ولغير ذلك من مهمات.

سابعاً: وأخيراً.. فإن النص المتقدم يقول: إنه لما أجهز الحسين «عليه

السلام»، وأخوه محمد على أحمر مولى أبي سفيان، ولم يتدخل الإمام الحسن في ذلك، قال له أبوه «عليه السلام»: ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟!

قال: كفياني يا أمير المؤمنين.

ونحب لفت النظر هنا إلى ما يلي:

ألف: إن سؤال الإمام ولده عن سبب عدم مشاركة أخويه في قتل ذلك الشرير يهدف إلى تحصين الناس من تأثير شائعات أهل الأهواء، في سعيهم لتشويه صورة الإمام الحسن «عليه السلام»، والتشكيك في مقاصده، وصحة وسلامة مواقفه من سياسات أبيه، في حربه وفي سلمه، بادِّعاء أنه كان يحب مصالحة معاوية، ويكره محاربته، ويدين من يحاربه..

أو أنه كان يرى أن حربهم لأبيه للطلب بدم عثمان يمكن تبريره وإعطاؤهم بعض الحق فيه..

والإيحاء بأن الحسين «عليه السلام» رجل جريء يحب سفك الدماء، إذا وجد فرصة ليخفي بذلك بشاعة وفظاعة ما ارتكبه يزيد في حقه «عليه السلام».

والسؤال هنا لا يمثل اعتراضاً من علي «عليه السلام» على ولده الإمام الحسن «صلوات الله عليه»، بل هو سؤال تقريري، لإفهام الناس هذه الحقيقة من لسان الإمام الحسن «عليه السلام» مباشرة.. فلا يبقى مجال بعد لطرح الإحتمالات، أو الحديث عن ظنون فعند جهينة الخبر اليقين..

ويشبه هذا التصرف في بعض الوجوه قول الله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي**

وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾(1).

ب: إن جواب الإمام الحسن «عليه السلام»: «كفياني، يا أمير المؤمنين» يدل على ما يلي:

1 ـ أنه لم تكن هناك حاجة إلى مشاركة الإمام الحسن «عليه السلام» أخويه، فإن قتل ذلك الشرير ليس لأجل التشفي بقتله، بل لأجل كف شره، ودفع غائلته، وهذا يحصل بأيسر مما حصل، لاسيما بعد أن ضرب علي «عليه السلام» به الأرض، وكسر منكبه وعضده.

2 ـ إن مشاركة الحسين «عليه السلام» لأخيه محمد في قتل ذلك الرجل، ربما لم تكن لاحتياج محمد إلى المعونة، بل لتسجيل موقف من إمام مطهر معصوم، من باغ على إمامه، وحاقد على الحق وأهله إلى هذا الحد.

فالمطلوب ليس مجرد القتل، بل المطلوب: إثبات أن هذا القتل خالص من أية شائبة، ومن أي تجاوز للحد المطلوب، فإن الذي تولاه هو إمام معصوم حكم الله في كتابه الكريم بطهارته..

نقول هذا، لأنك قد تجد من شياطين الفتن من يدَّعي: أن ذلك المجرم قد قُتل بروح انتقامية كان يمكن ـ لولاها ـ أن لا تكون بهذه الشدة، والحدة، والحماسة.

ج: إن قوله «عليه السلام»: «كفياني» يدل على أنه يرى أن قتله واجب

---

(1) الآية 116 و 117 من سورة المائدة.

على نحو الوجوب الكفائي، وقد سقط عنه هذا الواجب بقيام أخويه به لا أنه كان لا يرى قتله واجباً.

د: إن الإمام الحسن «عليه السلام» خاطب أباه بقوله: «يا أمير المؤمنين»، ولم يقل: يا أبه، مما يعني: أنه يخاطبه بصفته إماماً له، ويريد أن يحفظ الإمامة بحراسته له، وتواجده بقربه، لا لأجل القربى النسبية، أو غيرها.

هـ: على أن النص يصرح: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» كان حين أجهز أخواه على ذلك الشقي، يقف مع أبيه، فلعله كان يرى ضرورة البقاء بالقرب منه «عليه السلام» ليقيه سهام الأعداء، أو ليدفع عنه من يريد أن يفعل مثل ما فعله أحمر، ولاسيما حين يكون «عليه السلام» وحيداً في الميدان، وحيث أبناؤه منشغلون عنه بالإجهاز على ذلك الرجل.

ثامناً: وبعدما تقدم، فإن هذه الحادثة تعطينا الكثير من المعاني، سوى ما ذكرناه. ويكفي أنها تدل على أن على القائد: أن يظهر بصورة عملية شجاعته وثباته، فيكبت بذلك عدوه، وينعش قلب الولي، كما أن عليه أن يظهر قوته أمام أعدائه حتى لا يطمعوا فيه، وأن يظهر عدم مبالاته بهم، وبكل ما أعدُّوه وجمعوه.

ومن الطبيعي: أن يكون عدم إسراعه بالمشي للإبتعاد عن سهامهم، وهي تصيبه، مما يضاعف من يأسهم، وبؤسهم، وخوفهم.

وسيزيد أهل الإيمان بسالة واندفاعاً، وقوة، وثقة، وإيماناً بالإمام والقائد.. وهذا هو مفتاح النصر، وسبيل الفلاح والنجاح.

ما هذا زي الحرب؟!:

1 ـ قالوا: ثم إن أهل الشام دنوا منه (أي من أمير المؤمنين)، والله ما يزيده

قربهم منه [ودنوهم إليه] سرعة في مشيه، فقال له الحسن «عليه السلام»: ما ضرك لو سعيت حتى تنتهي إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوك من أصحابك؟! [قال: يعنى ربيعة الميسرة].

قال: يا بني، [إن] لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطئ به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي.

إن أباك والله ما يبالي: وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(1).

2 ـ وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» كان يطوف بين الصفين في غير آلة، فقال له ابنه الحسن «عليه السلام»: ما هذا زي الحرب!!

فقال «عليه السلام»: يا بني، إن أباك لا يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه(2).

ونقول:

تضمنت الفقرات المتقدمة أموراً عديدة، نحب التذكير بها تيسر لنا منها فنقول:

أولاً: قد يفهم بعض الناس مما تقدم: أن علياً «عليه السلام» يستهتر بالأخطار، دون مبرر ظاهر لنا على الأقل.. فلعله «عليه السلام» يعتمد على

---

(1) صفين للمنقري ص249 و 250.

(2) راجع: مناقب آل أبي طالب ج2 ص119 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص385 وحلية الأبرار ج2 ص63 وبحار الأنوار ج41 ص2 وينابيع المودة ج1 ص203 ومجمع البيان ج1 ص320 و (ط الأعلمي) ج1 ص309 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص103 وكنز الدقائق (تفسير) ج1 ص301.

خصوصية ليست لغيره، تمنحه المبرر المعقول لهذا النوع من التعاطي مع هذا الواقع الصعب، والشديد الحساسية..

فهل هذه الخصوصية هي علمه من خلال إخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه سوف يستشهد في ظروف أخرى، ليست هي ظروف حرب، وساحات قتال؟!

أو أن هناك أسراراً عرفها، وقرائن ظهرت له، وعلامات دلته على أن هذا الوقت ليس هو وقت حضور أجله.. أو دلته على موانع تمنع العدو من الوصول إليه في تلك الساعة، أو في تلك الظروف؟!

ولولا هذه الاحتمالات لتوهم متوهم: أن علياً «عليه السلام» يفعل أموراً غير مبررة ولا معقولة، وبذلك يمكن الغمز في عصمته، وفي تقديره للأمور، وهو «عليه السلام» أجلّ من أن ينسب إليه ذلك، فإن حياته كلها كانت وفق الحكمة، وتحت ظل الشرع، والهداية والتسديد الإلهي.

ثانياً: إذا كانت هناك خصوصية له «عليه السلام» اقتضت هذا النحو من السلوك، فلا يمكن الإقتداء به في هذا الأمر، لعدم القدرة على معرفة ما إذا كانت تلك الخصوصية متوفرة في غيره، أو غير متوفرة، فإن الجهل بها يبقي الناس محكومين بقانون عدم جواز الإلقاء بالنفس إلى التهلكة.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن أعرف الناس بالشرع وموازينه هم الأئمة الطاهرون، والأنبياء والمرسلون.. ولا شيء يدل على أن الأمور كانت قد بلغت في خطورتها إلى حدّ أن يصبح طوافه بين الصفين بدون وسائل حماية أو دفاع، إلقاءٌ بالنفس

إلى التهلكة.

ولعل الإمام الحسن «عليه السلام» حين قال له: «ما هذا زي الحرب» يريد أن يذكر له مشاعر الناس، وتصوراتهم، وأنهم قد يظنون أن الأمور قد بلغت حداً يجعل الطواف بين الصفين بدون وسائل حرب ودفاع فيه خطر شديد وأكيد، يجعل هذا التصرف إلقاءً بالنفس إلى التهلكة، ويريد أن يسمع الناس جواب أبيه لهم.

ثانياً: إنه «عليه السلام» أراد بقوله: «إن أباك لا يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه» أن يقول للناس: إن المبالغة في التحرز والإحتياط يفهمه العدو على أنه دليل ضعف، وربما فهمه الولي أيضاً كذلك، فيصاب بالخوف والوجل والتردد في الإقدام.. الأمر الذي يحتِّم على القائد والإمام: أن يقدِّم نموذجاً عملياً للشجاعة والثبات والقوة. لكي لا يتحول التحرز من العدو اختباء واختفاء، ثم يتحول إلى خوف ورعب، ثم إلى هزيمة نكراء، وخسران وبوار كما حكى الله تعالى ذلك عن بعض الفئات، فقال: ﴿**لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ**﴾(1).

ثالثاً: إن قوله «عليه السلام»إنه: «لا يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه»، يجعل الإنسان المؤمن أمام حقيقة دامغة هي: أن عليه أن يواجه الواقع كما هو، من دون تهويل أو تقليل، ليعالجه بما يستحقه من دون تعد أو اختزال. فلا ينقاد لتسويلات نفسه، ولا يخضع للعصبيات، والميول والأهواء ولا يتأثر

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

بالأجواء الضاغطة التي تسوقه إلى مزالق ومهالك خارج دائرة الحسابات الدقيقة للواقع الراهن.

فهذه الواقعية في التعامل تؤدي إلى وضع الإنسان المجاهد نفسه في دائرة الرضا بقضاء الله، وتوطينها على الصبر والإستقامة في خط الله، لينال بذلك الشعور بالأمان والسكينة في ظل الرعاية الإلهية، ملتزماً بالحق، وراضياً وسعيداً به.

وهذا هو المعنى الذي أشار إليه علي «عليه السلام» بقوله: إنه «لا يبالي، وقع على الموت، أو وقع الموت عليه».

رابعاً: قد يستفيد المرء من كلمته هذه: أن ما يخشونه عليه، أو يخوِّفونه به.. أمر خارج عن دائرة الإختيار، فلا معنى للتحرز منه.

وذلك لأن القدر بيد الله تعالى.. والقدر يجري وفق سنن، ومصالح، وحيثيات، ويتبلور من خلال علل وأسباب، ومقدمات قريبة أو بعيدة، وما كان يجري منها، ربما كان بمثابة اختبارات للإنسان في حياته العملية أيضاً.

وحيث إن الأمر يرتبط بالحياة والموت، الخاضع للتقدير الإلهي.. فإن على الإنسان أن يتعامل معه، وفق ما يتوفر لديه من معطيات، فقد توجب تلك المعطيات عليه أن يحتاط ويحذر بالمقدار الذي يقلل من تأثير الأسباب والوسائل في تكوين درجة خطورة معتدٌّ بها، فيمارس هذا الحذر، استناداً إلى هذه النتيجة.

وقد لا تكون تلك المعطيات قد بلغت حدّ تكوين درجة خطورة تحتِّم الحذر، فيصبح اللجوء إلى الحذر غير ذي معنى..

وفي الحالات المتقدمة، يبقى للقدر دوره الفاعل من خارج دائرة المعطيات أيضاً، ويفرض القدر نفسه، مخترقاً حواجز الحذر، وبذلك يتبلور معنى قولهم:

لا ينفع الحذر من القدر.

وبغض النظر عما تقدم، فإنه حتى لو وجدت معطيات تجعل الخطر داهماً، وفي دائرة التوقع، فقد لا يجب تحاشيه، إذا تبلورت في مقابله ظروف تحتم ذلك لإحراز ما هو أهم وأعظم منه، كما لو ظهر أن ثمة فشلاً ذريعاً في معنويات وروحيات أهل الحق، إلى حد أنه إن لم يعالج بمثل هذا التحدي للأخطار، فإن المصيبة ستكون أعظم، والخطر أشد، فلا بد من مواجهة الخطر، وتسليم الأمر إلى الله سبحانه، ليكون هو الذي يشاء تعطيل القدر، أو تفعيله، فإنه علام الغيوب، وبيده المسار والمصير..

ولعل هذا هو ما أشار إليه «عليه السلام» بقوله للإمام الحسن في النص المتقدم: «يا بني، [إن] لأبيك يوماً لن يعدوه، ولا يبطئ به عنه السعي، ولا يعجل به إليه المشي».

وهذا يعطي: أن ما سألوه عنه ربما كان خارج دائرة إلقاء الإنسان بنفسه إلى التهلكة، بل لو أنه «عليه السلام» جال بين الصفين بزي المحارب، والممتنع من عدوه، بالعتاد والسلاح، لكان بذلك ملقياً بنفسه إلى التهلكة، وليس العكس.

منافسات مناطقية:

وذكروا: أن معاوية حين عقد الرايات لجيشه في صفين، كان يخص بها قريشاً، ومضر، قاصداً بذلك إكرامهم، ورفع منازلهم، مثل: عمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطأة، وعتبة ومحمد ابني أبي سفيان، وعبد الرحمان بن خالد، وعبيد الله بن عمر، ومروان، والضحاك بن قيس، وأشباههم..

فغمَّ ذلك رجالاً من أهل اليمن.. وقال عبد الله بن الحارث السكوني شعراً يخاطب به معاوية، وفيه:

معــاوي أحييــت فينــا الإحــن وأحــدثت في الشــام مــا لم يكــن
عقــدت لبــسر وأصــحابه[1] ومــا النــاس حولــك إلا الــيمن
فــلا تخلطــن بنــا غيرنــا كــما شــيب بالمــاء محـض اللــبن
وإلا فــدعنا عــلى مالنــا وإنــا وإنــا إذاً لم نهــن[2]
ستعلم إن جـاش بحـر العـراق وأبــدى نواجــذه في الفــتن
ونــادى عــلي وأصــحابه ونفســك إذ ذاك عنــد الــذقن
بأنــا شــعارك دون الــدثار وأنــا الرمــاح وأنــا الجــنن
وأنـا السـيوف وأنـا الحتـوف وأنــا الــدروع وأنــا المجــن[3]

فكبا له معاوية [فبكى لها معاوية]، ونظر إلى وجوه أهل اليمن، فقال: أعن رضاكم [يقول ما قال] قال هذا ما قال؟!

فقال القوم: لا مرحباً بما قال. الأمر إليك فاصنع ما أحببت.

---

(1) عند ابن أعثم: لعمرو وأشباهه.

(2) عند ابن أعثم:

وإلا فــدعنــا عـلى حــالـنـا فــإنــا وآبــائــنـا لـم نـهن

(3) وذكر ابن أعثم أبياتاً أخرى هنا، فمن أرادها فليراجعها.

قال معاوية: إنما خلطت بكم ثقاتي وثقاتكم، ومن كان لي فهو لكم، ومن كان لكم فهو لي.

فرضي القوم وسكتوا.

فلما بلغ [أهل العراق، وثب المنذر بن الجارود العبدي]

وعند المنقري:

فلما بلغ أهل الكوفة مقالة عبد الله بن الحارث لمعاوية فيمن عقد له من رؤوس أهل الشام قام [الأعور] الشنِّي إلى عليٍّ «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لا نقول لك كما قال أصحاب أهل الشام لمعاوية، ولكنا نقول:

زاد الله في هداك وسرورك، نظرت بنور الله، فقدمت رجالاً، وأخرت رجالاً، فعليك أن تقول، وعلينا أن نفعل..

[أنت الأب ونحن البنون]، أنت الإمام، فإن هلكت فهذان من بعدك، ـ يعني حسناً وحسيناً ـ وقد قلت شيئاً فاسمعه.

قال: هات.

فقال:

أبا حسن أنت شمسُ النهارِ وهذان في الحادثات القمرْ

وأنت وهذان حتّى المماتِ بمنزلة السمع بعد البصرْ

وأنتم أُناسٌ لكم سورةٌ تُقصرّ عنها أكفّ البشرْ

يخبّرنا الناس عن فضلكمْ وفضلكمُ اليوم فوق الخَبَرْ

عقــدت لقــومٍ أُولي نجــدةٍ ... مِـن أهـل الحيـاء وأهـل الخطـرْ
مســاميحُ بــالموت عنـد اللقـا ... ءِ منّــا وإخواننــا مــن مضــرْ
ومــن حــيّ ذي يمَــن جلّــةٌ ... يقيمــون في النائبــاتِ الصَّــعَرْ
فكــلّ يـــسرّك في قومـــهِ ... ومــن قــال: لا فَبِفيــهِ الحَجَــرْ
ونحــن الفــوارس يــوم الــزبيرِ ... وطلحــةَ إذ قيــل أودى غُــدَرْ
ضربنــاهمُ قبـل نصـف النهـارِ ... إلى الليـل حتّـى قضـينا الـوطَرْ
ولم يأخذ الضـرب إلّا الـرؤوسَ ... ولم يأخــذ الطعــن إلّا الثُّغَــرْ
فـــنحن أُولئـــك في أمســـنا ... ونحــن كــذلك فــيما غــبَرْ

فلم يبق أحد [في ربيعة] من الناس به طرق، أو له ميسرة إلا أهدى للشنِّي، أو أتحفه(1).

ونقول:

القيادة لدى الأنبياء والأوصياء:

1 ـ إن الإسلام يقول: ليست القيادة للجيش، أو الولاية للبلاد، وشؤون العباد، امتيازاً للقائد، أو مكسباً دنيوياً له، وليست تسلطاً، وتحكماً بالناس، كما قد يتصوره بعض الحكام، وغيرهم .. وليست حكراً على الأقوياء، أو

(1) صفين للمنقري ص424 ـ 426 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص89 و 90 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص67 ـ 69.

الأغنياء، أو الوجهاء.. ولا ينبغي أن تبعث على الغرور، والشعور بالعنجهية والزهو، فإن هذه المعاني مرفوضة في الشرع والدين، وعند أهل الدين، وإن كان أهل الدنيا، والطامحون والطامعون يصرون على أن تكون كذلك.

والسبب في رفض هذه النظرة عند أهل العقل الراجح، وأهل الإيمان، وفي الأديان السماوية: أن هذه النظرة للحكم، والحاكمين تبعث على التنافس على المكاسب المحرمة، وتدعو إلى التحاسد البغيض، والتباغض المقيت. ويتحول المجتمع بسبب ذلك إلى بؤرة مؤامرات، ووشايات، وامتهان للصوصية والإجرام، والقهر والعدوان، والظلم، وهتك الحرمات، وينتهي الأمر بخراب الديار، وسلب الأمن والاستقرار، والتحول إلى نصب المكائد والمصائد، التي لا تبقي على ولد، ولا على والد، فإن الملك عقيم.

وهذا هو نموذج معاوية، ومن يختارهم معاوية للقيادة والولاية.. وهو نموذج يثمر سخط الخالق، وبؤس المخلوق وحقده، وهدم مستقبله، وتبخر سعادته.

2 ـ وفي هذا السياق الظالم والهدام جاء اختيار معاوية قادته من قريش ومضر، وكان اعتراض الفريق اليمني طبيعياً ومتوقعاً. ولكن معاوية لم يتراجع، بل هيمن على قرار أهل اليمن، بكلمات معسولة، وفارغة، وشعارات مبهمة وزائفة.

3 ـ أما أهل الحق والإيمان.. فإنهم يسيرون على خطى أولئك الأنبياء، والأوصياء، والشهداء، والعلماء، والأتقياء، فيرون أن الحكم والقيادة مسؤولية وتعاون، وبذل وعطاء، وتضحية، واستباق للخيرات، وتنافس في الخير، وفي الخدمة والإصلاح، والمعونة، ودفع الأسواء.

ويرون أيضاً: أن في الحكم حساباً، فيثاب الحاكم والقائد، على الإنجازات، ويعاتب على الهفوات، ويعاقب على الإساءات في الدنيا وفي الآخرة.

4 ـ ولذلك نجد: الإسلام انطلق في اختيار القائد، والوالي، والأمير والحاكم من القاعدة التي وضعها النبي «صلى الله عليه وآله» حين قال: «ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله»»(1).

والمقصود بأهل الرسول هم الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» القادرون على تحمل مسؤولية رعاية وهداية، وتدبير شؤون الأمة، من موقع العلم، والطهارة، والعصمة، والحكمة ومن موقع المحبة، والحنان، والرحمة، واليسر، حيث يكون الإمام للأمة كالوالد الرحيم.

كما قال النبي «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»(2).

---

(1) راجع: فتوح البلدان للبلاذري ج1 ص72 والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص277 ومكاتيب الرسول ج3 ص103.

(2) راجع: البرهان (تفسير) ج1 ص369 ومعاني الأخبار 52 و 118 وعيون أخبار الرضا ج2 ص85 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص91 وعلل الشرائع ص127 وكمال الدين ص261 والأمالي للصدوق ص65 و 411 و 755 وبحار الأنوار ج16 ص95 و 364 وج23 ص128 و 259 وج26 ص264 و 342 وج36 ص6 و 9 و 11 و14 و 255 وج38 ص92 و 152 وج39 ص93 وج40 ص45 وج66 ص343 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص264 وج10 ص455 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص300 وروضة الواعظين ص322 وخاتمة المستدرك ج5 ص14 والغارات للثقفي ج2 ص717 و 745 وكنز الفوائد ص186 والعمدة لابن البطريق ص345 والروضة في فضائل أمير

ويقول: «حق علي بن أبي طالب على هذه الأمة حق الوالد على ولده»[1].

المؤمنين ص133 وسعد السعود ص275 والعقد النضيد والدر الفريد ص70 والمحتضر للحلي ص73 والصراط المستقيم ج1 ص242 و 243 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص159 ونور الثقلين ج4 ص237 و 238 وكنز الدقائق ج1 ص286 وج2 ص440 ومفردات غريب القرآن ص7 وتفسير الآلوسي ج22 ص31 وبشارة المصطفى ص97 و 254 ونهج الإيمان ص625 و 629 وينابيع المودة ج1 ص370 ومشارق أنوار اليقين ص43 و 289 وغاية المرام ج1 ص177 و 250 وج2 ص179 و 211 وج3 ص70 وج5 ص118 و122 و 299 و301 و 303 وج6 ص66 و 155 و 166 و 167 وج7 ص128 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص100 و 227 و 366 وج5 ص95 وج7 ص216 وج13 ص77 وج15 ص518 و 519 وج20 ص230 وج22 ص280 و 282 و 346 وج23 ص580 و 621.

(1) راجع: فرائد السمطين ج1 ص397 وأمالي الشيخ الطوسي ج2 ص277 و (ط دار الثقافة) ص45 و 334 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص300 والعمدة لابن البطريق ص280 و 345 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص131 والمناقب للخوارزمي ص219 و 230 و (ط مركز النشر الإسلامي) ص310 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص48 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج2 ص271 و 272 وغاية المرام ص544 ولسان الميزان ج4 ص399 وميزان الإعتدال ج3 ص316 والصراط المستقيم ج1 ص242 وكتاب الأربعين للشيرازي ص73 وبحار الأنوار ج36 ص5 و 11 والغدير ج7 ص243 ومستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي ج8 ص72 وكتاب المجروحين لابن حبان ج2 ص122 والكامل لابن عدي ج5 ص243 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص307 و 308 ومناقب

وفي غيبة الإمام، كما هو الحال في زماننا هذا.. فإن الأمير على القوم ينبغي أن يكون منهم، لأنه الأعرف بشؤونهم، والمطلع على حالاتهم، أو أنه قادر على الاطِّلاع عليها.. ويكون هو الراعي الصادق، والطبيب الحاذق، لكل ما يظهر فيهم من أسواء، وأدواء.

نظرة في كلمات الشنِّي لأمير المؤمنين ×:

ونختار في هذا المورد فقرات ذكرناها في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج43 ص217 ـ 222 حول ما يستفاد من كلام الشنِّي، ومن شعره، وهو التالي:

أشار الشنِّي «رحمه الله» في كلامه، وفي شعره الذي أنشده في حضرته «عليه السلام» إلى أمور عديدة، نذكر منها:

أولاً: أشار في كلامه المنثور إلى ما يلي:

1 ـ ذكر: أن علياً «عليه السلام» على الهدى، وأن هدايته من الله تعالى.

2 ـ ذكر أن علياً «عليه السلام» ينظر بنور الله وما أبعد هذه النظرة عن نظرة القاسطين والمبطلين لقادتهم.

علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص180 وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص77 وبشارة المصطفى ص414 ونهج الإيمان لابن جبر ص629 وكشف اليقين ص300 وينابيع المودة ج1 ص369 و 370 وج2 ص76 و 238 ومعارج اليقين للسبزواري ص53 وغاية المرام ج5 ص296 و 298 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص488 و 491 و 492 وج17 ص25 و 26 و 27 وج21 ص577 وج23 ص272.

3 ـ إنه يريد لأمير المؤمنين «عليه السلام» المزيد من السرور. وهذا يشير إلى أن له بإمامه علاقة ومحبة قلبية خالصة وصادقة.

4 ـ إنه يقول: إن تصرفاته «عليه السلام» ونصبه وعزله للقادة إنما هو بتسديد من الله تعالى..

5 ـ إن المقدمات السابقة تنتج: أن على الناس التسليم والرضا بما يختاره ويقرره «عليه السلام»، والثقة بأنه لا يأمرهم إلا بما هو خير وصلاح..

6 ـ إن طاعتهم له «عليه السلام» تستند إلى مبررات إقناعية، ولا تستند إلى خوفهم منه ورهبتهم له، ولا إلى هيبة وعظمة السلطان..

وليست هذه الطاعة من نتاج الهيمنة التي تفرض عادة على الناس بقوة البطش، وبالإستناد إلى الجلاوزة والأعوان.. لأنه «عليه السلام» لا يحكم الناس بهذه الطريقة.. بل يحكمهم بمنطق الأبوة الحانية والحكيمة.

7 ـ وما أروع قوله: «أنت الأب ونحن البنون» وقوله: «أنت الإمام»، فهو يطيعه لأنه إمام، لا لأنه سلطان..

ويطيعه لأنه بالنسبة إليه بمثابة الولد، وهو «عليه السلام» بمنزلة الوالد له، يدبره من موقع المحبة والحكمة، والقدرة، والمعرفة الصحيحة..

وكأنه يقتبس هذا التعبير من القول المأثور عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[1]..

وقوله «صلى الله عليه وآله»: «حق علي بن أبي طالب على هذه الأمة،

---

(1) ذكرنا مصادر ذلك آنفاً.

كحق الوالد على ولده»[1].

8 ـ ثم هو يلخص النتيجة الطبيعية لمنطق الإمام والمأموم، والوالد والولد بقوله: «فعليك أن تقول، وعلينا أن نفعل، بكل ثقة ورضا، وطمأنينة وتسليم».

9 ـ والأمر الآخر الذي ألمح إليه الشنيّ هنا هو ظهور فضل وعظمة الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، حتى أصبحا هما الرجلان اللذان يشعر الناس بالحاجة إليهما بعد أبيهما «عليه وعليهما الصلاة والسلام»، ويرون فيهما ضمانةً للاستمرار والإستقامة على طريق الخير والصلاح والهدى، والفلاح، وهما اللذان تتعلق بهما الآمال، وتسكن إليهما النفوس.

ثانياً: إن الشنيّ «رحمه الله» قد ألمح في شعره الذي أنشده في حضرة أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى العديد من الأمور، ومنها ما يلي:

1 ـ إن الناس قد أصبحوا يشعرون بالفضل، وعظمة، وبركات وجود أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما بينهم.. وكذلك الحال بالنسبة لولديه الإمامين الحسنين «عليهما السلام».

2 ـ إنهم يشعرون أن هذا الوجود معطاء وفاعل، يفيض عليهم ولهم وفيهم أنوار الهدايات، وليس وجوداً منعزلاً عنهم، ولا يحيط نفسه بالحجب والموانع التي تجعله بالنسبة إليهم موجوداً آخر، مفعماً بالألغاز، وبالأسرار والإبهامات التي لا تنتهي عند حد.

3 ـ إنه وولداه «عليهم السلام» قد تغلغلوا إلى أعماق النفوس، وصاروا

(1) ذكرنا مصادر ذلك آنفاً.

جزءاً من ضمير ووجدان كثير من الناس، ومن قناعاتهم ومرتكزاتهم.. وقد تكونت لهم درجة من الإعزاز والمحبة لديهم.

4 ـ لقد أدرك الكثيرون أيضاً بالرغم من قرب عهدهم بالتعرف على علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وقصر المدة التي عاشوها بينهم: أن لهم مقاماً عند الله، تقصر عن نيله أكف البشر، فهم أناس غير عاديين.

5 ـ إن المعاينة والمشاهدة لم تكن وحدها مصدر معرفة الناس بهم «عليهم السلام»، بل كانوا يسمعون من الناس الكثير عن مقامهم وفضائلهم.

6 ـ إن الناس بعد مشاهدتهم لهم «عليهم السلام» عن قرب وجدوا أن ما عاينوه أكبر بكثير مما سمعوه، وأن الكلمات كانت عاجزة عن احتواء فضلهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، وأن الأسماع والقلوب لا تستطيع أن تستوعب ما تسمعه عنهم، وما يظهر لها فيهم.

لا تخلُّوا بمركز، ولا تباشروا حدثاً:

ذكر العياشي وغيره: أن علياً «عليه السلام» قد نهى في صفين العباس بن ربيعة، والحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر أن لا يخلوا بمركز، أو يباشروا حدثاً[1].

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص235 ـ 243 و (ط دار الأضواء) ج3 ص141 ـ 145 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص600 و 59 وتفسير العياشي ج2 ص79 ـ 80 والبرهان (تفسير) ج2 ص108 وكشف الغمة ج1 ص450 و 451 ومطالب السؤول ص124 و (ط أخرى) ص164 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص219 عن عيون الأخبار ج1 ص179 ـ 181 ومروج الذهب

ونقول:

قد يقال: إن هذا النص لا يمكن قبوله، لدلالته على إمكان صدور المخالفة من الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقد يخالفان أوامر أبيهما، ويخلان بمركز أحدهما أو كليهما، أو يدفعان غيرهما للإخلال بمركزه، من خلال بعض المطالب منه.

كما أنهما قد يتصرفان بصورة اقتراحية منهما بما يوجب بلبلة، أو يحرك ساكناً، أو يهيج قتالاً.

وهذا ينافي صفة العصمة التي أكدت عليها آية التطهير، وغيرها من النصوص. كما أنه قد يلحق الضرر، ويعرض الناس للخطر، ويفسد التدبير الذي يراد له أن يكون الحاكم على مسار الأمور.

ونجيب:

أولاً: إن نصوص الرواية المتقدمة مختلفة، كما يعلم بمراجعة المصادر التي في هامشها، والمقارنة بينها، فرواية ابن أعثم تقول: إن علياً «عليه السلام» أمر العباس بن ربيعة وعبيد الله بن العباس: أن لا يخلا بمركزيهما إلا بإذنه «عليه السلام»، ولم تذكر الحسن والحسين «عليهما السلام» بشيء.

ولكن رواية العياشي ذكرت العباس والحسن والحسين «عليهم السلام»، وعبد الله بن جعفر..

ثانياً: لو أخذنا برواية العياشي، فإننا نقول:

قد يكون تعميم هذا النهي ليشمل الحسنين «عليهما السلام» بصورة حازمة

ج3 ص18 ـ 20 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج18 ص119 و 120.

وجازمة، ليعلم أن المقصود الحقيقي بهذا النهي هو أن المخالفة في هذا المورد ستكون على درجة كبيرة من الخطورة.. وهذا نظير قوله تعالى لنبيه: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾(1).

وقوله سبحانه عنه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾(2).

مع أن ذلك لا يصدر عن سيد الكائنات، وأفضل المخلوقات.

فيكون نهي علي «عليه السلام» ولديه عن أن يخلا بمركزهما، أو يباشرا حدثاً، إنما هو ليؤكد للآخرين حتمية رعاية هذا الأمر، بسبب خطورته البالغة.

ثالثاً: قد يكون من فوائد التنصيص على الحسن والحسين «عليهما السلام» الحفاظ على مشاعر العباس بن ربيعة، وابن جعفر، وسواهما لكي لا يتوهم أحد: أن علياً «عليه السلام» يسيء الظن بهما في ذلك.

رابعاً: إن علياً «عليه السلام» لو لم يذكر ولديه مع الآخرين لفهم من ذلك أنه تمييز أبنائه على غيرهم، وهذا يثير هواجس الناس، ويقوي لديهم احتمال تدخل الهوى والعصبية في التعامل، وهذا يضر بمعنى العصمة والعدالة، ويخل بمستوى الإرتباط المطلوب لهم في الإمام والقائد..

فاللازم إذن، هو أن يتعامل مع الناس كلهم، بما فيهم أبناؤه، بما هو مطالب بإنجاز واجب لا يحق له التفريط فيه.

---

(1) الآية 65 من سورة الزمر.

(2) الآيات 44 ـ 46 من سورة الحاقة.

الفصل الثالث

من ميدان القتال في صفين..

الإمام الحسن × وعبيد الله بن عمر:

قال المنقري: وبعث عبيد الله بن عمر إلى الحسن [الحسين خ.ل] بن علي «عليه السلام»، فقال: إن لي إليك حاجة، فالقني.

فلقيه الحسن [الحسين] «عليه السلام» فقال له عبيد الله: إن أباك قد وتر قريشاً أولاً وآخراً، وقد شنئوه، [وذكروا: أنه هو الذي قتل عثمان]، فهل لك أن تخلفه [تخلعه وتحالف غيره]، ونوليك هذا الأمر؟!

قال: كلا والله لا يكون ذلك.

ثم قال له الحسن [الحسين]: لكأنّي أنظر إليك مقتولاً في يومك، أو غدك.

أما إن الشيطان قد زين لك وخدعك، حتى أخرجك مخلقاً بالخلوق، تُري نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله، ويبطحك لوجهك قتيلاً.

قال: فو الله ما كان إلا كيومه أو كالغد، وكان القتال[1].

وعند ابن أعثم:

إن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لعبيد الله: كلا والله لا أكفر بالله،

---

(1) صفين للمنقري ص297 وبحار الأنوار ج32 ص480 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص233.

وبرسوله، وبوصي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إخس ويلك من شيطان ماردا! فلقد زين لك الشيطان سوء عملك، فخدعك حتى أخرجك من دينك باتِّباع القاسطين، ونصرة هذا المارق من الدين، لم يزل هو وأبوه حربين وعدوين لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فوالله ما أسلما، ولكنهما استسلما خوفاً وطمعاً!

فأنت اليوم تقاتل عن غير متذمم، ثم تخرج إلى الحرب متخلقاً، لترائي بذلك نساء أهل الشام، ارتع قليلاً، فإني أرجو أن يقتلك الله عز وجل سريعاً.

قال: فضحك عبيد الله بن عمر، ثم رجع إلى معاوية، فقال: إني أردت خديعة الحسين وقلت له: كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته.

فقال معاوية: إن الحسين بن علي لا يخدع وهو ابن أبيه(1).

ونقول:

1 ـ اختلفت المصادر لهذه الرواية في تحديد الذي قابل ابن عمر، هل هو الحسن أو الحسين «عليهما السلام» ولعل تقارب رسم الكلمتين هو السبب في هذا الإختلاف، لأن ذلك من أسباب التصحيف، والإشتباه بين الكلمتين، ومن ثم بين الشخصين.. واحتمال أن يكون قدكلم الحسن تارة، والحسين أخرى، فباء بالفشل.. احتمال وارد أيضاً.

2 ـ إذا أردنا أن نرجِّح ونستقرب أحد الإحتمالين، فلعلنا نأخذ جانب الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد كان يروق لمعاوية وفريقه أن يبذلوا محاولة

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج3 ص39 و 40 و (ط دار الأضواء) ج3 ص57.

مع الإمام الحسن «عليه السلام»، الذي بلغ في حلمه، وسياسته وقدراته في التحمل والمداراة حد اعتباره حليم أهل البيت.

وكان من الطبيعي: أن تبرز في كل واحد من الأئمة صفة أو صفات يتلمسها الناس فيه، وربما كان هو الذي اختار أن يتعامل بتلك الميزات مع الواقع والدور العملي الذي كان يتطلبها..

ولعل هذه الوداعة والمداراة جعلت حتى أعداءه يتوسمون فيه الرقة لعثمان فيما جرى له، ولاسيما إذا كان قد عرض على عثمان المساعدة حين حوصر في حلِّ مشكلته مع الثائرين. كما أنه قد أوصل الماء إليه حين كان محاصراً.

وإن كان محبو عثمان قد ضخَّموا ذلك، وبالغوا فيه حتى زعموا أنه كان عثمانياً، ونسبوا إليه الأباطيل في هذا السبيل..

3 ـ اللافت: أن عبيد الله بن عمر يذكر للإمام الحسن «عليه السلام»: أن علياً «عليه السلام»، وتر قريشاً أولاً وآخراً، ليبرر طلبه من ابن علي بالذات خلع علي «عليه السلام»!!

ومراده: أن علياً «عليه السلام» قد وتر قريشاً أولاً في حربه لهما في بدر، وأحد، وحنين، دفاعاً عن رسول الله وعن المسلمين وعن دين الله، حين جاءت قريش لقتل الرسول ومن معه، ومحق دين الله..

فهل يصلح هذا مبرراً، لأن يخلعه ولده الذي نشأ وترعرع في أحضان هذا الدين، وآمن به ورأى فيه كل خير وسعادة ومجد؟!

وهل يمكن أن يعد ما فعله علي «عليه السلام» بقريش لدفع شرها، وإبطال كيدها ذنباً يستحق أن يخلع من موقعه الذي جعله له الله تعالى ورسوله،

ولاسيما مع بيعة الناس له، وأن تنكث بيعته؟!

وإذا سوَّغ ناقص العقل والدين ذلك لقريش، لأن علياً «عليه السلام» قد وترها، فكيف يسوغ لابن علي المؤمن بما يؤمن به علي «عليه السلام»، والمستهدف بمؤامرات قريش كأبيه أن يباشر خلع أبيه؟!

وأما أنه «عليه السلام» وتر قريشاً آخراً، فهو يقصد به ما جرى في حرب الجمل، ثم ما يجري في صفين أيضاً.. وهي حروب قائمة على البغي والظلم، ونكث البيعة، وتجاهل نصوص القرآن، وأقوال وتدبيرات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن هذه الحروب، وأدانها، وحذَّر الناس، وقادة تلك الحروب من الدخول فيها.

فكيف صارت هذه الحروب بالذات مبرراً لخلع علي «عليه السلام»، وليست مبرراً للتصدي للظالم والباغي على إمامه، والناكث لبيعته؟!

4 ـ والأنكى من هذا وذاك: أنه يطلب من الإمام الحسن أن يخلع أباه، لكي يوليه نفس هؤلاء البغاة والناكثون، والظالمون والقاسطون الخلافة بعده!!

وهل نسي هؤلاء أن الله سبحانه أمر رسوله، وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتثل أمر ربه، وبادر إلى نصبه إماماً للأمة، وجعله الله ورسوله إماماً ووصياً بعد أبيه، ووليا للأمر من بعده؟!

وهل يؤمن الناكثون والقاسطون، والبغاة على إمامهم، والمحاربون للحق وأهله، والمتمردون على الله ورسوله ووصيه ـ هل يؤمن هؤلاء ـ على مصالح الأمة، وعلى الوفاء بالعهود، وهم الناكثون لها؟! ومن الذي جعل مصير ومستقبل الأمة بيدهم؟! ومن الذي أعطاهم حق التولية والعزل، وإبطال تدبير الأنبياء

والرسل والأوصياء؟! وما المبرر لاختيار معاوية الإمام الحسن لمقام الخلافة، ولماذا لا يختار نفسه، أو لا يختار ابنه يزيد، أو أي فاسق، أو فاجر آخر من الشجرة الملعونة في القرآن؟!

5 ـ ولعل ما تقدم يشير إلى السبب الذي دعا الإمام الحسن «عليه السلام» لأن يقول: «كلا، والله لا يكون ذلك أبداً».. ولم يقل: كلا والله، لا أفعل، أو لا أقبل ذلك.. لأنه لو قال هذا، لاحتمل أن ما يمنعه هو عزوفه شخصياً عن ذلك، وليس هو وجود مانع شرعي، أو عقلي في نفس الفعل.

6 ـ ولنفترض أنهم قد نصبوا الإمام الحسن «عليه السلام» للخلافة، فهل سيكون الخليفة القوي، والقادر على إجراء سياساته، أو أنه يكون صورةً لحاكم ضعيف وهزيل، ليس له من يساعده، ويحميه ويعينه؟!

كما أنه لن يكون الخليفة الذي تحبه قريش، إذا كان أبوه قد وترها أولاً، وآخراً.

7 ـ وهل خلع الإمام الحسن لأبيه يزيل أباه من موقعه الذي كرسته له النصوص النبوية، والآيات القرآنية؟! بالإضافة إلى بيعة الناس له يوم الغدير، وبعد قتل عثمان؟!

ولماذا لا تكون كلمة أبيه هي الأعلى والأغلى، وهي التي يرضاها الناس، ويلتزمون بها، ولاسيما مع إجماعهم عليه، وإعطائهم البيعة له، حسبما أشرنا إليه؟!

8 ـ ويبدو لنا: أن عبيد الله بن عمر يحسب أن الإمام الحسن على شاكلته، فهو يخون عهده، وينكث بيعته، ويخرج على إمامه، ويحاربه، ويقتل المؤمنين، ويكون عوناً وعضداً للظالمين. ويريد من الإمام الحسن المجتبى، الإمام المنصوب

من الله ورسوله أن يتخذه إماماً وقائداً، يعطيه قياده، ويرهن مصيره بقراره!!

مفاجأة الحسن × لابن عمر:

ثم فاجأ الإمام الحسن «عليه السلام»، ابن عمر بخبر مذهل له، وهو من أخبار الغيب التي طالما وجد الناس صدقها في الحالات المماثلة، فقد أخبره بأنه مقتول في نفس ذلك اليوم، أو في غده.. وهذا الخبر لا يمكن أن يعرف بالإجتهاد، أو ينال بالفكر.. بل يناله البشر من وسيلة متصلة بالغيب الإلهي.

ثم دلَّل له على حتمية حدوث ذلك بخبر آخر، لا يعرفه إلا ابن عمر نفسه، ولا يمكن أن يطلع عليه غيره إلا منه، أو ممن يتصل بالغيب، وهو أنه جاء للحرب، وهو يتحمس للقتال ليتباهى بذلك أمام نساء أهل الشام.. وأن هذا هو الذي دعا ابن عمر للتخلق بالخلوق (وهو الطيب) في مسيره ذاك.

واللافت: أن هذين الخبرين لم يردعا عبيد الله بن عمر عما كان بصدد القيام به، ولعل الإمام الحسن كان يعرف ذلك، فأراد للناس: أن يعرفوا أيضاً أنه كان لا يؤمن بما يخبره به أهل بيت العصمة والطهارة، مما أبلغهم إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولا نستبعد أن يكون معاوية كان يحب لابن عمر أن يقتل.. لكي يشنع به معاوية على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليحرك الناس ضده مستفيداً من موقع عمر بن الخطاب وعظمته في نفوس العرب بصورة عامة، بسبب الإمتيازات غير المرضية التي منحهم إياها.

وقد قتل ابن عمر في تلك الحرب كما أخبره الإمام الحسن، ولم ينتطح فيه عنزان..

وقد علم بذلك: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان مطلعاً على الغيب، حتى بالنسبة لابن عمر نفسه، وأنه لا يحتاج إلى ترهات وحدسيات وخدع ابن عمر..

ثم إن ما ذكره ابن أعثم في الفتوح من كلام جرى بين الإمام الحسين «عليه السلام» وعبيد الله بن عمر، قد ذكرناه في كتابنا سيرة الحسين ج8، وتكلمنا عن بعض ما يرتبط به، فيمكن مراجعته هناك لمن أحب ذلك.

ابن علي وابنا الرسول:

روى العباس بن بكار، قال: حدثنا أبو بكر الهذلي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما كان يوم من أيام صفين دعا علي «عليه السلام» ابنه محمداً ابن الحنفية، فقال له: شدَّ على الميمنة.

فحمل محمد مع أصحابه، فكشف ميمنة عسكر معاوية. ثم رجع وقد جرح، فقال: العطش العطش، فقام إليه أبوه «عليه السلام» فسقاه جرعة من الماء، ثم صب الماء بين درعه وجلده، فرأيت علق الدم يخرج من حلق الدرع.

ثم أمهله ساعة، ثم قال: يا بني، شد في الميسرة.

فحمل مع أصحابه على ميسرة معاوية، فكشفهم، ثم رجع وبه جراحة، وهو يقول: الماء الماء، فقام إليه، ففعل مثل الأول.

ثم قال: شد على القلب، فشد عليهم فكشفهم، ثم رجع وقد أثقلته الجراحات وهو يبكي.

فقام إليه أبوه «عليه السلام» فقبل ما بين عينيه، وقال: سررتني فداك أبوك، لقد سررتني ـ والله ـ يا بني بجهادك بين يدي، فما يبكيك؟! أفرح؟!

أم جزع؟!

فقال: كيف لا أبكي وقد عرضتني للموت ثلاث مرات، فسلمني الله تعالى، وكلما رجعت إليك لتمهلني عن الحرب فما أمهلتني، وهذان أخواي الحسن والحسين «عليهما السلام» ما تأمرهما بشي؟!

فقبل «عليه السلام» رأسه وقال: يا بني، أنت ابني، وهذان ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أفلا أصونهما عن القتل؟!

قال: بلى، يا أبتاه، جعلني الله فداك وفداهما[1].

ونقول:

في هذا النص دلالات وإيحاءات غير مقبولة، نذكر منها ما يلي:

1 ـ إن علياً كان يقهر أبناءه على فعل ما لا رغبة لهم في فعله..

وهذا يعطي: أنه يمكن الشك في أن تكون مشاركة أبنائه «عليه السلام» في حروبه ضد أعدائه عن قناعة وإيمان بحقه فيها..

وبذلك يمكن نسبة العثمانية إلى الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، وأخيهما محمد «رحمه الله» جميعاً، أو أنهم لا يؤيدون سياسات أبيهم على الأقل.

2 ـ تدل هذه الرواية على قسوة قلب علي «عليه السلام»، فلا يراعي حال ولده الجريح، ولا يرأف به، ولا يتفقد جرحه النازف، ومدى خطورته، فكيف

---

(1) راجع: ذوب النضار لابن نما ص56 و 57 وبحار الأنوار ج45 ص348 و 349 وج42 ص105 و 106 والعوالم (الإمام الحسين) ص668 وشجرة طوبى ج2 ص321 و 322 ودرر الأخبار لحجازي خسروشاهي ص296 ـ 298.

تكون حاله مع الآخرين؟!

3 ـ إنه «عليه السلام» لا يراعي قواعد الإنصاف مع أولاده، فكيف بغيرهم.. فيحمِّل أحدهم أكثر مما يطيق، ويعرِّضه للأخطار، ويترك الباقين في راحة وأمان.

4 ـ إن قتال ابن الحنفية في صفين إذا كان تحت وطأة الضغط والفرض، والإكراه، فإنه لا ثواب له فيه، حيث لم يكن فيه نيَّة الجهاد والتقرب إلى الله.

5 ـ إن بكاء ابن الحنفية لأبيه يعطي صورة سلبية عن ابن الحنفية، وأنه بالرغم من شجاعته وقوته، لكنه ضعيف النفس إلى حد أنه لم يفرح بالنصر الكبير الذي حققه، بل كان كل همّه منصرفاً إلى معرفة سبب تقديم أخويه عليه.. ثم هو يبكي لأبيه كطفل عاجز، من أجل أمر ناشئ عن التنافس الطفولي مع من يراهم أقرانه.. ولا نريد أن نعتبر ذلك من موارد التحاسد بينهم، أو هو على الأقل ينم عن حسد من ابن الحنفية لأخويه.

6 ـ تزعم الرواية: أن ابن الحنفية ادَّعى: أن أباه لم يمهله حين عاد إليه منهكاً وجريحاً، بل أعاده لساحة القتال مرة بعد أخرى.. مع أن الرواية نفسها تصرح: بأنه «عليه السلام» أمهله ساعة، ثم أصدر إليه أمره التالي.

7 ـ إن ما شكا وبكى منه ابن الحنفية لا واقع له.. فإن ما طلبه أمير المؤمنين «عليه السلام» من محمد، هو مجرد حملات ثلاث لا تستغرق كل واحدة منها ساعة، وينتهي منها، ويرجع مع من معه إلى مواقعهم المحددة لهم..

ولكن الحسن والحسين كانا في موقع قيادة خيل الميمنة، أو أزيد من ذلك، فالخطر عليهما دائم، وجهدهما وجهادهما مستمر، والإستهداف لهما من فرسان

أهل الشام متواصل.. فتحتاج هذه المهمات إلى المزيد من الشجاعة، والمهارة القتالية، والبصيرة، والثبات..

8 ـ يلاحظ: أن علياً «عليه السلام» لم يزد في جوابه لولده على قوله: أنت ابني، وهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أفلا أصونهما عن القتل؟!

قال: بلى يا أبتاه، جعلني الله فداك، وفداهما.

أي أن الله تعالى أوجب على علي «عليه السلام» صون الحسنين «عليهما السلام» من القتل، لأن لهما موقع الإمامة والطهارة، والعصمة، ولهما مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نشر الدين، وحفظه، وفي رعاية وهداية الأمة..

ومن جهة الحسنين «عليهما السلام» نقول:

إنه في هذه الحالة إذا كان هناك تكليف خاص بهما، فيجب عليهما المبادرة إلى امتثاله، كالمشاركة في تلك الحروب، لأن عدم مشاركتهما يوجب الشبهة لدى الناس، ويفسح المجال للشائعات المغرضة، والمؤثرة تخاذلاً وانكفاءً عن الحرب، فإذا أشركهما أبوهما فيها كقادة أكفاء، فإن ذلك يقطع الطريق على أهل الباطل.

وإن كان هناك واجب كفائي يمكن أن يقوم به غيرهما ـ كولده محمد، أو نفس أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ فإنه «عليه السلام» يوكل إلى من يقوم به.

لِمَ يغرر بك أبوك:

وقالوا:

قيل لمحمد ابن الحنفية: لِمَ يغرر بك أبوك في الحرب، ولا يغرر بالحسن والحسين؟!

فقال: إنهما عيناه وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه[1].

وقال «رحمه الله» مرة أخرى ـ حين سئل عن ذلك ـ: أنا ولده، وهما ولدا رسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

وقالوا: كان علي «عليه السلام» يقذف بمحمد في مهالك الحرب، ويكف حسناً وحسيناً عنها[3].

ونقول:

العينان هما الأساس:

إن محمد ابن الحنفية قد اعتبر أن الحسنين «عليهما السلام» هما عينا أبيه، ومحمد يمينه التي يدفع بها عن عينيه.. وهي كلمة دقيقة وعميقة، وتحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

1 ـ إنه «رحمه الله» جعل أباه هو المحور الذي ترتبط به حركة أبنائه، وهو

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244 وج11 ص28 وبحار الأنوار ج42 ص99 و 96 وج45 ص348 وشجرة طوبى ج2 ص321 والمستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي ص260 وراجع: كشف الغمة ج2 ص235 وذوب النضار لابن نما ص55 والعوالم، الإمام الحسين ص668 وقاموس الرجال ج9 ص245 و 246 والدر النظيم ص438 وشذرات الذهب ج1 ص89 وعن الإشراف للسمهودي ص51 وشرح إحقاق الحق ج19 ص318 والمحجة البيضاء ج4 ص225.

(2) بحار الأنوار ج42 ص96 وكشف الغمة ص183 و (ط دار الأضواء) ج2 ص235.

(3) بحار الأنوار ج42 ص99 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244 وشجرة طوبى ج2 ص321.

الذي يتحكم بهذه الحركة، ويتصرف بها، بحسب ما تقتضيه ظروف وحاجات ذلك المحور.

2 ـ من الواضح: أن الإنسان المسؤول لا يتحرك إلا وفق ما هو ثابت لديه، ويمكن أن يعول عليه.. وما يكون أوثق في نفسه، وأولى بالإعتماد هو ذلك الذي يكون حاضراً لديه، ومشاهداً له..

وهذا إنما يكون في الأمور المحسوسة والقريبة.. أما ما هو بعيد عنه، ويريد التعاطي معه، ويحتاج إلى كشفه، وتحصيل اليقين فيه، فقد يصل إليه بوسائل خاصة كالوحي الذي يأتيه بالخبر اليقين، أو بالوسائل المتوفرة له بما هو إمام، كعمود النور الذي يرى فيه أعمال الخلائق.. فيما يحتاج إليه من توفر مبررات الشهادة على الخلق، فيما هو من شؤون يوم القيامة مثلاً، وبغير ذلك من أحوال تعني مقام الإمامة بالخصوص.

وإن كان ما يريد كشفه من شؤون الدنيا التي يكون للبشر فيها ـ على اختلافهم ـ حقوق وأدوار، فيحتاج إلى وسائل كشف تحقق له اليقين والعذر، والحجة.. تغنيه عن مشاهدة البعيد.

وهنا يكمن دور الحسنين «عليهما السلام»، فإنهما العينان اللتان يمكن لأمير المؤمنين أن يرى فيهما الأمور البعيدة عنه، بحيث تخوِّله هذه الرؤية والمشاهدة ترتيب آثار الحضور والمشاهدة الشخصية، لأنهما يكشفان جميع الحالات، ويزيلان الإلتباسات، ويريان الأمور كما يراها هو، على ما هي عليه في الحقيقة والجوهر ومالها من وجوه وخفايا.

أما ابن الحنفية.. فإنما يرى ظواهر الأمور، ولا يمكنه سبر بواطنها، وخفاياها، ولو في الغالب.. وهذا، وإن كان يكفي في بعض الأحيان، لكن

الإمام المعصوم قد يحتاج إلى ما هو أبعد من الظاهر أحياناً أخرى..

3 ـ وقد علم من ذلك: أن حفظ الحسنين حفظٌ لمقام الإمامة فيهما، وهما من أعوان أبيهما «عليه السلام» فيما يحتاج فيه إلى كشف الواقع كشفاً تاماً وحقيقياً، وليس حفظهما مجرد حفظ لأخوين في النسب، أو قضاء لحق الأبوة والأخوة، وطاعة، وبراً بالأب والأخ.. بل هو حفظ للأهداف الإلهية، وأداء لحق الأمة في الإمامة وحفظها، وبر بالأب، ووفاء بحق الأخ.

4 ـ إن محمد ابن الحنفية كان يعرف قيمة الحسنين «عليهما السلام»، وموقعهما من هذا الدين، وما لهما من مقام جميل وجليل عند الله، وأن حفظ حياتهما حفظ للدين وأهله.. ولذلك، فإن كل غال يرخص لهما، وكل نفيس سيهون لأجلهما، بما في ذلك الأرواح، فضلاً عما سواها.. ولذلك كان علي «عليه السلام» يدفعه إلى اقتحام الأخطار لدفع الأشرار.. لأنه يريد أن ينيله ثواب الدفاع عن دين الله، وعن أوليائه، وحفظته.

حفظ نسل رسول الله:

1 ـ ومن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» في يوم صفين: املكوا عني هذين الفتيين، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

2 ـ بعد عودته «عليه السلام» من صفين جرى الحديث عن أمر صفين،

---

(1) بحار الأنوار ج42 ص99 وشجرة طوبى ج2 ص321 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص244. وراجع: عمدة الطالب ص66 وكشف الغمة ج2 ص235 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج19 ص318 عن الإشراف على فضل الأشراف للسمهودي (النسخة المصورة من المكتبة الظاهرية في دمشق أو الأحمدية في حلب) ص51.

فكان مما قاله «عليه السلام»: إن هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ إن هلكا انقطع نسل محمدٍ من هذه الأمة، فكرهت ذلك[1].

3 ـ وقال «عليه السلام»: «فوالله ما منعني أن أمضي على بصيرتي إلا مخافة أن يقتل هذان ـ وأومأ بيده إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ فينقطع نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وذريته من أمته، ومخافة أن يقتل هذا وهذا ـ وأومأ بيده إلى عبد الله بن جعفر، ومحمد ابن الحنفية «رضي الله عنهما» ـ فإني أعلم لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف»[2].

وحين رجع علي «عليه السلام» من صفين إلى الكوفة، وبلغ مشارفها التقى عبد الله بن وديعة الأنصاري، فسأله عما يقوله الناس فيما جرى في صفين.

فقال له: منهم المعجب به، ومنهم الكاره له.

فقال له: فما يقول ذوو الرأي؟!

قال: يقولون: إن علياً «عليه السلام» كان له جمع عظيم، ففرقه، وحصن حصين، فهدمه، فحتى متى يبني مثل ما قد هدم، وحتى متى يجمع مثل ما

(1) بحار الأنوار ج42 ص96 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص61 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص44 والكامل في التاريخ ج3 ص324 وصفين للمنقري ص530 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص492.

(2) الخصال (مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1424 هـ ق) ج2 ص400 ـ 418 و (ط أخرى) ج2 ص14 ـ 25 و (منشورات مركز النشر الإسلامي سنة 1403هـ) ص364 ـ 382 والإختصاص ص163 ـ 181 وبحار الأنوار ج38 ص167 ـ 184 وحلية الأبرار ج2 ص359 ـ 381 وغاية المرام ج4 ص317.

قد فرق؟!

فلو أنه كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظهره الله، أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم.

فقال علي «عليه السلام»: أنا هدمت؟! أم هم هدموا؟! أم أنا فرقت؟! أم هم فرقوا؟!

وأما قولهم: لو أنه مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه، فقاتل حتى يظفر، أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم.

فوالله ما غبي عني ذلك الرأي، وإن كنت لسخياً بنفسي عن الدنيا، طيب النفس بالموت.

ولقد هممت بالإقدام [على القوم]، فنظرت إلى هذين [قد ابتدراني ـ يعني الحسن والحسين ـ ونظرت إلى هذين] قد استقدماني ـ [يعني عبد الله بن جعفر، ومحمد بن علي] ـ فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد من هذه الأمة، فكرهت ذلك.

وأشفقت على هذين أن يهلكا، وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما ـ يعني محمد بن علي، وعبد الله بن جعفر ـ.

وأيم الله، لئن لقيتهم بعد يومي، لألقينهم وليس هما معي في عسكر، ولا دار(1).

ونقول:

---

(1) صفين للمنقري ص529 و 530 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص61 والكامل في التاريخ ج3 ص323 و 324.

هنا سؤال يقول: إن الحسنين «عليهما السلام» كانا رهن إشارة والدهما، لا يعصيان له أمراً، ولا يتخلفان عن مواضع رضاه، فلماذا لا يأمرهما بتحاشي الدخول في مواضع الخطر، وينتهي الأمر، ولا يحتاج إلى الطلب من الناس أن يملكوهما عنه، ويمنعوهما من المخاطرة بأنفسهما؟!

ونجيب:

عرفنا مما تقدم: أن تكليف علي «عليه السلام» هو أن يحفظ الحسن والحسين «عليهما السلام» لحفظ مقام الإمامة التي هي في نسل الرسول «صلى الله عليه وآله» لكي يستمر نهج النبوة، وتتحقق أهدافه «صلى الله عليه وآله»، وأهداف جميع الأنبياء والمرسلين، والصالحين، ولا تضيع دماء الشهداء وتضحيات الأخيار من لدن آدم «عليه السلام»، وإلى النبي الخاتم «صلى الله عليه وآله».

أما الحسنان «عليهما السلام»، فلهما تكليف آخر، وهو: أن يباشرا الجهاد بكل طاقاتهما، لكي يمنعا الشكوك والأوهام، والشائعات المغرضة، ووسوسات أهل الباطل التي تريد التشكيك بحقانية موقف علي «عليه السلام»، ولو بادِّعاء: أن أبناءه لا يتحمسون للمشاركة الفاعلة في حروبه، ولو اقتنعوا بصوابية سياساته، لبذلوا مهجهم في الدفاع عنه.

وهذا المعنى قد يحمل الآخرين من أنصاره على التخاذل وعدم الجدية في نصرته.. مما يؤدي إلى الشك في صدقية أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حق الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

بل قد تتفاقم الأمور إلى حد وهن معنى النبوة في نفوس بعض الناس من البسطاء وغيرهم. وبذلك يضعف أمر الدين، وأهله، وربما انتهت الأمور بما لا

تحمد عقباه من الخذلان والبوار، وظهور الأشرار والفجار على أهل بيت النبوة الأطهار.. بعد أن بلغ الأمر حدَّ الريب في قداسة النبي، وصحة وقداسة القرآن، وفي عدل الرحمان.

فكان لا بد للناس أن يعاينوا جهاد الحسنين، وتفانيهما في نصرة الحق.. ولا بد لعلي «عليه السلام» أن يسعى لتقليل نسبة الخطر التي يتعرضان لها.. كما أن عليه أن لا يمنع الحسنين من فعل ما يكون واجباً عليهما وجوباً عينياً، وليس كفائياً، كالصلاة مثلاً، فاختار طريقة من شأنها أن تلفت الناس إلى ما يجب أن يلتفتوا إليه، وتفيد في التخفيف من حدة الأخطار التي تتهددهما، وتحفظ لهما حرية امتثال ما أمرهما الله به.

هذا هو هدف الشجرة الملعونة:

قد يحق للباحث أن يحتمل: أن هدف حديث أمير المؤمنين «عليه السلام» عن حفظ نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الإنقطاع هو لفت نظر الناس إلى أن هدف معاوية ومن معه من فروع الشجرة الملعونة في القرآن: هو قطع نسل الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، حتى لا يبقى منهم نافخ ضرمة، ولاسيما أمثال الحسن والحسين، الذين يحملون سمات الإمامة وصفاتها، ولديهم علومها، وأخلاقياتها، وحالاتها، وتجلياتها في معاني العلم، والعصمة والطهارة، والتقوى، والخير والصلاح، وكل فضيلة جليلة، وخصلة جميلة.. لأن هؤلاء هم الذين أمر الله بحبهم، ومودتهم، وتقديسهم، وهم الذين يسوسون الناس بما يرضاه الله، ولا يجاريهم ولا يباريهم أحد في الفضل والكرامة، فكيف إذا كان من يريد ذلك من القتلة والمجرمين.

فظهر: أن هذه الكلمة قد عالجت أموراً عديدة، منها ما هو عقائدي، ومنها ما هو شائعات وأباطيل، تهدف إلى التزييف والتحريف، والتضليل.. ومنها ما يدخل في سياق التوضيح والتصحيح لمفاهيم خاطئة. وغير ذلك.

وذلك كله يؤكد حقيقة: أن يكون قادراً على توقع ما سيكيده به الأعداء، ويؤسس ويمهد لإبطاله، وربما كانت بصيرته فيهم، ومعرفته بطبائعهم ونفسياتهم وأخلاقهم، وما يفكرون به، وما يطمحون إليه، ربما كانت خبرته هذه معينة له على توقع ذلك.

قيمة الحسنين ' عند علي ×:

1 ـ وقد تقدم: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما رضي بالتحكيم، وانصرف عن مواصلة الحرب في صفين، لخوفه على الحسن والحسين «عليهما السلام» أن يقتلا، فينقطع بذلك نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وذريته من أمته.. الذي يعني انقطاع نظام الإمامة، لاسيما وأن الإمام زين العابدين إنما ولد في سنة ثمانية وثلاثين للهجرة أي بعد حرب صفين.. والإمامة حق للأمة، وبها قوام الدين والشريعة، وهي مصدر الهدايات، وسبيل التوفيقات، والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فلا يمكن التفريط فيها بأي حال.

ولو أمكن حفظ حياة الحسن والحسين «عليهما السلام» في ظل مواصلة الحرب، ولو بقيمة استشهاد علي «عليه السلام»، فإن علياً لا يأبى مواصلة الحرب في هذه الحالة، كما صرح به علي «عليه السلام» لابن وديعة الأنصاري حين عودته من حرب صفين..

ولكنه كان يعلم: أن معاوية لا يكتفي بذلك، بل هو يسعى لقتل علي،

والحسن والحسين «عليهم السلام»، وخيار أهل بيته وأصحابه أيضاً، بل هو سيصبح أشد حرصاً على التخلص من الحسنين ليخلو الجو لولده يزيد بعد ذلك.

2 ـ إنه «عليه السلام» لم يقتصر على ذكر الحسن والحسين «عليهما السلام» في كلامه المتقدم، بل أضاف إليهما محمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر قائلاً: «فاني أعلم: لولا مكاني لم يقفا ذلك الموقف».

وهذا يدلنا: على أن المعيار والقيمة للإنسان هي تقواه واستقامته، بما له من دين صحيح، وسلوك صحيح، وأخلاق فاضلة، وصفات، وموازين عادلة، وعلم، ووعي، وحكمة وعقل، وسداد، ورشاد، وإخلاص.

فكل ما يسهم في حفظه، وحفظ ميزاته، وخصوصياته المشار إليها، ويفيد في ترشيدها وبثها في المحيط القريب والبعيد، مطلوب للشارع الحكيم، وقد أرسل الله الأنبياء، وكرم العلماء، وعظم الشهداء كرمى لعين هذا النوع من الناس. وكل من عدا هؤلاء غثر وغثاء، وباطل وهباء.

فلو أن أمة كبرى من البشر سارت في طريق الغي والضلال، لم يكن لها أية قيمة أو اعتبار، وكأنها لم تكن.

ولو كان هناك شخص واحد في خط الطاعة لله، ويجمع صفات السداد والرشاد وسائر الصفات التي أشير إليها آنفاً، كان هو الأمة، وهو القيمة والغنى. وتلك الأمة عدم وفناء. وهذا ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للهِ**﴾[1].

---

(1) الآية 120 من سورة النحل.

وهذا المعنى هو الذي قدمه علي «عليه السلام» نموذجاً للوعي والفداء، والتضحية، والعطاء؛ المتمثل في سبيل الإمام والإمامة في حرب صفين، من خلال محمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، والأشتر، وغيرهم ممن سار على نفس الخط، واختار طريق ذات الشوكة.. وإن كانوا ثلة قليلة.

وبذلك يتضح لنا: أن إيقاف حرب صفين لا يحتاج إلى مبررات ضخمة وكبيرة، إذ لا شيء أغلى وأعلى، وأعظم، وأكبر من الإنسان الكامل في صفاته وسماته الإنسانية، ووفقاً لما قدمناه منها.. ومن أجل حفظ وصون هذا النوع من الناس تخاض اللجج، وتبذل المهج.

تأكيد معنى القيمة مرة أخرى:

وذكر المنقري: أن معاوية جمع كل قرشي بالشام، فدعاهم في جوف الليل، وطالبهم بتخاذلهم في حرب علي «عليه السلام» في صفين، فمما قاله لهم: «ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم، مبارزة، أو مفاخرة؟!

فقال مروان: أما البراز، فإن علياً «عليه السلام» لا يأذن لحسن، ولا لحسين، ولا لمحمد، بنيه فيه، ولا لابن عباس وإخوته، ويصلى بالحرب دونهم، فلأيهم نبارز؟!

وأما المفاخرة، فبماذا نفاخرهم؟! أبالإسلام؟! أم بالجاهلية؟! الخ..»[1].

ونقول:

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص462 ـ 463 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص99 ـ 100 والفتوح لابن أعثم ج3 ص106 ـ 110 وأعيان الشيعة ج1 ص508.

الأب يذب عن أبنائه:

إن هذا النص يؤكد ما ذكرناه آنفاً: من حرص أمير المؤمنين على حياة هؤلاء الصفوة لدلائل تقتضي هذا الحرص، ولاسيما ما يرتبط منها بحفظ معنى الإمامة في الحسن والحسين «عليهما السلام»..

فكان يدافع عن هؤلاء الصفوة حين يرى أنهم يتعرضون لخطر داهم، بالإضافة إلى ضرورة اتخاذ الإجراءات التي تفيد في ضبط مسار الأمور، وتؤدي إلى التحكم فيها، وحفظها من التشظي والإنتشار، الذي يعطي العدو الفرصة لإيراد ضربات موجعة كان يمكن تلافيها.

ولذا نجد الإمام لا يجيز لأحد أن يبادر إلى أي أمر قتالي إلا بمعرفته وتحت نظره «عليه السلام».

ولكنه لم يكن يمنع أحداً من القتال.. حتى الحسنان، وابن الحنفية، وابن جعفر.. وقد صرحت النصوص: بأن هؤلاء الأربعة كانوا في أيام الحرب الصعبة يرجعون من حملاتهم على أعدائهم، وسيوفهم مخضوبة بالدماء[1].

الإمام يبارز من يدعوه:

وبذلك يظهر: أن مروان قد كذب على معاوية حين زعم له أن علياً لا يدع الحسن والحسين يبارزان أحداً.

ويدل على ذلك أيضاً: ما روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»، من أن الحسين بن علي «عليه السلام» دعا رجلاً إلى المبارزة، فعلم أمير المؤمنين «عليه

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص136 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص939.

السلام»، فقال: لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبنك، ولئن دعاك أحد إلى مثلها، فلم تجبه لأعاقبنك. أما علمت أنه بغي[1].

وهذه الرواية، وإن كانت ضعيفة سنداً، يمكن المناقشة فيها: بأنها تدل على أن الحسين «عليه السلام» قد ارتكب مخالفة شرعية، يستحق العقوبة عليها.

أو القول بإمكان نسبة الجهل بالحكم إليه، وكلا هذين الأمرين باطل، فإن آية التطهير تنزهه عن الجهل، وعن المخالفة، كما أن جعل مقام الإمامة له يشهد بما نقول، لأن الإمامة لا تكون لمن يكون عاصياً، أو جاهلاً بالأحكام أو بغيرها.

إلا أنه يمكن أن يجاب:

أولاً: بأن ضعف السند لا يعني عدم وقوع المضمون، بل هو يمنع من الاستدلال بالرواية في مقام الإثبات.

ثانياً: إن هذه الرواية جارية على قاعدة: إياك أعني واسمعي يا جارة، لأن هذه الحرب كانت مع البغاة على الإمام، وللإمام أن يطلب مبارزة من شاء من أصحابه لمن شاء من البغاة عليه،

والمبغي عليه.. وإن كان هو علي «عليه السلام» بحسب الظاهر، لكن البغاة كانوا يطلبون قتل ولديه اللذين هما إمامان أيضاً بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهم بغاة على ثلاثة أئمة في آن واحد، فيجوز لهؤلاء الأئمة أن يطلبوا مبارزة أي باغ عليهم.

---

(1) الكافي ج5 ص34 و 35 وتهذيب الأحكام ج6 ص169 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص90 و (الإسلامية) ج11 ص68 وبحار الأنوار ج33 ص446.

وحصر مفهوم البغي بالإمام القائم بالأمر فعلاً، لا دليل عليه، وإن كان البغي عليه أظهر من البغي عليهما بعد علمهم اليقيني بإمامة من يليه بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسعيهم لقتله بهذه الحرب، أو بغيرها. أي أنهم يريدون إطفاء نور الإمامة، توصلاً لإطفاء نور الله سبحانه، فليس هذا النوع من البغي على حدِّ البغي على حاكم عادل..

فيحق لهؤلاء الأئمة الثلاثة أن يبارزوا من شاؤوا من البغاة عليهم، أو أن يأمروا من شاؤوا بمبارزة أي كان من أعدائهم.

ولكن ليس للجند الذين معهم أن يبادروا إلى شيء من ذلك، إلا بأمر أو إذن منهم «عليهم السلام».

وبذلك يتضح: أن علياً «عليه السلام» كان يريد اسماع سائر أفراد جيشه هذا الأمر. ولا يقصد به الإمام الحسين «عليه السلام».

وربما كانت الحكمة في ذلك: أن جيش البغاة لم يكن له سياق واحد، فلعل بعضهم أخرج مكرهاً، أو مضطراً، ولعله يحاول تحاشي المواجهة، ويكتفي بالذب عن نفسه، أو نحو ذلك..

أما الإمام، فهو أعرف بأئمة الضلال، المتعمدين للباطل، والساعين في إطفاء نور الله فله أن يقصدهم بالسوء، لدفع شرهم، وإبطال سعيهم.

ويشهد لذلك: الحديث المتقدم، من أن الإمام يأمر ولده الحسين بمبارزة من يطلب من الأعداء ذلك منه.

فإذا ضممنا هذا إلى ما تقدم من ملامة علي «عليه السلام» للعباس بن ربيعة على مبارزته عدواً طلب مبارزته..

وقول علي «عليه السلام» له: طاعة إمامك أولى من مبارزة عدوك، ثم ألزمه بالإستئذان منه لو طلب منه أحد أعدائه ذلك.. إنما هو لضبط حركة الجيش، والطمأنينة لمسار الأمور كما أوضحناه.

ثالثاً: قد يشهد لما قلناه: ـ رواية نهج البلاغة، التي تقول ـ : إن علياً «عليه السلام» قال للحسن «عليه السلام»: لا تدعُوَن إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغ، والباغي مصروع[1].

أكاذيب مروان:

وبعدما تقدم نقول:

1 ـ إن قول مروان: إن علياً كان يفدي الحسنين «عليهما السلام» بنفسه لا يدل على أن علياً «عليه السلام» كان يمنعهما من المبارزة، بل يدل على أنه كان يبادر هو للتصدي لمن يأتي لمبارزتهما، وبذلك يفديهما بنفسه، فمروان كان يخاف صولة علي بالمقام الأول.

2 ـ إن ظاهر كلام مروان مع معاوية يوحي بأنه كان يرى نفسه قرناً في الحرب للحسن أو للحسين «عليهما السلام»، أو محمد ابن الحنفية، أو ابن

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص52 قسم الحكم، الحكمة رقم 232 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص90 و (الإسلامية) ج11 ص68 وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص527 وبحار الأنوار ج33 ص454 وج97 ص39 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص383 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج19 ص60 وصلح الحسن للسيد شرف الدين ص90 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص604 وميزان الحكمة ج1 ص564.

عباس.. مع أن هؤلاء كانوا قادة الكتائب، وأماكنهم معروفة وظاهرة، ويمكن لكل أحد أن يقصدهم بالحرب، لاسيما وأنهم حين كانوا يحملون على جيش أهل الشام كانوا يزيلونهم عن مواضعهم، بما فيهم مروان وغيره من رجال قريش.

وتصرح بعض النصوص بالقول ـ إنه في بعض أيام صفين العصيبة ـ: أقبل الحسن والحسين «عليهما السلام»، ومحمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، وغيرهم من أهل البيت وسيوفهم مخضوبة بالدماء[1].

(1) راجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص225 و (ط دار الأضواء) ج3 ص135 و 136 والمناقب للخوارزمي ص246 و 247.

الفصل الرابع

من صفين إلى استشهاد علي ×..

الشهادة على وثيقة التحكيم:

وقد ذكرت النصوص التاريخية: أن خدعة رفع المصاحف في صفين التي رفضها علي «عليه السلام»، وخدع معاوية بها جماعات مؤثرة في جيش أهل العراق، قد انتهت بالموادعة، وكتبوا كتاب الموادعة بين الجيشين المتحاربين، تمهيداً إلى الذهاب إلى التحكيم في دومة الجندل.. وشهد على كتاب الموادعة، الكثيرون من أصحاب علي «عليه السلام» ومن بين الشهود الحسن والحسين «عليهما السلام».. وذلك في شهر صفر سنة سبع وثلاثين للهجرة.

معاوية يلعن الأوصياء والصلحاء:

قالوا:

وكان علي «عليه السلام» [بعد الحكومة] إذا صلى الغداة والمغرب، وفرغ من الصلاة يقول: اللهم العن معاوية، وعمرواً، وأبا موسى، [وأبا الأعور السلمي]، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، [والمغيرة، وبسر بن أرطأة، ومروان بن الحكم].

فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا قنت لعن علياً [والأشتر]، وابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن والحسين[1].

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص552 وبحار الأنوار ج33 ص303 ومستدرك سفينة

ونقول:

1 ـ إن جرأة معاوية على لعن الأئمة المعصومين، الذين أمر الله بمودتهم، وقبول ولايتهم، ونزل القرآن بالثناء العظيم عليهم، يدل على مدى لجاجته في طغيانه، وإمعانه في غيه وضلاله، وشدة معاندته للقرآن، وبعده عن الله، وجحوده لآياته، وحقده على رسله، والأمناء على وحيه وحفظة دينه، وأفضل مخلوقاته.

2 ـ وتدل هذه الجرأة أيضاً على عظيم أثر الحسنين في إفشال مخططات معاوية وحزبه، وفي كشف نواياهم، وإبطال كيدهم..

3 ـ وهذه الجرأة تظهر: أنه لا صحة لما كانوا يحاولون إشاعته عن الإمام الحسن «عليه السلام»، من أنه كان عثمانياً، أو أنه لم يكن راغباً في مشاركة أبيه في حروبه للناكثين، والقاسطين، والمارقين..

4 ـ يلاحظ: أن معاوية قد أضاف في قنوته إلى علي وولديه.. الأشتر، وقيس بن سعد، وابن عباس، فدل ذلك على أن هؤلاء هم الأوجع لقلبه، والأشد وطأة على مشروعه، والأعظم خطراً على طموحاته.

البحار ج9 ص266 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص794 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص260 وراجع ج4 ص79 وج13 ص315 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص351 و 352 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص71 و (ط أخرى) ج6 ص40 و (ط الأعلمي) ج4 ص52 والكامل في التاريخ ج3 ص333 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص178 وينابيع المودة ج2 ص26 و 27 والنصائح الكافية لابن عقيل ص26 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص44 وشرح الأخبار ج2 ص535.

المقابلة بالمثل مرفوضة:

وربما سأل أحدهم، فقال: إذا كان علي «عليه السلام» هو الذي يلعن معاوية، وبعض من معه، فإن إقدام معاوية على مقابلة اللعن بمثله، يصبح أمراً متوقعاً، وهو وإن لم يكن صواباً، لكنه أقل قبحاً مما لو كان معاوية هو المبتدئ باللعن بغياً وعدواناً منه.

ونجيب:

أولاً: لو جازت المقابلة بالمثل في اللعن لجاز لأبليس أن يتجرأ على الذات الإلهية ـ والعياذ بالله ـ جواباً على قوله تعالى له: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾[1].

ثانياً: هل يصح للمجرم المعتدي على المقدسات، والهاتك للحرمات أن يناهض الله تعالى، أو النبي والوصي، والحاكم العادل إذا أراد تأديبه، أو معاقبته على ما اقترفه، فيقابله ضرباً بضرب، ولعناً بلعن، وسجناً بسجن، وما إلى ذلك؟!

وحين لعن الله الظالمين والكاذبين، هل يصح لهؤلاء أن يتجرأوا على الذات الإلهية استناداً إلى مبدأ المقابلة بالمثل؟!

وقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾[2].

---

(1) الآية 78 من سورة ص.

(2) الآية 159 من سورة البقرة.

وقال في آية أخرى: ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾(1).

فهل لعن الله والملائكة والناس أجمعين من كتم البيِّنات والهدى أو ارتكاب غير ذلك من الجرائم التي ذكرها الله يخفف من جرم المجرمين إلى حدٍّ يصيرون به مظلومين، ويصبح لهم الحق: بأن يقابل لعنهم بلعن، أو عقوبتهم بمثلها؟!

وحين لعن النبي «صلى الله عليه وآله» الحكم بن أبي العاص، ولعن قبائل رعل وذكوان.. هل خفف ذلك من قبح مقابلتهم اللعن بمثله، استناداً إلى مزعمة مبدأ المقابلة بالمثل؟!

ثالثاً: إن مورد المقابلة بالمثل هو ما لو صدر اللعن أو السب من البادئ على سبيل الظلم والعدوان.. أما إذا صدر من المظلوم والمعتدى عليه على من ظلم واعتدى، فإن إجراء مبدأ المقابلة بالمثل في هذه الحالة يكون عدواناً وظلماً آخر يستحق عليه العقوبة.

ومن المعلوم: أن علياً «عليه السلام» كان هو المظلوم والمعتدى عليه، من قبل معاوية، وحزبه.

رابعاً: إن هذه القاعدة غير مطَّردة، فإن الوالد حتى لو ضرب ولده ظلماً، فليس للولد أن يقابله بالمثل، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾(2).

فإذا لم يجز ضرب الوالد حتى حين يجاهد ولده ليحمله على الشرك، بل عليه أن يقابله بحسن الخلق، والكلمة الطيبة، فإن عدم جواز ضربه فيما هو

---

(1) الآية 161 من سورة البقرة.

(2) الآية 15 من سورة لقمان.

أخف يثبت بالأولوية القطعية.

لماذا اللعن؟!:

ويبقى سؤال يقول: ما فائدة اللعن؟!

ويجاب:

إن لِلَّعن فوائد كثيرة، نكتفي هنا بالإشارة إلى بعضها، وهي التالية:

1 ـ إن لعن الظالم، والكاذب، والمجرم ليس تشفياً منه، بل هو عقوبة له، تؤثر في روحه، وتحرجه في علاقاته بمحيطه، وربما ساهمت في دعوته إلى إعادة النظر في حساباته، وفي مساره ومصيره.

2 ـ إن هذا اللعن هو إعلان وضع حد للعلاقة مع هذا النوع من الناس، وإيذان بصدور ذنب منهم اقتضى ذلك، وهذا الجو الضاغط، والحازم، يمنع من التأثر بأجواء الإنحراف، ويفرض على المنحرف عزلة صعبة، ومحاصرة لانحرافه، وتفرض عليه محدودية في حركته، وعرقلة مساعيه لتسويق ترهاته وأباطيله، وترويج سلوكياته المنحرفة.

3 ـ إن هذا اللعن من شأنه أن يجرِّئ الناس على أهل الباطل، ويكسر شوكتهم وهيبتهم، ويسقط حرمتهم، ويهدم الحصون والأسوار التي يرون أنها تحميهم.

وفي هذه الحالة قد تجد من يتخلى عن انحرافه إذا رأى أن المظلة التي كان يستظل بها قد سقطت، فيدفعه الخوف مما هو أشر وأضر إلى أن يتراجع، وأن يخضع رغماً عنه، لمقتضيات الظرف المستجد.

4 ـ كما أن هذا اللعن والطرد، والإدانة، وسقوط الحرمة، سيكون له أثر

كبير في ردع الآخرين المتشوقين إلى الإنخراط في أجواء الجريمة والإنحراف.. وهؤلاء هم في الغالب من أصحاب النفوس الضعيفة الذين تسول لهم أنفسهم الأمارة بالسوء التخلي عن أجواء الإنضباط، والتفلت من قيود الدين والإخلاق، ويلتحقوا بركب أهل الدنيا، طلباً للحصول على الرغائب، والشهوات.. فيكون هذا اللعن بمثابة معول يهدم تلك الهياكل الخاوية من القيم، والأخلاق الفاضلة، وتعرية للمنحرفين والمبطلين، ومحاصرة لهم ربما بما هو أشد عليهم من الحصار بالحديد والنار.

وهذا يؤكد لنا: أنه لا غنى عن هذا الرفض الفكري والإعتقادي، وهذا العزل والحصار، والنبذ الإجتماعي[1].

كتاب علي × إلى الإمام الحسن ×:

قال الشريف الرضي «رحمه الله»: إن علياً «عليه السلام» لما أقبل من صفين، وبلغ حاضرين كتب إلى ولده الإمام الحسن «عليه السلام» كتاباً مطولاً[2].

وقد رواه عنه «عليه السلام» الإمام الباقر «عليه السلام»، وهو مذكور في

---

(1) وقد تحدثنا عن موضوع اللعن في كتبنا التالية: 1 ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، 2 ـ الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»، 3 ـ سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ.

(2) نهج البلاغة ج3 ص37 الكتاب رقم31 وكشف المحجة ص220 و (ط أخرى) ص159 وتحف العقول ص68 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج1 ص212 وجامع أحاديث الشيعة ج20 ص273 وبحار الأنوار ج74 ص217 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص9.

نهج البلاغة، وكشف المحجة، وتحف العقول وغير ذلك..

وأول هذا الكتاب:

«من الوالد الفان، المقر للزمان، المدبر العمر، المستسلم للدهر، الذام للدنيا، الساكن مساكن الموتى، والظاعن عنها غداً.. إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك، غرض الأسقام، ورهينة الأيام، ورمية المصائب إلخ..».

ونقول:

الإمام الحسن × هو المخاطب بالرسالة:

إن الكلام حول مضامين هذا الكتاب ومراميه يحتاج بجميع فقراته إلى توفر تام وتأليف مستقل، فلا مناص لنا من الإكتفاء، بملاحظات يسيرة قد يحتاج إليها القارئ الكريم لأول وهلة، وهي الأمور التالية:

إن خمسة من طرق نقل هذه الرسالة سجلت:

أنه «عليه السلام» أرسلها إلى الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، وهو ولده الأكبر المنصوص على إمامته من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو الذي يفترض بالإمام أن يتداول الأمور معه، ويظهر مكانته وموقعه، ويدل الناس على خلافته له بعد موته، كما كان «عليه السلام» يفعل ذلك في المناسبات المختلفة.

وهناك طريق واحد هو السادس من طرق نقلها، يقول: إنه «عليه السلام» أرسلها إلى ولده محمد (ابن الحنفية)[1].

---

(1) راجع: بهج الصباغة ج8 ص310 وعن الشيخ في الفهرست ص37 و 38 والنجاشي

ولا شك في أن الأخذ بمفاد الطرق الخمسة هو المتعين، ولاسيما مع مساعدة الإعتبار عليه، ولعل ذكر محمد ابن الحنفية كان من اجتهاد الناقل، وربما استند في اجتهاده هذا إلى ما يلي:

أولاً: قد يقال: إن هذه الرسالة هي عبارة عن مواعظ ونصائح، وغير الإمام المعصوم أشد حاجة إلى ذلك من الإمام المعصوم، بل فيها ما لا تصح نسبته أو توهمه في حق المعصوم.

فقد تضمنت الرسالة كلمات حادة كقوله: «إلى المولود المؤمل ما لا يدرك، السالك سبيل من قد هلك». وقوله: «وعبد الدنيا، وتاجر الغرور.. إلى أن قال: وصريع الشهوات». فإن مثل هذه الأوصاف لا تليق في خطاب المعصوم المطهر بنص القرآن..

ويجاب:

ألف: إن النصيحة والموعظة مطلوبة للتذكير والتحذير، ولا تتضمن اتهاماً بالتقصير.

ب: قد يكون المقصود: هو لفت الأنظار إلى أهمية هذه المضامين وعظيم خطرها، وشدة حساسيتها، ولزوم رعايتها، كما قال تعالى لنبيه «صلى الله

في رجاله ص6 والصدوق في من لا يحضره الفقيه ج4 ص275 وراجع: كشف المحجة ص157 و 158. وراجع: الكافي ج5 ص510 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج20 ص168 و (الإسلامية) ج14 ص120 وغوالي اللآلي ج3 ص311 ونهج السعادة ج5 ص6 ـ 12 وج7 ص403 وعن العقد الفريد ج3 ص 91 وفي (ط 2) ج2 ص103.

عليه وآله»: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1].

وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[2].

ج: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى علياً «عليه السلام» في حديث الأربع مئة بأمور كثيرة لم يكن هو المعني بها.. وأوصى علي أبناءه حين موته بما يشبه ما ورد في هذه الرسالة.

د: إن مما يدل على أن المقصود بهذا الكتاب هو الناس عامة لا خصوص من كتب باسمه: أن محمد ابن الحنفية والإمام الحسن «عليه السلام» كانا حاضرين مع أبيهما، فكان يكفي أن يسدي إليهما نصائحه بالخطاب المباشر، من دون حاجة إلى كتاب..

فتسجيل الكتاب باسم أحد أولاده، وبصورة مكتوبة، إنما هو لإيجاد الحافز لتداول الكتاب، والإطِّلاع على مضمونه، والتأمل فيه، وتلمس الغايات والأهداف التي كان يريد «عليه السلام» للناس أن يبلغوها.

وربما يجد كل من يقرأ هذا الكتاب ما يناسب حاله، ويفيده في مشكلته، ويكون غيره معنياً بفقرات أخرى غير الفقرات التي تعنيه.

ثانياً: قد يقال أيضاً: لقد ورد في ذلك الكتاب قوله «عليه السلام»: «..وأما قلب الشاب، فيتقبل التعاليم والإرشادات». وهذا لا يناسب الإمام الحسن الذي كان له من العمر حوالي أربع وثلاثين سنة.

---

(1) الآية 65 من سورة الزمر.

(2) الآية 44 و45 من سورة الحاقة.

ويجاب:

ألف: إن محمد ابن الحنفية أيضاً كان عمره حينئذ ستاً أو سبعاً وعشرين سنة، فَلِمَ ناسبت هذه الكلمة ابن الحنفية ولم تناسب حال الإمام الحسن «عليه السلام».

ب: إن ابن الثلاث أو الأربع وثلاثين سنة شاب أيضاً. وقد وصف أبو عبيدة الجراح في أحداث السقيفة علياً «عليه السلام» بقوله: «يا ابن عم، إنك حديث السن، وهؤلاء مشيخة قومك»[1].. مع أن عمر الإمام علي «عليه السلام» كان آنئذٍ يضارع عمر الإمام الحسن «عليه السلام» سنة سبع وثلاثين.

الخوارج وعلي:

1 ـ ويروي الخوارج حديث ذي الثدية بنحو مضحك وغريب، فيقولون:

«..في السير أيضاً، من كتاب النهروان، عن جابر بن زيد: أن علياً أظهر الندامة للناس.

قيل له: قتلت قوماً، وأظهرت الندامة عليهم، وطفقت تمدحهم، وتزين أمرهم، لتُخْلَعَنَّ، أو لتقتلن.

فلما أصبح قال: ابتغوا في القتلى رجلاً..

فوجدوا نافعاً مولى ترملة، صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان صالحاً مجتهداً، قطع الفحل يده.

---

(1) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص18 و (تحقيق الشيري) ج1 ص29 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص12 وبيت الأحزان ص81 .

فقال: هذا هو.

فقال له الحسن: هذا نافع مولى ترملة.

قال له: أسكت، الحرب خدعة.

وهذا الرجل هو الذي التبس به على القوم أمر دينهم، وظنوا أنه علامة الباطل..»[1].

2 ـ وقال الخوارج أيضاً: تلقى الحسن بن علي «عليه السلام» أباه حين دخل الكوفة، فقال: يا أبت، أقتلت القوم؟!

قال: نعم.

قال: لا يرى قاتلهم الجنة.

قال: ليت أني أدخلها، ولو حبواً[2].

3 ـ عن أبي جعفر الفراء قال: سمع عليٌّ أحد ابنيه ـ إما الحسن، أو الحسين ـ يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد من هذه العصابة.

فقال علي «عليه السلام»: لو لم يبق من أمة محمد إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال، وأرحام النساء[3].

ونقول:

---

(1) العقود الفضية ص69.

(2) العقود الفضية ص67.

(3) المعجم الأوسط ج7 ص339 وكنز العمال ج11 ص291 ومجمع الزوائد ج6 ص242 وميزان الحكمة ج1 ص737 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص553.

مولى ترملة:

بالنسبة للحديث الأول الذي ادَّعى: أن المخدج هو نافع مولى ترملة نقول:

1 ـ لم نجد فيما بين أيدينا من كتب التراجم من اسمه ترملة ـ أو نافع مولى ترملة ـ إلا إذا فرض وجود تصحيف لا ندري حقيقته، ولا مآله، وما هو الصواب فيه.

2 ـ إنها رواية يرويها الخوارج، وهم أعداء علي «عليه السلام» عن أبي مريم الذي يروي عنه الطبري، وتخالفها روايات عامة المؤرخين.

3 ـ لو صح هذا، وأنه «عليه السلام» ندم على قتله الخوارج لتناقلته الألسن، ولتفرق عن علي عامة جنده، ولوجدنا معاوية وسائر اعدائه «عليه السلام» يعيرونه بهذا الأمر.. ولوجدنا أهل الكوفة يغضبون لأبنائهم، وآبائهم، وإخوانهم الذين قتلوا مع الخوارج، فإنهم قتلوهم ثم دفنوهم، وانتهى الأمر.

4 ـ إذا كان نافع مولى ترملة رجلاً صالحاً ومعروفاً فكيف لم يعترض العارفون به على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وانحصر إظهار التعجب بابن الإمام الذي يفترض أنه سوف يتستر على أبيه.

5 ـ وإذا التبس أمر نافع مولى ترملة على بعض الناس، فلا يعقل أن يلتبس أمره وأمر دينهم على جميع الناس.

6 ـ إذا كان الفحل قد قطع يد نافع فكيف يلتبس نافع بالمخدج، ألا يوجد كثير من الناس قد قطعت أيديهم في الحروب، ولاسيما أيدي بني ضبَّة وغيرهم ممن كانوا يأخذون بخطام جمل عائشة في حرب الجمل، فتقطع أيديهم.. وهم طائفة كبيرة من الناس، بالإضافة إلى كثيرين قطعت أيديهم في حرب

صفين، فلماذا التبس الأمر بنافع الذي قطع الفحل يده دون جميع هؤلاء؟!

7 ـ إن في يد المخدج علامات أخرى تميزها عما عداها، ككونها ذات غدة تدردر كثدي المرأة، وأن عليها شعرات، وأنها ليس فيها عظم، وغير ذلك..

جرأة الحسن على أبيه:

وتذكر الرواية الثانية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» تلقى أباه في الكوفة حين رجع من حرب الخوارج، وقال له: يا أبت أقتلت القوم؟!

إلى أخر الرواية..

ونسأل واضع هذه الرواية:

ألف: هل إن الإمام الحسن لم يحضر حرب النهروان مع أبيه، كما يظهر من هذه الرواية؟!

ب: إذا كان علي «عليه السلام» قسيم الجنة والنار، ولطالما بشره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجنة، ونزل القرآن بتطهيره، وبذكر فضائله التي لا تبارى ولا تجارى. فهل كان «عليه السلام» شاكاً في صدق الله في كتابه، وفي صدق رسول الله في خطابه، حتى يحكم على نفسه بدخول النار، حتى إنه يتمنى أن يدخل الجنة ولو حبواً؟!

ج: هل لم يكن ولده الإمام الحسن «عليه السلام» قد قرأ القرآن، وعرف ما فيه، ولم يبلغه شيء من كلام الرسول «صلى الله عليه وآله» في حق أبيه، فيحكم على أبيه بدخول النار، لقتله من نكثوا بيعته، وأفسدوا في الأرض، وخرجوا إلى حربه وقتله، وقتل كل من قدروا عليه من الأبرار والصالحين، وعباد الله المؤمنين؟!

د: ألا يعد ندمه «عليه السلام» على قتلهم رداً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي عهد إليه بقتالهم، وقتال الناكثين والقاسطين؟!

هـ: ولماذا يندم على قتلهم، ألم يخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمة بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية؟

حديث الفراء عن الخوارج:

وقد يظن ظان: بأن حديث أبي جعفر الفراء قد تضمن تخطئة علي «عليه السلام» لولده الحسن أو الحسين، ونقول:

إن علياً لم يخطِّئ ولده، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» قال: إن الله تعالى أراح البلاد والعباد من أولئك المفسدين المقتولين في النهروان، وهذا صحيح.. ولم يتحدث عن حال ومآل هذه النحلة، وهل سيكون لها أتباع في مستقبل الأيام، أم لا..

ولكن أباه «عليه السلام» هو الذي ذكر حال هذا النهج الإفسادي في المستقبل، فكلامه ناظر لمرحلة أخرى، تختلف عما تحدث عنه ولده، فقرر «عليه السلام»: أن هذه النحلة سوف تعود إلى الظهور والإنتشار من جديد عبر الدهور والعصور.. فإن وجود هذا النوع من الناس تابع لعوامل معينة..

ومنها: الجهل، والسطحية، وحب الدنيا، وحب نيلها بأيسر الطرق.

ومنها: الرياء، والخداع للناس، وتداول المتشابهات دون إرجاعها إلى المحكمات، وقلة الدين والغرور، وما إلى ذلك.

ابن عباس البريء المتهم:

1 ـ نسبوا إلى ابن عباس: أنه حين كان والياً من قبل أمير المؤمنين «عليه

السلام» على البصرة أخذ من بيت مالها أموالاً، فنمي ذلك إلى علي، فجرت له معه مكاتبات ظهر فيها حزم وعزم وصلابة أمير المؤمنين «عليه السلام» في هذا الأمر.. فغضب ابن عباس، واعتزل عمله، وقعد في منزله إلى أن تبيَّن بطلان هذه التهمة، فكتب إليه «عليه السلام» يعذله على غضبه، ويكذِّب من سعى به إليه، وأعاده إلى عمله(1).

2 ـ وقد بيَّنَّا في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج49 هذه القضية وناقشناها في فصلين، فراجع..

غير أن ما يهمنا هنا: أن فقرة وردت في بعض كتب علي «عليه السلام» لابن عباس ذكر فيها الحسن والحسين «عليهما السلام»، وهي التالية: «ووَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ والْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، ولَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ.. حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وأُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا»(2).

3 ـ والسؤال هنا هو: إذا كان الحسنان «عليهما السلام» معصومين بنص آية التطهير، وبما ورد على لسان الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» مما دل

---

(1) الفتوح لابن أعثم ج4 ص242.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص67 الكتاب 41 وبحار الأنوار ج33 ص500 وج42 ص182 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص167 و 168 وراجع: ربيع الأبرار ج3 ص375 وبعضه في إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص279 وعيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص57 ومختصر تاريخ دمشق ج12 ص320 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج6 ص218 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص83.

على ذلك، فكيف يجعل منهما أمير المؤمنين «عليه السلام» مثالاً على عزمه على تنفيذ الأحكام حتى لو كان الأمر يتعلق بهما إذا فعلا ذلك؟!

ونجيب:

بأن هذا متوافق مع قول الله تبارك وتعالى لنبيه: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾(1).

وقوله عز وجل: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾(2).

مع أن الشرك والتقوُّل على الله لا يصدر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويدخل في هذا السياق: ما روي في مصادر أهل السنة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(3).

---

(1) الآية 65 من سورة الزمر.

(2) الآيات 44 ـ 47 من سورة الحاقة.

(3) سبل الهدى والرشاد ج9 ص196 وج5 ص259 عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، والبيهقي، وأشار في هامشه إلى: البخاري ج6 ص513 (3475) و (ط دار الفكر) ج4 ص151 و 214 وج5 ص97 وج8 ص16 ومسلم ج3 ص1315 (8/ 1688) و (ط دار الفكر) ج5 ص114 و 115 وأحمد ج3 ص386 و 395 وج6 ص162 وراجع: المحلى ج10 ص496 وج11 ص358 و 359 وسنن النسائي ج8 ص73 و75 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص254 و 267 و 280 و 332 والسنن الكبرى للنسائي ج4 ص334 والبداية والنهاية ج2 ص172 وج4 ص364 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص601 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج3 ص59 ونيل الأوطار ج7 ص305 و 311 وسنن

مع أن فاطمة مطهرة ومعصومة أيضاً بنص آية التطهير..

4 ـ وهنا سؤال آخر عن حقيقة ما صدر من ابن عباس، وكيف عولجت هذه القضية؟!

ونجيب:

بأن تفصيل ذلك يحتاج إلى عشرات الصفحات، وهذا الكتاب ليس معدّاً لمثل ذلك، وما يمكننا فعله هو الإشارة إلى الجواب بصفحات ثلاث، فنقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد قرر: أن لا يأخذ حقه من الخمس تألفاً للناس على الدين، ولمصالح أخرى.. وقال للناس في غزوة حنين ـ وقد تناول وبرة بعير من الأرض ـ: «والذي نفسي بيده، ما لي مما أفاء الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس، وهو مردود عليكم»[1].

الدارمي ج2 ص173 وسنن ابن ماجة ج2 ص851 وتحفة الأحوذي ج4 ص581 وسنن ابن داود ج2 ص332 وسنن الترمذي ج2 ص442 وعمدة القاري ج16 ص60 وج17 ص291 وج23 ص276 ومجمع الزوائد ج6 ص259 وعون المعبود ج12 ص21 وشرح معاني الآثار ج3 ص171 وصحيح ابن حبان ج10 ص248 والمعجم الأوسط ج7 ص272 ومعرفة السنن والآثار ج6 ص474 والإستذكار لابن عبد البر ج7 ص570 ورياض الصالحين ص331 و 332 و 681 وتخريج الأحاديث والآثار ج2 ص414 وتفسير القرآن العظيم ج2 ص59 وتفسير الآلوسي ج18 ص83 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص710 وإمتاع الأسماع ج10 ص26.

(1) الموطأ لمالك (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج2 ص14 و (ط أخرى) ج2 ص457 والأموال لأبي عبيد ص444 و 447 والفتوح لابن أعثم ج2 ص122 والثقات

وبعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، واستيلاء الخلفاء الثلاثة على الخلافة رفضوا أن يعطوا بني هاشم من الخمس شيئاً..

فلما ولِّيَ أمير المؤمنين «عليه السلام» قرر لأجل مصالح مختلفة أن لا يسترجع الخمس، وهذا ليس قراراً تشريعياً، بل هو قرار اتخذه «عليه السلام» من موقع حاكميته وإمامته، وولايته، بعد أن أقنع بني هاشم بغض النظر عن

لابن حبان ج2 ص78 وراجع: سبل الهدى والرشاد ج5 ص395 و 338 عن ابن إسحاق، وعن الحاكم بسند صحيح، وراجع: إعلام الورى ص128 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج1 ص242 وبحار الأنوار ج21 ص174 والمستدرك للحاكم ج3 ص49 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص303 وموارد الظمآن رقم (1693) عن ابن حبان، ومسند أحمد ج2 ص184 وج4 ص84 وج5 ص316 و 319 و 326 وسنن النسائي ج6 ص264 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص337 وج7 ص17 ومجمع الزوائد ج5 ص338 وج6 ص188 والمصنف للصنعاني ج5 ص243 وج11 ص106 والمصنف لابن أبي شيبة ج8 ص530 ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص115 والسنن الكبرى للنسائي ج4 ص120 وصحيح ابن حبان ج11 ص149 والمعجم الأوسط ج2 ص242 وج7 ص236 والمعجم الكبير ج2 ص130 ومعرفة السنن والآثار ج7 ص43 والإستذكار لابن عبد البر ج5 ص76 وج20 ص37 و 49 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج17 ص116 ونظم درر السمطين ص62 وكنز العمال ج4 ص372 وج10 ص537 وأسد الغابة ج4 ص132 وتاريخ المدينة لابن شبة ج1 ص216 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص358 والكامل في التاريخ لابن الأثير ج2 ص269 وتاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص608 والبداية والنهاية ج4 ص405 و 407 وإمتاع الأسماع ج2 ص211 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص669 و 672.

هذا الأمر في خلافته، وهذا ما حصل بالفعل، فإن بني هاشم أطاعوه في ذلك.

ويشهد لذلك: أن أبا إسحاق سأل الإمام الباقر «عليه السلام» عما صنع علي في سهم ذوي القربى؟!

قال: سلك به سبيل أبي بكر وعمر.

قلت: وكيف، وأنتم تقولون ما تقولون؟!

فقال: ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه.

قلت: فما منعه؟!

قال: كره والله أن يدَّعى عليه خلاف أبي بكر وعمر(1).

ولكن ظاهر النصوص التي بين أيدينا يدل على أن ابن عباس كان يرى أن هذا القرار من أمير المؤمنين ليس إلزامياً، وإنما هو ترجيحي.. أو أن الإلتزام به من قبل مستحقيه، وهم بنو هاشم، خاص بصورة إمكان الإستغناء عنه، لا في حالات الحاجة إليه، وكلمات ابن عباس المختلفة ظاهرة في هذا المعنى.

فكان ابن عباس يأخذ ما يراه من حقه في شرع الله، وبمقدار ما تمس الحاجة

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي (ط سنة 1329 هـ.) ج4 ص86 و (ط دار إحياء الكتب العربية سنة 1962م) ج16 ص231 والسقيفة وفدك للجوهري ص118 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص106 وشرح معاني الآثار ج3 ص234 وكنز العمال ج4 ص330 و (ط مؤسسة الرسالة) ج4 ص518 عن أبي عبيد، وعن ابن الأنباري في المصاحف. وراجع: الأموال لأبي عبيد ص463 والخراج ص23 وأحكام القرآن للجصاص ج3 ص63 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص323 وأنساب الأشراف ج1 ص517 وتاريخ المدينة لابن شبة ج1 ص217.

إليه، وقد اطَّلع بعض ثقات أمير المؤمنين «عليه السلام» على ذلك من فعله.. فأخبر الإمام علياً «عليه السلام» بالأمر، ويبدو أن ذلك المخبر لم يكن عالماً بتفاصيل سياسة أمير المؤمنين في سهم ذوي القربى، وكيفية تعامله مع بني هاشم.. فكتب علي بذلك إلى ابن عباس بصورة سؤال عن المصارف، فأخبره ابن عباس: بأن الأمور جارية وفق أحكام الشرع..

فلما ظهر لابن عباس ما يرمي إليه أمير المؤمنين لم ينكر ذلك، بل كتب إليه: «ولعمري، إن لي في بيت مال الله أكثر مما أخذت. والسلام»(1).

وقال قيس بن سعد عن ابن عباس: «..وزعم أن ذلك له حلال»(2).

وراجع جواب ابن عباس لابن الزبير حول هذا الموضوع(3).

فلما عرف ابن عباس: أن علياً «عليه السلام» يريد منه الإلتزام بقراره من موقع ولايته وإمامته، وأنه ليس رأياً ترجيحياً، كما أنه لا يستثني حالات

---

(1) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص280 بحار الأنوار ج42 ص154 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص161 وبحار الأنوار ج33 ص501 وج42 ص154 و 184وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص170 ونهج السعادة ج5 ص331 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج2 ص175 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص84.

(2) راجع: مقاتل الطالبيين ص73 و (منشورات المكتبة الحيدرية) ص42 ونهج السعادة ج5 ص343.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج20 ص129 و 130 ونهج السعادة ج5 ص344 ومنتهى المقال ج4 ص201 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج4 ص41 وجمهرة خطب العرب ج2 ص125 والدرجات الرفيعة ص135.

الاضطرار.. وحان موعد رجوعه من البصرة إلى الكوفة حمل المال معه إليه، ودخل الكوفة فوجد أمير المؤمنين قائماً في السوق..

إلى أن قال ابن عباس: فسلَّمت عليه، فرد السلام، ثم قال «عليه السلام»: يا ابن عباس، ما فعل المال؟!

فقلت: ها هو يا أمير المؤمنين، وحملته إليه.. فقربني ورحب بي(1).

وقد صرح اليعقوبي: بأنه رد المال، أو رد أكثره(2).

وبإمكان القارئ الكريم: أن يراجع ما كتبناه في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج49 أيضاً، إن أحب..

لماذا خصوص الحسين ×؟!:

ويقول نوف البكالي: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد جمع الناس للحرب، وعقد الألوية، وجعل الإمام الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، وقيس بن سعد على عشرة آلاف، وأبا أيوب الأنصاري على عشرة آلاف، وعقد لغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم «لعنه الله»، فتراجعت العساكر(3).

---

(1) مكارم الأخلاق ج1 ص249 و (منشورات الشريف الرضي سنة 1392هـ) ص114 وبحار الأنوار ج76 ص312.

(2) تاريخ اليعقوبي ج2 ص205 وبهج الصباغة ج8 ص297 عنه.

(3) مناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج2 ص369 و (ط المطبعة العلمية في إيران) ج3 ص194 و (ط المكتبة الحيدرية سنة 1376هـ) ج2 ص374 وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص110 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج3 ص392

ونقول:

1 ـ إن السؤال هنا هو:

أولاً: ألم يوقع أمير المؤمنين «عليه السلام» على وثيقة التحكيم التي أنهت الحرب بينه وبين معاوية؟!

الا يعدُّ جمعه للعساكر لحرب معاوية من جديد نقضاً للعهد الذي ألزمه به جهال أصحابه؟!..

ونجيب:

أولاً: بأن وثيقة العهد قد ألزمت الحكمين، بأن يحكما بكتاب الله تعالى، ولم يحصل ذلك، بل حكما بالهوى، وبغير ما أنزل الله تعالى..

ثانياً: إن معاوية بغاراته المتواصلة على أطراف علي «عليه السلام» حتى بلغت الأنبار، ومدينة الرسول، وبلاد اليمن، حيث كانوا يقتلون، ويظلمون، ويفسدون، ويخيفون يكون ـ بذلك ـ:

1 ـ قد نقض العهد. والظاهر: أن هذا هو ما دفع العراقيين إلى تلبية نداء الحرب لدفع الخطر المحدق بهم.

2 ـ تقدم: أنه «عليه السلام» حين رجع من صفين لقيه عبد الله بن وديعة عند مشارف الكوفة، فكان مما قاله «عليه السلام» له عن الحسن والحسين:

وبحار الأنوار ج33 ص394 وج34 ص127 ومنهاج البراعة ج2 ص180 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص100 والكنى والألقاب ج1 ص185 وربيع الأبرار ج5 ص193 وينابيع المودة ج2 ص29 وج3 ص444.

«وأيم الله، لئن لقيتهم بعد يومي، [يقصد أهل الشام] لألقينهم وليس هما معي في عسكر، ولا دار».

فما باله يجعل ولده الحسين قائداً على عشرة آلاف في جيش يريد له أن يحارب أهل الشام؟!

ونجيب:

أولاً: إن كلمته لابن وداعة كما يحتمل أن يكون المراد بها: أن يستبعد ولديه جميعاً من الحرب مع أهل الشام، فإنه يحتمل أن يكون مراده: أن لا يجمع بينهما معه، سواء حصل ذلك باستبعاد أحدهما، أو باستبعاد كليهما، فيكون عقده للإمام الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف قرينة على أنه أراد الإحتمال الثاني، حتى لا تخلو الأرض من حجة، وهو عدم الجمع بينهما في عسكر واحد، فيكون وجود أحدهما بلا مانع، بل ربما كان مطلوباً ومفروضاً.

أو يكون المراد: أن لا يجتمع هو معهما في عسكر ولا دار، لعلمه: بأنه سوف يستشهد في تلك المدة، قبل أن يرسل الجيوش لحرب أحد.. وإنما هو يجمع هذه الجيوش لإرهاب معاوية، فلا يبادر إلى الهجوم بعساكره مع عدم وجود عساكر في المقابل يخافها.

أما القول: بأنه أراد خصوص محمد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر.. فهو بعيد، فإنه لم يرد لهما ذكر في حديث نوف البكالي المتقدم.

ثانياً: إنه «عليه السلام» ـ كما صرحت به رواية نوف البكالي ـ قد جمع هذه العساكر، قبل أيام يسيرة من استشهاده بحيث إن الجمعة ما دارت حتى ضربه ابن ملجم.

ونحن نعلم: أنه «عليه السلام» في خصوص هذه الأيام الأخيرة كان يخبر الناس بأنه مقتول في يومه ذاك، أو في الذي بعده، وكان يفطر يوماً عند الحسن، ويوماً عند الحسين، ويوماً عند عبد الله بن عباس، أو عبد الله بن جعفر، زوج الحوراء زينب «عليها السلام».

وهذا الإخبار يعني: أنه «عليه السلام» لن يكون في جيش يكون فيه الحسن والحسين منفردين، أو مجتمعين.

فإن كان هو المراد، فهو احتمال ثالث في مراده «عليه السلام» من كلامه.

لماذا يجمع العساكر؟!:

ويبقى هنا سؤال، وهو: أنه إذا كان «عليه السلام» يخبر عن أنه مقتول في تلك الأيام القليلة، فلماذا يجمع العسكر؟!

ويجاب:

أولاً: بأنه إذا كان «عليه السلام» يخبر عن استشهاده العاجل، فذلك يعني: أن يكون الإمام الحسن «عليه السلام» هو الخليفة بعده، وأن يكون الحسين «عليه السلام» هو الذي يتصدى لمعونته ونصرته، ويقود جيوشه، ويعمل على إحكام أموره، فيفترض في أمير المؤمنين «عليه السلام»، والحالة هذه: أن يبادر إلى إرشاد الناس إلى الإمام الحسن، وينص عليه بالخلافة من بعده..

وهذا ما حصل بالفعل.. إذ لا يحسن أن ينصبه اليوم لقيادة طائفة من الجيش، ثم يعزله غداً لينصبه إماماً وخليفة من بعده، ويجعل الحسين «عليه السلام» على عشرة آلاف، دون الإمام الحسن، ليكون هذا التصرف هو إحدى

الإشارات للناس إلى موقع الإمام الحسن «عليه السلام» بعد استشهاد أبيه.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد مازج بين علم الإمامة بإخباره عن قرب استشهاده، وبين التدبير العملي من موقع الحكمة لإرشاد الناس إلى ولي الأمر من بعده، وهو الإمام الحسن.. ثم جعل أخاه الحسين على طائفة من العسكر ليدل على أن من الطبيعي أن يكون هو القائد والمعين، والناصر لأخيه..

ثانياً: إنه «عليه السلام» بجمعه للعساكر، وتعيين القادة يكون قد أفهم معاوية: أن عليه أن يحسب ألف حساب إذا أراد مباغتة الإمام الحسن بالحرب، فهنا جيش حاضر وجاهز، وقادر على الإلتيام، والمبادرة لمقارعته. ولن يكون ما يقدم عليه معاوية أو غيره نزهة بسيطة، لأن هذا الجمع الذي جمعه «عليه السلام» يدل على أن لدى العراقيين قابلية للحرب، بسبب ما عانوه من تحرشات معاوية.

غارات بسر على اليمن والحجاز:

وقد استمر معاوية بالإغارة على البلاد والعباد إلى آخر حياة أمير المؤمنين «عليه السلام».. فأرسل «عليه السلام» جارية بن قدامة لملاحقته في اليمن والحجاز ونجران.

وحين دخل جارية مكة، قال لهم: بايعونا.

فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين، فلمن نبايع؟!

قال لمن بايع له أصحاب علي «عليه السلام»، فتثاقلوا. [فقال: والله! لتبايعن ولو بأستاهكم]. ثم بايعوا.

ثم سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلي بهم، فهرب منه، فقال جارية: والله! لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه.

ثم قال لأهل المدينة: بايعوا الحسن بن علي. فبايعوه[1].

وهذا النص يدل على أن علياً «عليه السلام» استشهد حين كان جارية في مكة.

فقول ابن أعثم: إنه عاد إلى الكوفة، وأخبر علياً بما كان[2]، يصبح موضع ريب وشك.

إفطار علي في شهر رمضان:

قال الشيخ المفيد عن علي «عليه السلام»: «ومنها: ما رواه الثقات عنه: أنه كان يفطر في هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم.

فقال له أحد ولديه ـ الحسن أو الحسين «عليهما السلام» ـ في ذلك، فقال:

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ج5 ص139 و 140 وعن الكامل في التاريخ ج2 ص430 و 431 وتاريخ العقوبي ج2 ص197 ـ 199 والبداية والنهاية ج7 ص322 وراجع: أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ.) ج2 ص355 و (ط أخرى) ج3 ص211 ـ 215 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج7 ص134.

(2) الفتوح لابن أعثم ج4 ص231 ـ 241 و (ط أخرى) ج2 ص477 وراجع: الغارات للثقفي ج2 ص607 ـ 628 و 639 وبحار الأنوار ج34 ص7 ـ 11 و 18 وتاريخ الأمم والملوك ج5 ص139 و 140 و (ط الأعلمي) ج4 ص107 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ج7 ص132 ـ 134 عنه، وعن الكامل في التاريخ ج2 ص430 والبداية والنهاية ج7 ص322 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص357 وراجع: أنساب الأشراف ج3 ص211 ـ 215 و (ط الأعلمي) ج2 ص457 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص197 ـ 199.

يا بني! يأتي أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة، أو ليلتان، فأصيب من الليل»[1].

ولكن هذه الرواية رويت في بعض المصادر الأخرى، وفيها عبد الله بن جعفر بدل عبد الله بن عباس[2].

وقفات ودلالات:

1 ـ لا نريد أن نحدد الشخص الثالث الذي كان علي يفطر عنده بعد ولديه الحسنين «عليهما السلام»، وإن كنا قد حاولنا في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ترجيح أن يكون هو ابن عباس لا ابن جعفر،

---

(1) الإرشاد للمفيد ج1 ص320 و (طبع سنة 1364 هـ) ص151 وكشف الغمة ج2 ص114 و (طبعة حجرية) ص130 وشرح الأخبار ج2 ص291 و 430 والمناقب للخوارزمي ص223 ومقاتل الطالبيين ص52 وإعلام الورى ص160 وفرائد السمطين ج1 ص387 وكنز العمال ج13 ص195 عن ابن عساكر، ويعقوب بن سفيان، وراجع: ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج3 ص294 و تاريخ مدينة دمشق ج42 ص554 وبحار الأنوار ج42 ص224 عن الإرشاد، والدرجات الرفيعة ص118 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص271 وراجع: عمدة الطالب ص60 والإعتبار للحازمي ص126.

(2) المناقب للخوارزمي ص282 ونظم درر السمطين ص137 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج19 ص187 والصواعق المحرقة ص134 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص633 وكنز العمال ج13 ص190 عن العسكري، والإرشاد للمفيد ج1 ص14 والخرائج والجرائح ج1 ص201 وبحار الأنوار ج41 ص300 وج42 ص198 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص555 وأسد الغابة ج4 ص35 والكامل في التاريخ ج3 ص388 والفخري في الآداب السلطانية ص99 و 100.

غير أننا هنا نريد رفع اليد عن هذا الترجيح لصالح ترجيح آخر، وهو: أن يكون قد أفطر عند ابن عباس في بعض لياليه، وعند ابن جعفر في بعضها الآخر، بالإضافة إلى إفطاره عند الحسن والحسين أيضاً، فذكر الراوي ابن عباس تارة، وابن جعفر تارة أخرى يصبح ظاهر المأخذ.

2 ـ إن لابن جعفر خصوصيات تقضي: بأن يخصه «عليه السلام» بالرعاية، فهو ابن أخيه، وهو من المخلصين الثابتين على خط الإمامة والولاية، وهو زوج ابنته زينب الكبرى، التي عرفت بالعقل والحكمة، والعلم، والتقوى، والصبر، وسائر خصال الخير.. ولم يكن لها نظير في ذلك كله بين النساء آنئذ سوى أمها سيدة نساء العالمين الصديقة الشهيدة. فالإفطار عندها وعند زوجها فيه قضاء لحقها، وتكريم وتعزيز لها ولزوجها.

3 ـ كما أن إخلاص ابن عباس، وثباته على الحق، وقرابته، وعلمه وفضله، وعقله وما إلى ذلك بالإضافة إلى قرابته كل ذلك يجعل من اكرامه، وتمييزه، وإظهار فضله أمراً راجحاً ومرضياً لله تعالى.

4 ـ أما الحسنان «عليهما السلام» فهما درتا التاج، وواسطة العقد بعد علي «عليه السلام»، وهما الإمامان بعد أبيهما بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا بد من إظهار مزيد من العناية بهما، لتعريف الناس بما يجب عليهم تجاههما..

ولعل هذا يفسر لنا: أنه «عليه السلام» لم يدخل ولده الآخر، محمد ابن الحنفية في ليالي إفطاره، رغم عظيم فضله، وجليل مكانته عنده، ربما لكي لا يتوهم أحد: أن إشراكه يشعر بموازاته للحسن والحسين في كل شيء حتى في مقام الخلافة والإمامة بعد علي «عليه السلام».. كما تقدم نظيره، الذي

تصدى «عليه السلام» لمعالجته..

ولكنه أشرك ابن جعفر، وابن عباس، للمفروغية عن أنهما لا يمكن أن يكون لهما مقام الإمامين الحسنين «عليهما السلام».

الفهرس الإجمالي

القسم الثالث: الإمام الحسن × في عهد أبيه.. 5

الباب الأول: قبل حرب الجمل.. 7

الفصل الأول: بعد البيعة لعلي ×.. 9

الفصل الثاني: من علومهم ^ 33

الفصل الثالث: ليس الحسن × عثمانياً........................... 58

الفصل الرابع: علي في ذي قار، والحسن في الكوفة.......... 76

الباب الثاني: مشاركات الحسن × في حرب الجمل.. 113

الفصل الأول: التعبئة والإفتخار الفارغ.......................... 115

الفصل الثاني: القادة ورايات النصر.. 135

الفصل الثالث: نهايات حرب الجمل................................ 173

الفصل الرابع: بين حربين.. 198

الباب الثالث: إلى استشهاد علي ×................................ 236

الفصل الأول: إلى صفين.. 238

الفصل الثاني: الحسنان ' قادة وذادة............................. 259

الفصل الثالث: من ميدان القتال في صفين.. 290

الفصل الرابع: من صفين إلى استشهاد علي ×.............. 318

الفهرس الإجمالي... 350

الفهرس التفصيلي 352

الفهرس التفصيلي

القسم الثالث: الإمام الحسن × في عهد أبيه..................... 5

الباب الأول: قبل حرب الجمل.. 7

الفصل الأول: بعد البيعة لعلي × 9

بداية:.. 11

خطبة الإمام الحسن حين بويع أبوه:... 13

الأدب والإحترام:.. 17

مضمون خطاب الإمام الحسن ×: 19

الحسين × لا يبصر شيئاً: 21

الحسنان ' وديعة الرسول: 22

أنتما إمامان بعقبي:.. 23

النص من علي × على ولديه ':... 24

إمامان بعدي:.. 26

الحسنان معصومان: 29

سيدا شباب أهل الجنة:.. 30

الفصل الثاني: من علومهم ^ 33

الإمام الحسن ×، وأسئلة ابن الأصفر: 35

إيضاحات: 40
متى حصل هذا؟!: 42
السائل يختار الإمام الحسن للإجابة:.............................. 44
ابن الحنفية عالم رباني: 44
ابنا الرسول وابن علي:.. 46
دلالات في موقف علي: 47
علم علي وجهل معاوية:.. 49
كم بين السماء والأرض؟!: 51
علي يسأل ولديه: 52
الفصل الثالث: ليس الحسن × عثمانياً..................... 58
هل الإمام الحسن × عثماني؟!: 60
لا تحن حنين الجارية: 64
هل هي قصة مفتعلة؟!:... 66
إجابات علي ×:.. 72
أهداف ومقاصد: 72
إكراه طلحة والزبير:.. 73
الإمام الحسن × وإهراق الدماء: 74
الفصل الرابع: علي في ذي قار، والحسن في الكوفة.. 76
رسل علي إلى الكوفة: 78
أصلح ما أفسدت: 82

موقف واستدلال أبي موسى: 83
حجج أبي موسى واهية: 86
عمار بريء مما ينسب إليه: 90
إن للإصلاح أهلاً: 93
الإمام الحسن يخبر بأمر غيبي: 98
أبو موسى ينقض كلامه: 99
هكذا عزل أبو موسى: 100
تنح عن منبرنا: 107
تشابه وانسجام: 108
عزل أبي موسى بالأصالة، وبالوكالة: 108
خطبة الإمام الحسن ×: 109
مهمة الإمام الحسن في الكوفة: 111
الباب الثاني: مشاركات الحسن × في حرب الجمل.......... 113
الفصل الأول: التعبئة والإفتخار الفارغ.. 115
بداية: 117
الإمام الحسن × يجيب ابن الزبير: 118
الإعتراض على طلحة: 121
الإمام الحسن × يجيب ابن الزبير: 122
شبهات وردود: 124

تمخض طلحة فولد وزغاً: 128
إصبع طلحة: 132
الفصل الثاني: القادة ورايات النصر.......................... 135
الحسنان في موكب أبيهما: 138
الأخيار مقابل الأشرار:... 139
الإمام الحسن × قائد عتيد: 144
القادة في حرب الجمل: 144
الراية لابن الحنفية، لماذا؟! 147
أين النجم من الشمس والقمر؟!:.................................. 150
الجمل أصعب من صفين:.. 152
الحزم والحسم: 154
ذو الشهادتين وإمامة الحسنين: 155
لا يقاس ابن علي × بابني بنت النبي ’:........................... 155
راية الرسول في الجمل، لا في صفين: 158
لماذا الزلزال؟!:... 159
وساطة الحسن والحسين:.. 162
راية لا ينشرها إلا القائم #:.. 163
آمنا يا ابن أبي طالب:.. 163
الهدف قتل علي وولديه ^: 165
الفصل الثالث: نهايات حرب الجمل.......................... 173

هل ندم علي × على مسيره لحرب الجمل؟!:......................... 175
السجاد العابد: 176
ما جرى بين الحسن وأبيه ’: 178
لأبعثن إليك بما تعلمين:.. 179
زيد بن حارثة: 182
لماذا الإمام الحسن × دون سواه؟!:....................................... 182
هل الحسن × غلام؟!: 185
لماذا بالمراسلة؟!: 185
أفضل الخلق سبعة:.. 186
الشفاعة لمروان:.. 190
الحسنان يعرفان ويشفعان: 192
علي × فضح نوايا مروان: 193
الفصل الرابع: بين حربين... 198
خطبة الجمعة:.. 200
طاعة الأئمة والإصطفاء: 203
عتاب المتخلفين:.. 204
وقفات مع النص المتقدم: 205
ما بعد الريب والتربص: 210
علي يمنع والحسنان يعطيان:... 210

المتخلفون عن علي ×: 213
سماحة وطاعة: 217
أسامة رجع إلى الحق: 219
علي يستشير ولديه!!: 219
الأنوار الخمسة: 225
عصمة الأئمة ^: 228
قبل قرار الحرب: 231
أبو الحسن، وأبو الحسين: 232
سيد شباب أهل الجنة: 233
أنا أبو الحسن حقاً: 233
إفتخار علي بولديه: 234
الباب الثالث: إلى استشهاد علي × 236
الفصل الأول: إلى صفين.. 238
بداية: 240
الحرب في كلمات الإمام الحسن ×: 241
أهداف الحرب: 241
لماذا أقدم على الأسنة؟!: 242
قبر يهوذا.. لا قبر هود: 245
هكذا صحح الخطأ الشائع: 246

الحسنان ' في مناشدات علي في صفين: 252
الفصل الثاني: الحسنان ' قادة وذادة.......................... 259
الحسنان على الميمنة:.. 261
الحرص المتبادل بين الأب وأبنائه: 264
ما هذا زي الحرب؟!:.. 270
مناافسات مناطقية: 275
القيادة لدى الأنبياء والأوصياء: 278
نظرة في كلمات الشنِّي لأمير المؤمنين ×:........................... 282
لا تخلُّوا بمركز، ولا تباشروا حدثاً: 285
الفصل الثالث: من ميدان القتال في صفين.. 290
الإمام الحسن × وعبيد الله بن عمر:................................ 292
مفاجأة الحسن × لابن عمر: 297
ابن علي وابنا الرسول:... 298
لم يغرر بك أبوك: 301
العينان هما الأساس: 302
حفظ نسل رسول الله: 304
هذا هو هدف الشجرة الملعونة: 308
قيمة الحسنين ' عند علي ×:... 309

تأكيد معنى القيمة مرة أخرى:... 311
الأب يذب عن أبنائه:.. 312
الإمام يبارز من يدعوه: 313
أكاذيب مروان: 316
الفصل الرابع: من صفين إلى استشهاد علي × 318
الشهادة على وثيقة التحكيم: 320
معاوية يلعن الأوصياء والصلحاء: 320
المقابلة بالمثل مرفوضة:... 322
لماذا اللعن؟!:.. 324
كتاب علي × إلى الإمام الحسن ×:............................... 325
الإمام الحسن × هو المخاطب بالرسالة:......................... 326
الخوارج وعلي:... 329
مولى ترملة:.. 331
جرأة الحسن على أبيه: 332
حديث الفراء عن الخوارج:.. 333
ابن عباس البريء المتهم:.. 333
لماذا خصوص الحسين ×؟!:.. 340
لماذا يجمع العساكر؟!: 343
غارات بسر على اليمن والحجاز: 344

إفطار علي في شهر رمضان:... 345

وقفات ودلالات: 346

الفهرس الإجمالي 350

الفهرس التفصيلي 352